مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد (٣٠)
جمادى الاولى - شوال ١٤٠٦ هـ

السنة العاشرة
كانون الثاني - حزيران ١٩٨٦ م

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد (٣٠) السنة العاشرة

جمادى الاولى – شوال ١٤٠٦هـ كانون الثاني – حزيران ١٩٨٦ م

الفهرس

أولاً : البحوث

ثانيا : مع الكتب

ثالثاً : تعليقات ومناقشات ومطارحات

رابعاً : أخبار مجمعية :

اولاً : البحوث

لغة العلم المعاصر

للأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

المصطلح العلمي أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء، وليس ثمة علم بدون قوالب لفظية تؤديه. ويوم ان ينهض العلم ويخطو الى الامام، تنمو مصطلحاته، وتدق ألفاظها، وتتحدد معانيها. واذا كانت العلوم في سير مطرد، وحركة دائبة، فان مصطلحاتها لا بد أن تلاحقها وتتابع السير معها، ولا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغويّة واصطلاحية تسايرها جنبا الى جنب.

وقد كان للعرب علوم يتعهدونها ويتدارسونها، فأقاموا من أجلها المعامل والمراصد، وتتبعوا الظواهر، وأجروا التجارب، وانتهوا الى كشوف لم يسبقوا اليها. وكانت لهم لغة علمية متنوعة متجددة، فلكل علم مصطلحاته، واذا ما رأوا أن مصطلحا لا يؤدي معناه أداء كاملا عدلوا عنه الى ما هو أدق وأضبط. ولم يبالوا بأن يكون المصطلح عربيا أصيلا أو مستعربا دخيلا، وربما فضلوا اللفظ الاجنبي اذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الاداء ولم يفتهم أن يسجلوا مصطلحاتهم في معاجم خاصة وتوافر بذلك للعربية مجموعة قيمة من «المفردات» و «التعريفات» ويكفي أن نشير من بينها الى «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (٩٩٧م)، و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوى (١٧٤٥م).

ويوم أن ركد البحث العلمي في الاسلام، ركدت لغته معه، فأهملت المعامل ونسيت المصطلحات. ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة على فترة، وكأن رجالها الأول – في القرن التاسع عشر – لم يكونوا على علم بماضيهم، ولا صلة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة. فلم يستفيدوا كثيرا من هذا التراث، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء فيه كثير من التعجل والخطأ. وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ويصلحوا هذا الخطأ. وأريد بالمجمع في القاهرة أن يساهم في ذلك بنصيب، ومن أهم اغراضه أن

يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم، أو مطبوعات خاصة، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب.

ووضع المصطلح العلمي أمر غير يسير، فهو يتطلب تمكنا من المادة، وفقها في اللغة، واحاطة بالتاريخ، ووقوفا على النشاط العلمي المعاصر. وللزمن والاستعمال شأنهما في وضوح أي مصطلح واستقراره. ومنذ أن قام «مجمع القاهرة» وهو يولي المصطلحات العلمية كبير عنايته، فقعد القواعد لوضعها، ووجه النظر الى تاريخها، ويسر السبل للحصول عليها. ودعا الخبراء والمختصين لتسجيل ما استقر رأيهم عليه منها، وناقشه طويلا في مجلسه ومؤتمره. وما اخذ به قيّده في محاضره، ونشره في مجلته ليفيد منه القراء في العالم العربي بأسره.

× × × × × × × × × × × × ×

أصبحنا وفي العلم جديد دون انقطاع، ولم تستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم. فالمراكز القومية للبحوث العلمية ينافس بعضها بعضا. والمعامل والمختبرات تملأ الدنيا وهذه كلها تبحث وتنقب في الارض والسماء، في البحار وعالم الفضاء ولا يقنع العلماء بالكشف عن حقائق جديدة، بل يحرصون على أن يعبروا عنها، والا كتموا علمهم ولم يفد الناس منه. فلغة العلم في سير مطرد وثروة متزايدة، والمعاجم العلمية يلاحق بعضها بعضا لتدارك ما فات واستكمال ما جدّ.

ولم يكن بد لمجمع اللغة العربية في القاهرة ان يتابع هذا السير، فقد أدت الفصحى قديما العلم خير أداء، وهي كفيلة بأن تؤديه اليوم في ضبط ودقة. وتكاد المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية تكون الشغل الشاغل للمجمعيين، يتدارسونها في لجانهم، ويقفون عليها كثيرا في جلساتهم، وكل همهم أن يلائموا بين مقترحات المختصين وأصول اللغة وروحها. وقد سبق للعرب أن اشتقوا ونحتوا، واستعانوا بالمجاز اللفظي لاداء شتى المعاني، ولم يترددوا في ان يعربوا ويخضعوا المعربات لصيغهم وأوزانهم. ولا تضيق لغتنا ذرعا بلفظ مهما كان مصدره، ولا بتركيب مهما كانت غرابته.

وقيمة المصطلح في أن يؤخذ به ويشيع بين الناس. وقد درج المجمع على ان يعرض مصطلحاته على مؤتمره، وفيه ممثلون للبلاد العربية، لكي يدلوا برأيهم ويلائموا بين الاستعمالات المختلفة. ويوم أن يستقر رأيهم على مصطلح ينشر ويذاع، ولا ضير في أن يعاد النظر فيه ويعدل إن دعا الأمر. ويلتزم المجمع عادة أن ينشر مع كل مصطلح تعريفه، كي يكون أدنى للفهم وأبين لحكم المختصين، وكم يسعده أن يقف على ملاحظاتهم ويذلل معهم بعض صعابهم.

× × × × × × × × × × × ×

اننا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا، وهما معا يمدناننا بجديد لا ينقطع، جديد في الآراء والنظريات، وجديد في الاجهزة والمخترعات. وكل تلك في حاجة الى دوال تؤديها، وألفاظ تعبر عنها. وتسير لغة العلم حثيثة متنوعة، تتنوع بتنوع العلوم والفنون، وتنمو بنمو الموضوعات والبحوث. وليست لغة التكنولوجيا بأقل تجديدا وابتكار، فهي تغمرنا بسيل من الألفاظ والأسماء لمستحدثات الحضارة وثمار العلم في الحياة العملية.

وهذان موردان كبيران لنمو اللغات وتطورها، وربما كانا من أغزر الموارد وأقواها، وهما يغذيان اللغات الأوروبية بغذاء لا ينقطع. واذا تتبعنا التأليف المعجمي فيها، وجدنا أن مادته في زيادة مطردة في الخمسين سنة الاخيرة، وترجع هذه الزيادة في أغلبها الى لغة العلم والحضارة.

وفي العالم العربي اليوم نشاط علمي متواصل، يحرص على أن يستعيد مجد الماضي، وينافس في الحاضر، ويسهم باختصار في حركة العلم العالمية. وفيه أيضا نهضة صناعية وفنية ملحوظة، فيه مناجم ومحاجر، وآبار زيت ومصاف، ومصانع ومولدات للطاقة الكهربية والذرية. ويعنيه ان يعبر عن ذلك كله بلسان عربي مبين.

× × × × × × ×

لا نظن أنه قدر للغة العلم قط ذيوع وانتشار مثل ما قدر لها اليوم، وما ذاك الا ثمرة من ثمار سيادة العلم وسلطانه. ونحن نعيش في عصره ولا شك، ويكاد يفرض نفسه على

مظاهر الحياة كلها. فنحس به في الحقل والمنزل، ونخضع له في المصنع والمتجر، ونعيش معه في المدرسة والمعهد. ولا سبيل لنا الا أن نستخدم ألفاظه ونردد مصطلحاته، ان شئنا أن نفهم ونتفاهم، وننعم بمستحدثات الحضارة والمدنيّة.

تلك ظاهرة لا سبيل الى انكارها، وفي كل يوم يغزو العلم ميادين جديدة، ويهدى الى كشوف ومبتكرات لا عهد لنا بها. وتسير لغته معه أينما سار، فللحياة العامة فيها نصيب، ولها في الفن والادب شأن واضح، وفي الاقتصاد والسياسة مجال ملحوظ، وعليها تقوم الدراسات العلمية والفلسفية على اختلافها. ولا بد لنا من ملاحقتها في سيرها الحثيث، وربطها باللغة العامة.

× × × × × ×

وقيمة لغة العلم في أن يلتقي عندها العلماء،وهي ولا شك اصطلاح وقد قيل قديما: «لا مشاحة في الاصطلاح» ومن العيب أن نلتقى عند اللفظ الاجنبي ثم نختلف في مقابله العربي. واستقرار الاستعمال وشيوعة وذيوعه يمنح المصطلح العلمي قوة تحقق فيه أسباب البقاء والحياة. والمعجمات العلمية وسيلة ناجعة من وسائل البحث والدرس وعليها أن تأخذ باللفظ الشائع والاستعمال السائد. وأذكر تجربة فرنسية بدأت في فجر هذا القرن، وحاولت أن تجمع كلمة المختصين على المصطلح الفلسفي وقد اضطلع بها جمع من كبار الفلاسفةالفرنسيين واخرجت معجم «لالند» الذي لا يزال حُجّة حتى الآن. وعلى هيئاتنا العلمية والثقافية أن تفيد من هذه التجربة.

وتعد معجمات متخصصة يقرها المشتغلون بالعلم في كل مادة وتلك رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافية والمجامع اللغوية والعلمية، واتحاد المجامع واتحاد الجامعات وبذا نحقق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه كما حققها أسلافنا في النهضة الاسلامية الكبرى.[١]

---

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١-٢٥/٩/١٩٨٥م.

تعريب علوم الطب

للاستاذ الدكتور حسني سبح
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

لما رغب الي أن اتحدث في هذا المؤتمر الزاهر* عن تعريب علوم الطب، أو استعراب الطب كما يحلو لي أن يقال، ترددت حينا بين القبول والاعتذار، فكان مما يدعوني الى الاعتذار أن هذا الموضوع قد عولج مرارا في مثل هذا اللقاء، وفي غير مؤتمر وندوة مما عقد في كنف اتحاد الجامعات العربية، ومكتب تنسيق التعريب، واتحاد المجامع العلمية واللغوية، وكان يُتناوَل بتمامه، أو تُتناوَل شعب منه، تحت عناوين شتى كـ(تعريب التعليم العالي وتعريب المصطلحات العلمية وتوحيد المصطلح الطبي ونحو ذلك) . وكنت ممن شارك في بعضها، فخشيت إنْ ما عاودت الحديث فيه ان لا يكون لي جديد اطرفكم به، وأن اضطر الى تكرار بعض ما سلف أن قلته وقاله غيري، فيكون ذلك مدعاة الى السآمة والملل، ثم حملني على القبول أمور: منها أنه ما اقترح علي الحديث في هذا الموضوع الا والحاجة الى ذلك قائمة، ومنها أني اصدر في الحديث عن هذه القضية عن معاناة لها وتجربة فيها طويلة، وذلك أني واحد من قلة باقية قدر لهم أن يشهدوا مولد الاستعراب الجديد في مهده: دمشق، وان يقفوا على مراحل تطوره ونمائه حتى بلغ ما بلغ، كما قدر لي أن أكون ممن أسهم في ذلك ولو اسهاما متواضعا أيضا. ولقد بدأنا أنا وثلة من أترابي دراستنا للطب بالتركية قبيل الحرب العالمية الاولى. وامتد ذلك طوال السنوات الأربع الاول،وختمناها في السنة الخامسة بدراسته بالعربية. ثم كان أن أسند الي تدريس الامراض الباطنة وسريرياتها في المعهد الطبي العربي الذي أقيم في دمشق ابان قيام الحكومة العربية الاولى فيها، وهو الذي آل فيما بعد الى كلية الطب بالجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) وخبرت أن ادرسّ الامراض الباطنة بجميع فروعها

* المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١ - ٢٥ / ٩ / ١٩٨٥م.

عدة عقود سنين وليت خلالها عمادة الكلية ورئاسة الجامعة. وقد اضطرني ذلك الى أن وضعت بضعة عشر كتابا في موضوعات الأمراض الباطنة لتكون مراجع لطلبة الطب على اختلاف شعبهم ومستوياتهم، والى أن شاركت في وضع ما دعت الحاجة الى وضعه من مصطلحات.

هذا، وما اراني بحاجة الى أن أفيض في ذكر تجربة اسلافنا الاقدمين في هذا الباب، وما كان للطب العربي الاسلامي من شأن في نمو هذا العلم وتطوره، فقد اصبح من الحقائق التي لا مراء فيها ان أطباءنا الاقدمين لم يقتصروا على الاطلاع على ما ترجم اليهم من مواريث الامم الغابرة في هذا العلم بل أعادوا النظر فيما ترجم وعمدوا الى تنقيحة؛ وتجاوزوا ذلك الى الابداع فيه، فنفوا من طب الاوائل ما ثبت عندهم خطؤه، وتداركوا ما كان فيه من نقص، وأضافوا اليه الكثير الكثير من الجديد الذي هدتهم اليه بحوثهم وتجاربهم، حتى أصبح الطب عربيا خالصا وسارت فيه المقولة المشهورة: كان الطب معدوما فأوجده بقراط، وميتا فأحياه جالينوس، ومتفرقا فجمعه الرازي، وناقصا فأكمله ابن سينا، وبذلك صارت العربية لغة هذا العلم بلا منازع، حتى اضطر طلبة العلم من الغربيين الى ان يتعلموها ليدرسوا بها الطب وغيره من العلوم. ثم عكف فريق منهم على ما ألفه اعلام الطب المسلمون كالرازي وابن سينا والمجوسي من أطباء المشرق وابن رشد وابن زهر من أطباء الاندلس، وأخذوا يترجمونه الى اللاتينية لغة الدين والعلم عندهم اذ ذاك، وظل ما ترجموه عماد دراسة الطب فيما أنشىء في ايطاليا وفرنسا من مدارس لتعليمه، وامتد ذلك قرونا. وكان من ذاك أن سَرَى إلى لغة الطب في الغرب كثير من الالفاظ العربية.

وقد كان الطب العربي الاسلامي قمينا بأن يستمر في النمو والتطور لولا أَنْ قُدِّرَ لهذه الأمة أن تمر في اواخر القرن السابع الهجري بفترة ركود حضاري كان نتيجة حتمية لما دهاها من الاحداث والكوائن العظمى، في طليعة ذلك ان اصطلح عليها في آن زحفان لم يعرف التاريخ أكبر منهما الزحف الصليبي من الغرب يؤازره الزحف المغولي من الشرق، مما اضطرها الى أن تسخر على مدى قرنين معظم جهودها وطاقاتها لدرء هذا الغزو الذي كان يستهدف أصل وجودها، وما أن تم لها طرد الغزاة حتى فاءت الى بلهنية امتدت قرونا، على حين كان الغرب يستيقظ من رقدته الطويلة ويستأنف نشاطا حضاريا

جديدا انطلق فيه مما أخذه من الحضارة العربية الاسلامية. وما ان ذرّ قرن عصر النهضة الصناعية في ربوعه في القرن الثامن عشر للميلاد، حتى تمخضت تلك النهضة عن استحداث كثير من الادوات والآلات التي لم يكن للانسانية بها عهد، وعن استنباط تقنيات جديدة، مما هيأ الأسباب للكشف عن عالم ظل حتى ذلك الحين محجوبا عن الابصار، وذلك عالم المجهريات - عالم ما لا يمكن رؤيته الا بالمجاهر - واستعلنت حقائق من حقائق الحياة والوجود كانت خافية، فكان ذلك بداية طور جديد خلقت فيه العلوم خلقا جديدا، بدت معه كأنها لا صلة لها بما تقدم في العصور الغابرة، وكانت البداية التي انطلق منها تطور الطب حتى بلغ في ايامنا ما بلغ، أن اكتشف اذ ذاك حقيقة بدن الانسان وغيره من الاحياء، وان نُسُجَه مكونة من وحدات صغيرة هي التي تدعى بالخلايا، وأن اكتشفت أيضا الطفيليات الدنيا المتناهية في الصغر والجراثيم التي هي الاصل في كثير مما يصيب الانسان وغيره من الاحياء من أمراض.

هذا الى أن اصحاب الكيمياء تمكنوا في ذلك الحين أيضا من استحداث مركبات شتى سرعان ما أخذ كثير منها سبيله الى صناعة الصيدلة فركبت عقاقير طبية كثيرة، كانت انجع في المداواة من أدوية الطب القديم وهكذا تم استعراب الطب وسائر العلوم.

ولما قيض لا متنا أن تصحو من غفوتها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كان لا بد لاستكمال أسباب النهضة أن تضيف الى ما ورثته من حضارتها السالفة ما استحدثته الحضارة الغربية في باب العلوم والصناعة، وكان قصب السبق في ذلك لأرض الكنانة مصر.

وما ان انتهى أمر الحكم في مصر الى محمد علي حتّى انشأ - فيما انشأ من مرافق - مدرسة لتعليم الطب اقيمت أولا في أبي زعبل ثم نقلت الى قصر العيني في القاهرة. واستقدم لها اساتيذ من فرنسا، جاعلا التدريس فيها بالعربية. ونشطت الترجمة لأمهات كتب الطب، وتتابع ارسال البعثات. وكان لا بد بعد ذلك من ايجاد ألفاظ ومصطلحات طبية عربية سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطب اليوم: أحيوا من مصطلح الطب العربي الاسلامي ما رأوه وافيا بالغرض، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جد من مصطلحات، وأما ما لم يهتدوا فيه الى لفظ عربي مناسب فقد لجأوا فيه الى

التعريب، ولم يمض عقدان من السنين حتى استعرب الطب في جميع انحاء مصر استعرابا كاملا وبلغ عدة ما ترجمه وألفه اساتيذ هذه المدرسة ستة وسبعين كتابا اشتملت على ألوف من المصطلحات وقد امتد هذا الاستعراب زهاء سبعين عاما. ثم دهيت مصر سنة ١٨٨٢ بالاحتلال الانجليزي وسيطرة داهية القوم (دنلوب) على التعليم فيها، ففرض تعليم العلوم بالانكليزية وبذلك حلت الانكليزية محل العربية في مدرسة قصر العيني وغير اسمها فصارت (كلية الطب) ثم الحقت بعد بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة اليوم) وظل التدريس فيها بالانكليزية كما اراد (دنلوب) حتى اليوم.
وقفا اثر هذه الجامعة في ذلك سائر ما انشيء بعد في مصر من جامعات، مع أن النظام الاساسي لكل منها ينص صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية مع جواز التدريس بالانكليزية استثناء، الا ان واقع الأمر ان هذا الاستثناء أصبح هو الأصل. واخذت معالم الاستعراب السابق الذي تم على أيدي رجال صدق من أعلام قصر العيني وغيرهم من معاصريهم تمحي شيئا فشيئا حتّى كادت تندثر على رغم الجهود الكبيرة الصادرة التي بذلها رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة والأعمال العظيمة التي قاموا بها بمعونة خبراء من اساتيذ تلك الجامعات لتيسير أمر التعريب وتهيئة اسبابه.

وفي الحين الذي أخذ فيه استعراب الطب ينحسر في مصر بتأثير نظام دنلوب، اتيح للطب أن يستعرب مدة لم تطل في ديار الشام وفي بيروت منها خاصة، وكان ذلك على أيدي طائفة من المبشرين الامريكيين نزلوا اذ ذاك في بيروت وبعض ما يجاورها من قرى جبل لبنان لينشروا مذهبهم البروتستانتي، وتعلم نفر منهم العربية ليقوموا على ترجمة كتابهم المقدس بعهديه، ترجمة جديدة تحل محل الترجمة القديمة التي لم ترق لهم، حتى اذا انجزوا تلك الترجمة انشأوا لنشرها مطبعة ما تزال تعرف بـ (المطبعة الامريكية) وتلا ذلك أن نشروا ما ترجموا من الكتب المدرسية لمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ثم انشأوا في نطاق ما دعوه اذ ذاك (الكلية السورية الانجيلية) (جامعة بيروت الامريكية اليوم) مدرسة لتعليم الطب وجعلوا التعليم فيها بالعربية ودام ذلك نحو اثنتي عشرة سنة، ثم صار التعليم فيها بالانكليزية. وقد وضعوا خلال هذه الحقبة من الزمن بضعة عشر كتابا جيدا في شتى علوم الطب، وأفادوا في باب المصطلح من صنيع رجال قصر العيني، الا أن مصطلحاتهم لم تخل من خلاف لمصطلحات اولئك، مَرَدُّهُ الى أن هؤلاء كانوا

يستقون من مصادر انكليزية أمريكية، وأما اولئك فكانوا يستقون من أصول فرنسية، ولنسبب نفسه ما وجد نحو هذا الاختلاف بين مصطلحات قصر العيني والمصطلحات التي وضعت في السنين الأخيرة في مصر ذاتها.

ومع ان هؤلاء الاميركيين انما كانوا يرمون الى أغراض تبشيرية تشوبها مطامع استعمارية، فقد أفاد صنيعهم في رفع المستوى العلمي والطبي والصحي في ديار الشام عما كانت عليه الحال في سائر الولايات العثمانية.

والطريف في أمر هذه المدرسة الامريكية، ان العربية فيها لم تقتصر على التدريس بها فحسب، بل شملت شؤون الادارة والأمور القرطاسية الأخرى حتى ان الدولة العثمانية تساهلت معها في بادىء الأمر بقبولها العربية ايضا في اداء امتحانات الخريجين في استانبول من أجل منح الترخيص في حق ممارسة المهنة في البلاد العثمانية- لأن شهادة المدرسة وحدها لا تكفي لذلك- وعدلت الدولة عن العربية بأخرة ولم تقبل اداء الامتحانات الا بالتركية أو الفرنسية.

أما وقد اتيت على ذكر استانبول، ليبدو لزاما علي وأنا في صدد الالمام بتاريخ استعراب الطب - أن اعرج على دار الخلافة، لاتي على ذكر تجربة سبق أن المعت اليها في بعض احاديثي السالفة، وهي تجربة الدولة العثمانية في تتريك الطب، وذلك لأمرين: أحدهما أنها تضرب مثلا بطوليا في انفاذ الارادة القومية نحواً من المثل البطولي الذي يضربه صنع رجال القصر العيني،والآخر اذ حركة الاستعراب الأخير أفادت من هذه التجربة من الوجه الذي سأذكره.

كانت البدايات التي مهدت لهذه التجربة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي عندما حاول السلطان محمود الثاني أن يدخل الاصلاح بالاعتماد على النسق الاوربي في أجهزة الدولة ومؤسساتها وان ينهض بها بعدما بلغت من الضعف ان كانت تدعى في المحافل الدولية بـ (الرجل المريض) وكان من ذلك تأسيس مدرسة الطب على غرار المدارس الفرنسية فاستقدم من أجل هذا اساتيذ أجانب من اوروبا. وكان في عاصمة الخلافة مدرسة للطب تسير على النمط الاجنبي يدرس الطب فيها بالايطالية، وعهد الى أولئك بالتدريس باللغة الفرنسية معلنا في كلمته التاريخية في حفل التدشين

سنة ١٨٣٩ ما معناه: ليس بوسعنا أن نجعل التدريس بالتركية الآن واني أعدكم بأن يتم هذا في القريب العاجل.

ولم يتح لهذه الإرادة السنية -كما يقولون- ان تتم في حياته، وتحققت في أيام خلفه السلطان عبد المجيد بعد احدى وثلاثين سنة وأربعة شهور وخمسة عشر يوما (كما جاء في احدى المجلات الطبية) والسبب في ذلك المعارضة الشديدة للأساتيذ الاجانب، اذ كانوا من دول مختلفة بينهم النمسوي والفرنسي والايطالي والانكليزي ومعهم اساتيذ من الروم والأرمن من رعايا الدولة العلية كما كان يطلق عليها ولم يكن فيهم من الاتراك الا اثنان فقط.

اسخطت الحال الرأى العام، وكان في طليعة الساخطين طلبة الطب انفسهم ولم يدعوا ان يبيّنوا عن هذا السخط في أية مناسبة، وعن رغبتهم في أن يكون التدريس بالتركية مما دعا الصحافة - التركية المناصرة لهم أن تنعتهم بـ (الطلاب المجاهدين) ولقيت دعوتهم قبولا لدى رجال الحكم وعلى رأسهم المدعو أسعد باشا رئيس ما يسمى بالشورى العسكرية، فقد استدعى هذا، ثلاثة من كبار هيئة التدريس الاجانب وسألهم: أى الأمرين أجدى وأعود بالنفع على الأمة، التدريس بلغة أجنبية أم التدريس بلغتنا القومية؟ فلم يسعهم الا ان يجيبوا بأن التدريس بالتركية أجدى فائدة. وكان اقرارهم هذا، سنداً قوياً للقضية، وانتصرت ارادة الأمة وشرع بالاعداد للأمر عدته، وألفت جمعية طبية تضم كبار الاطباء عرفت بـ (الجمعية الطبية العثمانية) من أهم مهامها وضع مصطلحات طبية من أجل تدريس الطب بالتركية.

بدأ تتريك تعليم الطب من السنة الخامسة (وهي الأولى بترتيبنا اليوم) واستغرق خمسَ سنوات، وكان من اهتمام السلطان عبد المجيد بشأنه حضوره بالذات امتحانات التخرج.

وكان تتريك الطب في الحقيقة شبه استعراب له وممهدا للاستعراب الكامل، اذ كان نحو ٩٠ في المئة من مصطلحاته ألفاظا عربية. ومما مهّد للاستعراب الأخير عمل آخر أقدمت عليه الدولة العثمانية ايضاً في أوائل هذا القرن، وذلك ان انشاء المبشرين البروتستانت الاميركيين سنة ١٨٦٦ مدرستهم التي سلف الحديث عنها في بيروت، حفز

منافسيهم المبشرين الكاثوليك على ان ينشؤوا سنة ١٨٨٢م مدرسة اخرى للطب فرنسية باسم (جامعة القديس يوسف) وبقيام هاتين المدرستين أصبحت بيروت المرجع الطبي المنظور اليه لا في بلاد الشام وحدها، بل في أكثر بلاد الشرق الادنى ايضا، فحمل ذلك الدولة العثمانية سنة ١٩٠٣م على ان انشأت مدرسة للطب في دمشق، لتنافس تلكما المدرستين من جهة، ولسد حاجة البلاد الى اطباء وصيادلة من جهة اخرى. وما ان اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م وخاضت الدولة العثمانية غمارها حتى جندت هيئة التدريس واكثر طلابها، وأغلقت ابوابها ثم اعيد افتتاحها سنة ١٩١٦ بعد الحاقها ولكن في بيروت وفي مباني جامعة القديس يوسف اليسوعية، وكانت الدولة قد صادرتها، واستمرت هذه المدرسة قائمة الى ان انتهى الحكم العثماني في أواخر ١٩١٨م وقد تخرج منها خلال ١٥ سنة ٢٤٠ طبيباً و ٢٨٩ صيدلانياً جلهم من الشاميين، وأما القلة الباقية فكانوا من الترك والارمن.

في خريف عام ١٩١٨ تحررت دمشق مع غيرها من بلاد الشام، من الحكم العثماني، بحلول الجيش العربي (جيش الثورة العربية الكبرى) فيها بقيادة المغفور له الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل الأول فيما بعد) صبيحة احتلال الجيش البريطاني لسورية بأكملها من الجنوب الى الشمال ومن الساحل الى الداخل، وأطلق على هذه البلاد وقتئذ اسم (بلاد العدو المحتلة) وأخضعت للحكم العسكري وكان من نصيب دمشق تولية الحكم العسكري فيها للفريق علي رضا باشا الركابي، ابن دمشق البار، بلقب (الحاكم العسكري العام) مع منحه سلطة تشبه ما يعرف اليوم بالحكم الذاتي.

وما ان رأى الناس الراية العربية المربعة الالوان ترفرف في السماء حتى تنفسوا الصعداء عمت الفرحة ودب الحماس فيهم بما يصعب وصفه، وسرعان ما هرع الكل الى تأييد الحكم العربي القائم وشد أزره، لا سيما وكانت الحكومة ممثلة فيه كل البلاد العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية، وشرع بالاستعراب ونبذ كل ما ليس عربيا من ألفاظ ومُسَمّيات درجت على الالسن، وبخاصة فيما يتعلق بدوائر الحكومة والمصالح العامة، وفي مقدمتها لغة التدريس في المرحلتين الابتدائية والثانوية، وتهيئة ما يحتاج اليه التدريس من كتب عربية، تم ذلك بسرعة عجيبة وسع ما بذل من اهتمام بلا كلال ولا ملل.

بين الصحف والمجلات التي ظهرت في مطلع عام ١٩١٩، مجلة اسبوعية اصدرتها مديرية الصحة العامة، لا يتجاوز عدد صفحاتها في بادىء الأمر الثمانية وأصبح بعد قليل ست عشرة صفحة تعنى بالاصل بالشؤون الصحية، نشر فيها المرحوم الدكتور حكمة المرادى سلسلة من المقالات بعنوان (اللغة العربية والطب) صحح فيها الكثير من الاخطاء الشائعة بين جمهور الاطباء من الفاظ ومصطلحات طبية أخذت عن التركية (وذلك قبيل افتتاح مدرسة الطب) واستمر في النشر بعده، مما كان له الأثر الحسن وعد أول خطوة في الاستعراب. وكان الحدث العظيم في مطلع السنة ذاتها، اعادة افتتاح مدرسة الطب بدمشق، لتخلف مدرسة الطب العثمانية السابقة. اقيم حفل الافتتاح يوم ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٩ في احدى باحات المستشفى الحميدي (مستشفى الغرباء كما يعرف به ايضا) شهده جمع غفير من رجال الحكم والعلم والثقافة وناب في رعايته عن الحاكم العسكري العام، مساعده اللواء ياسين باشا الهاشمي العراقي الانتماء وألقيت الخطب الحماسية مشيدة في شأن هذه الخطوة المباركة، ولم يمض على هذا الحفل الا اشهر معدودة حتى تلته مأثرة ثانية للحاكم العسكري العام بأن أقر تأسيس المجمع العلمـــي العربي ، ثم افتتاح مدرسة للحقوق بدمشق أيضا لتخلف مدرسة الحقوق العثمانية التي كانت قائمة في بيروت قبل اعلان الحرب العالمية. وبعد شهرين تفضل الامير فيصل بزيارة المدرسة مبديا سروره واعجابه بما تم.

تولى التدريس في مدرسة الطب العربية (هكذا كان اسمها ثم سميت بالمعهد الطبي العربي من الجامعة السورية وأخيرا كلية الطب من جامعة دمشق) تولى التدريس فيها معلمون عرب من ذوي الاختصاص في شعب الطب والصيدلة، بينهم استاذ سابق في مدرسة الطب العثمانية في استانبول الاستانة وجلهم من مساعدي الاساتيذ الاتراك في مدرسة الطب العثمانية بدمشق والى جانبهم بعض كبار الاطباء العسكريين المتخصصين في الجيش العثماني ثم الجيش العربي وكلهم ممن درس الطب بالتركية، الا استاذاً واحداً كان من خريجي كلية الطب اليسوعية في بيروت التحق بالثورة العربية الكبرى وهو ضابط في الجيش العثماني كان ممن يجيدون العربية.

لم يكن هؤلاء الاساتيذ على مستوى واحد من معرفة اللغة العربية من بينهم المجلون ويعدون بحق رواد الاستعراب في الشام وهم الاطباء جميل الخاني وأحمد حمدي الخياط

ومرشد خاطر والصيدلي عبد الوهاب القنواتي ولم يلبث غيرهم ان بادر الى تعلم الفصحى واتقانها حتى بَذّ التقيد بها بالتدريس في المعهد الطبي الكليات غير العلمية بشهادة احد المستشرقين الذين زاروا دمشق.

وفي صيف ١٩٢٠ احتل الجيش الفرنسي البلاد فقضى على الحكومة العربية القائمة بعد ان سبق اعلان استقلال سورية في ربيع العام نفسه مع البيعة للمغفور له فيصل بن الحسين ملكا دستوريا عليها بحدودها الطبيعية، ونجم عن هذا الاحتلال بعض التغيير في كيان مدرسة الطب العربية، بعد أن انسحب من هيئة التدريس فيها عدد من اعضائها منهم من هو على صلة وثيقة بالعهد السابق الذي أبى رجاله الاذعان لانذار العدو، ومنهم من عرف عنه الارتباط باللجنة الوطنية العليا التي قادت الأمة في جهاد العدو المغتصب، وحل محلهم من يدانيهم في الكفاية من اطباء وصيادلة.

وبعد ان توطد الامر للعدو المحتل، وكان لا بد له من التدخل في شؤون المدرسة، فرض اتباع النظام الفرنسي في برامجها دون غيره، وضم الى هيئة التدريس ثلاثة من الفرنسيين. وعلى رغم ذلك تابعت حركة الاستعراب مسيرها ولم يثنها عن المتابعة عائق، وكل ما هنالك ان الاساتيذ الفرنسيين كانوا يلقون دروسهم السريرية (وهي الدروس العملية التي تلقى حول سرير المريض) بالفرنسية ويقوم بترجمتها الى العربية احد المساعدين، ثم أستغنى عن الترجمة عندما تقدمت معرفة الطلاب بالفرنسية وصاروا قادرين على فهم ما يلقى بها.

وفي سنة ١٩٢٣ أحدثت ادارة الجامعة السورية (جامعة دمشق) لتضم معهدي الطب والحقوق والمجمع العلمي العربي، الا ان المجمع لم يلبث ان انفصل عن الجامعة متمتعا باستقلاله الخاص مع مثابرته على رعاية الاستعراب في شتى المؤسسات.

وفي سنة ١٩٢٤ بدأ المعهد الطبي العربي باصدار مجلة شهرية تحمل اسمه (مجلة المعهد الطبي العربي) ترأس تحريرها الاستاذ مرشد خاطر وعاشت اثنين وعشرين عاما (١٩٢٤ - ١٩٤٦) وقد اسهمت هذه المجلة اسهاما كبيرا في ازدهار المعهد وتقدمه من الناحيتين العلمية واللغوية: فمن الناحية العلميّة أخذت تنشر البحوث العلمية الأصيلة التي كان يقوم بها اعضاء هيئة التدريس ويتناول معظمها دراسات عن الامراض القرئية (المستوطنة) في القطر من أقصاه الى اقصاه، الى جانب مقتبسات من الصحافة الطبية

الاجنبية عن كل جديد في عالم الطب . ومن الناحية اللغوية فقد افاد منها استعراب علوم الطب فائدة لا تثمن ، فعلى صفحاتها عرض على بساط البحث الالفاظ والمصطلحات المتداولة في التعليم لتكون موضع دراسة وتمحيص ونقاش لا من قبل الاطباء الاخصائيين واللغويين في القطر وحده ، بل شاطرهم هذا نظراؤهم من الاقطار العربية الأخرى مما مكن من اختيار الاصلح منها .

على هذه الوتيرة سار تعريب علوم الطب والمعهد الطبي العربي ماض على الدرب حتى في عهد الانتداب الفرنسي على رغم العراقيل التي كانت تُوضع في سبيله خفية .

تبدلت الحال بعد جلاء الأجنبي عن البلاد ، وما ان نعم القطر بالاستقلال التام حتى صار عدد أعضاء هيئة التدريس اضعاف ماكان عليه من قبل ، لكثرة ما أحدث من فروع وشعب جديدة ، ولتعدّد البعثات الى الجامعات الاجنبية من شرقية وغربية . وكان ذلك مدعاة الى تعدد ما يقترح في مقابل المصطلح الواحد ، مما حمل معهد دمشق على تأهيل لجنة باسم(لجنة المصطلحات الطبية) قوامها الاساتيذ مرشد خاطر وأحمد حمدى الخياط وصلاح الدين الكواكبي لترجمة معجم كليرفيل الفرنسي الكثير اللغات الى العربية ، وقد صدرت الترجمة المذكورة عام ١٩٥٦م مشتملة على بضعة عشر الف مصطلح ، وأعتمدت رسميا لتكون مرجعاً وحيدا في هذا الشأن .

عُدّ صدور هذا المعجم في حينه خطوة جديدة لتعزيز تعريب علوم الطب وفي سبيل توحيد المصطلحات في القطر ، والحد من تعدد المترادفات في الكثير منها ، وفسح ظهوره المجال أمام النقاش والنقد وابداء الرأى فيما اشتمل عليه .

تقدت هذا المعجم بنشر سلسلة من المقالات في مجلة المجمع العلمي العربي(مجمع اللغة العربية بدمشق بعنوان(نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات) بلغت عدتها ستاً وسبعين مقالة نشرت على اثنين وعشرين عاماً من المفيد ان انقل اليكم ما قلت في خاتمتها :«لست ادعي اني جئت فيما عرضت له بالقول الفصل ، اكبر ظني اني لو اتيح لي معاودة النظر في هذا الذى كتبت لزدت اشياء ، وغيرت أشياء واستدركت أشياء ، الا اني أرجو أن اكون بما صنعت قد اسهمت ولو اسهاماً ضئيلًا في وضع مصطلحات الطب ، وأن أكون ذللت بعض المصاعب ، لأن

الطريق طويل، والحاجة الى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة ما دام العلم في تطور ونمو ».

وثمة خطوة أخرى حاولت جامعة دمشق أن تخطوها، ولكن لما يكتب لها تمام التنفيذ. وذلك أنه اقدم استاذان من رواد استعراب الطب فيها، وهما الدكتوران: احمد حمدى الخياط، ومرشد خاطر على وضع معجم فرنسي عربي موسع، شرحا فيه المواد شرحا وافيا، وجاء في ثلاثة أسفار، ثم لم يتيسر لهما نشره. ومضت سنوات توفي خلالها أحد واضعيه: الدكتور مرشد خاطر ثم قررت وزارة التعليم العالي تقديرا منها لهذا العمل الثمين أن تطبعه على نفقتها بمناسبة احتفال كلية الطب بعيدها الذهبي(مرور خمسين عاما على تأسيسها) فعهد الاستاذ احمد حمدى الخياط الى نجله النجيب الدكتور محمد هيثم الخياط(وهو سرّ ابيه حقا) أن يعيد النظر في هذا المعجم وأن يتسع في ذلك ويضيف اليه ماجد في بابه. وأن يراعي ما نقد به المعجم السابق(معجم كليرفيل الكثير اللغات) ولا سيما مقالاتي التي تقدم ذكرها، وما تتفق عليه الكلمة في المعجم الطبي الموحد—وكان قيد الاعداد— وأن يذكر الى جانب الالفاظ الفرنسية ما يقابلها بالانكليزية أيضا. وأن يلحق به سفراً رابعاً يشتمل على مسردين للالفاظ احدهما عربي والاخر انكليزي— لاتمام الفائدة.

وصدر السفر الأول من هذا المعجم(معجم العلوم الطبية) سنة ١٩٧٤ وهو يتضمن المواد من حرف A الى E ويقع في ٦٠٤ ص في كل منها ثلاثة أعمدة. وقد ضبطت فيه الالفاظ العربية بالشكل. الا ان الدكتور هيثم اضطر— بعد وفاة والده رحمه الله— الى التريث في متابعة العمل حتى يفرغ من الطبعة الثالثة من المعجم الطبي الموحد الذى سيأتي خبره ولعله منجز ما وعد به قريبا ان شاء الله.

وهناك معجم آخر نشر في دمشق ايضا سنة ١٩٧٠م وأنفقت نقابة أطباء الاسنان فيها على طباعته، وقد وضعه الدكتور ميشيل الخورى الأستاذ السابق في كلية طب الاسنان واحد اعضاء مجمعنا الراحلين، واسمه «معجم مصطلحات تعويض الاسنان «— انكليزي — عربي — افرنسي» وقد ضبطت مواده بالشكل، وشرحت بالعربية أيضا. ولعل هذا المعجم هو المعجم الوحيد في بابه حتى يومنا هذا.

وعلى غرار ما جرت كلية الطب بجامعة دمشق جرت مختلف كليات الطب التي انشئت في سائر المدن السورية .

هذا ، وقد قادني الى الحديث عن هذه المعاجم التي ظهرت في دمشق اني في صدد الحديث عن الاستعراب الجديد الذى تم فيها . واما من حيث التاريخ فكما كانت مصر مهد التجربة الاولى في استعراب الطب كانت السابقة الى وضع المعجمات الطبية لتعزيز الترجمة الى العربية أيضا . ولعل أول معجم هو المعجم الذي ترجمه عن الفرنسية الدكتور محمود رشدي البقلي من اطباء قصر العيني ، ونشره في باريس سنة ١٨٧٠ ثم كان المعجم الذي وضعه ونشره في اوائل القرن الدكتور محمد شرف باسم (معجم انجليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية) وهو يعد بحق أبا المعجمات الطبية العربية ، وسيظل عمله شامخا في تاريخ استعراب الطب الحديث .

وبمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالعيد الخمسيني لتأسيسه ، فقد نشر في العام الماضي الجزء الأول من معجمه (معجم المصطلحات الطبية) من وضع لجنة المصطلحات الطبية فيه ، وباشراف مقررها الأستاذ الدكتور حسن علي ابراهيم ، اقتصر هذا الجزء على مواد من حرف A الى C ، مع تعريف واف لها ، والمأمول ان يتوالى صدور الاجزاء الباقية بسرعة ، لأن المجمع سبق له ان اورد معظمها في نطاق ما يصدره سنويا من (مجموعة المصطلحات العلمية والفنية).

واسهم المجمع العلمي العراقي في الاعداد لتعريب علوم الطب ، بنشره عدة مجموعات من مصطلحات علوم الطب على اختلاف انواعها ، يرجى عند اتمامها ان تكون معجما طبيا عربيا كاملا ، كما ولمجمع بغداد الفضل ايضا في المساعدة الخيرة التي تكرم بها في اسهام نائب رئيسه الأستاذ الدكتور محمود الجليلي بترؤس تحرير الطبعتين الاولى والثانية من (المعجم الطبي الموحد) تلبية لا تحاد الاطباء العرب وسيأتي ذكر طبعته الثالثة .

وثمة كبير الامل في ان يسهم مجمعنا هذا النشيط (مجمع اللغة العربية الأردني) الذي نلتقي اليوم في رحابه (بضمه الى سلسلة المترجمات العلمية القيمة التي اضطلع بنشرها منذ سنين ، مترجمات طبية مماثلة في الاسهام والتوطئة لاستعراب الطب في هذا القطر العزيز .

وبين منشورات تذكار العيد المئوي لتأسيس الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٦٦ صدر قاموس حتّي الطبي انكليزي عربي لمؤلفه الصديق الدكتور يوسف حتي الاستاذ الاسبق للامراض الباطنة وعلم التشريح في الجامعة المذكورة، لا تقل مواده عن ٥٠ ألفا استقى مصطلحاته الطبية من شتى المراجع قديمها وحديثها، ضمها ٧٥٨ صفحة على عمودين بالاضافة الى ما اورد في آخر المعجم بعنوان (فهرس القاموس للالفاظ العربية ومعانيها الانكليزية) جاء في ١٠٦ صفحات على ٣ اعمدة. وان في اعادة طباعته اربع مرات خلال السنين الماضية لدليلا على ما لقيه هذا المعجم من رواج وما يستحقه من تقدير.

وخاتمة المطاف ومسك الختام في مجموعة المعجمات الكاملة الصادرة حتى اليوم، صدور الطبعة الثالثة من (المعجم الطبي الموحد) قبل سنتين برعاية مشتركة بين كل من مجلس وزراء الصحة العرب ومنظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وبدعم مادي خير تشكر عليه) بعد ان عكف على تحضيره طوال عدة سنين لجنة قوامها احد عشر عضوا من الأساتيذ الأطباء المجمعيين والجامعيين من سبعة اقطار عربية، بذت هذه الطبعة الأخيرة سابقيتها، بأن اصبح المعجم فيها ثلاثي اللغة (انكليزي - عربي - فرنسي) مع تنقيح في بعض ما سبق من مواد وزيادة فيها، (اذ اصبح عدد مواده زهاء ٤٠ ألفا) وامتازت بأن اشتمل مجلدها الأنيق على ٧٦٠ صفحة من المتن، تلاها ١٦ صفحة للوحات ايضاحية و ١٠٠ صفحة لمسرد عربي انكليزي على ثلاثة اعمدة، تمت الطباعة الجيدة في سويسرة وبعناية الزميل النشيط مقرر اللجنة الأستاذ الجامعي والمجمعي الدكتور محمد هيثم الخياط وجهوده.

والنية معقودة على ان تعيد اللجنة النظر فيه - أمر لا بد منه - لاضافة ما فات اللجنة اضافته وما استجد منذ سنوات، وبأخرة، للبحث في تحضير نسخة من المعجم بترتيب فرنسي عربي انكليزي تلبية للرغبة واتماما للفائدة.

هذا بايجاز، ما تم التوصل اليه على حد علمي - في قضية استعراب علوم الطب ومما لا شك فيه انها لا حدى قضايانا المصيرية الكبرى التي لا تحتمل ادنى تهاون. ولن يكون لنا وجود متميز تتجلى فيه اصالتنا الخاصة ويهيىء لنوابغنا اسباب الابداع، الا اذا كان للغتنا القومية الهيمنة في جميع مجالات حياتنا وفي طليعتها العلم والتعليم على

مختلف مستوياته. وانما قصصت فيما سلف تجارب اسلافنا التي تقدم امثلة بطولية في هذا الباب، ثم تجربة الجامعة السورية، (جامعة دمشق) التي ما تزال قائمة مستمرة لأبين أن صحة النية وصدق العزيمة في السعي الى تحقيق الأماني والمطامح القومية كفيلان بتذليل اقسى العقبات، وألححت على قضية المصطلح لأن هذه القضية في طليعة ما يتعلل به الزاهدون في التعريب والمشككون في الاقتدار على المضي فيه، على حين ان قضية المصطلح- من حيث هو الفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة- ليست بصميم المشكلة، بل قد تكون- على مالها من شأن- أهون جوانبها، **وانما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصورها ثم الابانة عنها**، ولن يتم حلها وتذليل صعابها الا بالتصميم على ذلك والشروع فيه وان اضطررنا- ولو الى حين- الى استعمال المصطلحات الاجنبية بلفظها الاجنبي. هذا مع ان الاعمال التي قامت بها في هذا الباب مجامعنا العلمية واللغوية- وفي طليعتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب والجامعات التي تدرس بعض العلوم بالعربية- تقدم قاعدة صالحة لتعميم تعريب العلوم. ولئن كنا لما نصل الى توحيد ما وضع من مصطلحات توحيداً كاملاً، فإنّ هذا لا بد من مثله في بدايات كل عمل، بل قد يكون مما لا بد من بقاء جانب منه، ولا سيما في أمة كأمتنا تنساحُ في رقعة من الأرض غاية من الاتساع. وما أظن أمة من الامم الكبرى تخلو من معاناة مثل هذه المشكلة أو ما يشبهها.

ومما لا يسعني الا ان اذكره أن على الحكومات العربية أن تولي لغتها القومية مزيدا من العناية في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي حتى يحذق الطلبة اصولها وطرائق التعبير فيها، وينمو زادهم من الفاظها، ويصبحوا قادرين على التعبير بها عن مختلف المعاني بيسر وسهولة، وأن تعنى بتنمية الدراسات اللغوية على اصول صحيحة واذا ما تم لنا ذلك- ولا بد ان يتم ان شاء الله- فلن تكون قضية استعراب العلوم بالمشكلة المستعصية. وما أظن احدا من أولي النظر - وان كان ممن لا يرون التعريب - الا منطويا في غيب نفسه على الاعتراف بصدق هذا الذى ذكرت. ان قضية التعريب أمانة في عنق كل منا وما علينا بعد، الا ان نخلص النية ونصدق في العمل ليتم لنا ما نطمح اليه. اللهم قد بلغت فاشهد.

الصعوبات المفتعلة على درب التعريب

للأستاذ الدكتور جميل الملائكة
استاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو المجمع العلمي العراقي)

نفرض ابتداء ان حتمية التعريب أمر مفروغ منه، وان في العودة الى الكلام عليه تكرارا مملاً نحن في غنى عنه. ومن ثمّ فمن اولى المشكلات انه ما زال بين المثقفين أناس يتخوفون من التعريب، أو هم لا يؤمنون بقضيته، فيختلقون في سبيله العقبات ويفتعلون أمامه الصعوبات.

هل ننتظر اكمال المصطلحات قبل البدء بالتعريب؟

فمن ذلك ما يجري الكلام عليه بين حين وآخر من عدم توافر المصطلحات العلمية الكافية لسدّ حاجة التعريب، والقول بان سعة المواد العلمية، وسرعة نموها في هذا العصر، مما يستلزم أُضعاف ما أعدّته وتُعدّه المجامع والهيئات المختصة من هذه الالفاظ العلمية. ان هذه النظرة الى الموضوع هي خاطئة في الأساس. فليس المفروض ان يجد أهل العلم عند المجامع والهيئات المعنيّة بالتعريب مصطلحا جاهزا لكل فكرة علمية دقيقة أو كشف علمي جديد. وانما يضَع العلماء، هم أنفُسهم، اللفظ العلمي، وهم يستعينون أهل اللغة في ذلك كلما دعت الحاجة اليه. ولو لم يكن الأمر كذلك لتأخرت مسيرة العلم في العالم المتقدم كثيرا. ومثل هذا فعل أسلافنا عندما نقلوا الى العربية علوم اليونان والهند إبّان ازدهار الحركة العلمية والحضارة في العالم العربي القديم. فهم لم ينتظروا حتى تزوّدَهم هيئات علمية ولغوية بالالفاظ التي استعملوها في لغة العلم. ومثال ذلك انهم وضعوا لفظ (الجبر) لهذا العلم الذي ابتكروه، واختاروا لفظ المنطق ليقابل اللفظ اليوناني Logikos، وآلافا من الالفاظ العلمية من هذا القبيل. وفي هذا العصر الذي سِمَتُه السرعة، لا يمكن ايضا لأصحاب الابحاث العلمية المتزايدة،

والفكرات المتطورة، والكشوف المتجددة يوما بعد يوم في العالم المتقدم، ان ينتظروا كل مرة ريثما تجتمع المجامع والهيئات لتضع لهم لفظا علميا او تُقرّه للاستعمال.

لا يصبح اللفظ مصطلحا الاّ بعد تداوله:

ان وقفة بسيطة على المراد بكلمة (مصطلح) يمكن ان تدلّ على الكثير في هذا الشأن. فاللفظ الذي يضعه فرد او هيئة لدلالة علمية او حضارية معينة لا يمكن ان يُصبح (مصطلحا) الاّ بعد ان (يَصطَلِحَ) ويتواضعَ عليه المشتغلون بذلك العلم او المعنيون بذلك الجانب من الحضارة. اما قبل ذلك فهو لا يعدو كونه لفظا مقترحا دعت اليه الحاجة الآنيّة للتعبير عن فكرة علمية او حضارية. ومن ثم فلن يمكننا الحصول على اي مصطلح، بالمعنى الحقيقي، الاّ بعد وضع اللفظ المقترح في حيِّز (الاستعمال). اي أن (التعريب) هو الذي يصنع لنا المصطلحات، وليس العكسُ، ولا بدّ لنا من ان نُدخل في مجال تعريب العلم لنحصلَ على مصطلحاته. إنّ حُجّة القائلين بالتريث في التعريب ريثما تكتمل المصطلحات متهافتة أساساً فهي تنقض نفسها بنفسها.

التعريب هو الذي يُفضي بالمصطلحات الى التوحيد:

ويُفضي بنا هذا الحديث الى أولاء الذين يقولون بالتريث في التعريب ريثما يتمّ (توحيد) المصطلحات. ولكنْ أيُّ مصطلحات توحَّد اذا لم تدخل الالفاظ المقترحة مجال الاستعمال؟ وأنّى يجري التوحيد اذا لم يتنادَ العلماء لتبادل الرأي في الألفاظ العلمية العربية التي استعملوها في تدريساتهم وفيما ينشرونه من بحوثهم وكتبهم المؤلفة باللغة العربية او المترجمة اليها؟ ان استعمال هذه الألفاظ والمصطلحات هو الذي يميّز بعضها على بعض، وان تداولها هو الذي يؤدي في الآخر الى اختيار الأصلح منها واقراره. وعلى هذه الشاكلة مثلا يكاد مصطلح **relative density** في الانكليزية ان يُزيح مصطلحي **specific density** و **specific gravity** للكثافة النسبية في الفيزياء، لكون الاول اوضح واجدر، بالبقاء. وهكذا تغلب مصطلح **roughness** على **rugosity** للدلالة على خشونة سطوح القنوات في علم الري وجريان الموائع، وزال مصطلح **fluxion** لمعنى (المشتقة) في الرياضيات وبقي مصطلح **derivative**.

وعلى هذه الشاكلة ايضا بقي عندنا مصطلح (مربّع) في الرياضيات، اي حاصل تربيع العدد، وزال مصطلح (مال) الذي استُعمل قديما للمعنى نفسه، وبقي (المفعول لأجله) او (المفعول له) في النحو وزال لفظ (العُذر)، وبقي علم (الفلك) وزال كلٌّ من مصطلحي (الهيئة) و (الاسطرونوميا) وكان هذا الأخير قد استُعمل في بادىء الأمر، وبقي مصطلح (المياه الجوفية) وزال مصطلح (المياه الخفيّة)، وبقي علم (المثلثات) وكان في زمن ما يسمى ايضا علم (الأنساب) لعلاقته بالنسب المثلثية، ومثل هذا كثير.

ليس عدم التوحيد عقبة في درب التعريب:

إنهم على أية حال يبالغون في اهمية هذا التوحيد والادعاء بأنه العقبة الكأداء في درب التعريب. فقد يبقى في الاستعمال مصطلحان لمعنى علمي بعينه زمنا طويلا دون ان يُزيح احدهما الآخر، بل قد يبقى عديد من المصطلحات للمعنى الواحد ولا يكون كبير ضَير في ذلك. وهكذا نجد بعضهم يعبِّر في علم الاحصاء عن مجموعة الاشياء التي تؤخذ منها عيِّنة للاستدلال منها على نَمَط التغير في المجموعة بلفظ universe، ويعبِّر عنه بعضٌ بلفظ population، وبعضٌ بمصطلح bulk، ويستعمل آخرون التعبير parent distribution(١). وفي هندسة التعدين تعددت المصطلحات الدالة على الدلو الكبير المتخذ لرفع العمال والماء والحجارة والادوات من المنجم فهو hibble وهو bowk وهو skip hoppit وهو sinking bucket(٢). وفي هندسة البناء قالوا للخَرَزة التي تلبِّس حول الحافة الداخلية للشباك المنزلق، لمنع جزئه الداخلي من التأرجح الى داخل الغرفة guard bead و guide bead و inner bead و window bead و baton و inside stop و stop bead. وتعددت المصطلحات المستعملة للخشبة المائلة لاسناد ما بين عارضتي السلالم العريضة فهي مرة carriage ومرة rough string وتارة bearer واخرى stair horse(٣). وفي الهندسة المدنية استعملوا للارض التي تُمدّ نهرا في نقطة معينة وتقع بين

---

(١) انظر: Grant, E.L.-Statistical Quality Control, Mc Graw-Hill, p.72, New York, 1946.

(٢) Scott, John S.- A Dictionary of Civil Engineering, Third Edition, Penguin Reference Books, London, 1980.

(٣) Scott, John S.-A Dictionary of Building, Penguin Reference Books, London, 1975.

حرفين مرتفعين في اعلى تلك النقطة تارة catchment واخرى gathering groundes ومرة watershed ومرة catch basin واخرى drainage area، هذا اذا لم نذكر catchment area و drainage basin [٤].

وثمة الكثير من امثلة تعدد المصطلحات عندهم للمدلول الواحد على هذه الشاكلة، وهو حاصل في مختلِف فروع المعرفة، واكثرُ منه ما يقتصر فيه عدد المصطلحات للمدلول الواحد على اثنين او ثلاثة، وهو أمر طبيعي في كل لغة مُفعمة بالحياة ينتشر استعمالها في رقعة كبيرة من الأرض - ولكنّ كل ذلك لم يؤخر مسيرة العلم عندهم قطّ. فليس عدم وَحدة المصطلح بذاته هو العائق الحقيقي لتقدم العلم، وان يكن الافضلُ ان نحاول تجنبه لتقليل اللّبس، وانما العائق الحقيقي من ذلك هو ما يفتعله الذين لا يؤمنون بالقضية.

الدوريات العلمية تواكب ترسيخ اللغة العلمية ولا تسبقه:

ومثلُ ذلك حُجّة القائلين بالانتظار حتى تظهر المجلات والدوريات التي تنشر البحوث باللغة العربية، فكأنهم بذلك يريدون بدء الموضوع من نهايته. ولكن بأيّ لغة علمية تُكتَب هذه البحوث اذا لم تترسخ اللغة العلمية اوّلاً بممارستها بالتدريس وتهذيب مصطلحاتها بالخطاب في معاهد العلم ومنتدياته ومؤتمراته ليتمكن منها المتعلم والمعلم والباحث والعالم؟ ولمن تكتَب هذه المجلات اذا كان القارىء لم يمارس اللغة العربيةَ العلميةَ وكانت متابعاته العلمية اليومية ودراساته كلها بلغة اجنبية؟

العربية اوفر عطاء من كثير من اللغات العلمية:

وأبطلُ من ذلك ادعاء بعضهم ضَعفَ اللغة العربية وعجزها عن وعاية علوم العصر والنهوض بمتطلباتها، وتلك أظلم تُهمَة اقترفها الاجنبي بحق لغتنا في زمن الاستعمار والتبعية، وبقيت مخلفاتها تضلّل عقول بعض الجهّال حتى يومنا هذا. فليست العربية

---

(٤) Nomenclature for Hydraulics, American Society of Civil Engineers, New York, 1962.

وانظر ايضا المرجع (٢) في الصفحة السابقة.

بأقلّ عطاء من عشرات اللغات التي اعتزّ بها أهلها، ولم تسمح لهم مشاعرهم القومية بالتخلي عنها، فاستعملوها للعلوم، فاستوعبتها جيدا ولم تقصُرْ عنها في شيء. بل ان العربية اغنى في خصائص الاشتقاق والمجاز والقياس من كثير من اللغات التي باتت تُدعى اليوم باللغات الحيّة زيادة في الثلب والنكاية في لغتنا.

وقد يتأثر بعض اولاء بلغة اجنبية درسوا علومهم بها واستدعت دراساتهم تعلّم جانب من قواعدها واصولها فيدينون لتلك اللغة بولَاء عجيب يتجاوز حدّ المعقول ويُزَهِّدُهم بالعربية ويصرِفُهم عن الايمان بمقدرتها على استيعاب العلوم وبجدوى التعريب. ولعلّ كثيرا من هؤلاء لم تسنح لهم الفُرصة للاطلاع على دقائق اللغة العربية ولطف خصائصها في التعبير وسعة عطائها في الوضع والاشتقاق والمجاز، ولو تسنى لهم اكتناهُ بعض ذلك لما وقفوا منها هذا الموقف المتهاون الظالم.

اللغات تختلف في خصائصها وطرائقها:

فاللغات الاوربية التي هي من اصول لاتينية او يونانية مثلا هي بطبيعتها (الصاقية). اي ان كثيرا من الفاظها يتألف من (جذر) ثابت لا يتغير في الأغلب، وهذا يمكن ان يغيِّر معناه بإلصاق (سابقة) او (صدر) في أوّله، او بإلصاق (لاحقة) او (كاسعة) في آخره، او بكلتا الاثنتين.

العربية اشتقاقية والصاقية:

اما العربية فتمتاز على تلك اللغات بكونها (اشتقاقية) فضلا عن كونها (الصاقية). اي ان اصل الفاظها الثلاثية الحروف في الأغلب، يمكن ان يدخله (حشو) بين حروفه، او (سابقة)، او (لاحقة)، او اكثر من واحدة من هؤلاء، فضلا عن أن حركات بعض حروفه الاصلية والزائدة قد يدخلها التغيير فيتغير المعنى.

ويمكن بقليل من التأمل، ادراك مدى الزيادة الكبيرة في احتمالات الاشتقاق والتوليد في اللغة العربية على سواها من اللغات اللاتينية واليونانية الأصول.

ومثال ذلك ان الفعل اللاتيني الاصل rage بمعنى (غضِبَ) يمكن ان يُصدَّر بسابقة

لِيُصبح enrage او outrage، او يُكسع بلاحقة مثل raged أو raging أو ragingly، أو تُلصق به سابقة ولاحقة مثل enraged و enraging و outraged و outraging و outrageous و outrageously و outrageousness.

أما مقابله العربي فهو يأتي (مجردا من الزيادة) بصيغة الفعل (غَضِبَ) والمبني للمجهول (غُضِبَ) عليه، والمصدر وهو (غضَبٌ) والمبالغة (غَضِبٌ) للشديد الغضب. ويدخله (الحشو) فهو (غاضِبٌ) للفاعل، وهو (غضوب) للمبالغة بمعنى الكثير الغضب، والداء منه (غُضاب) للجُدَري او قذى العين، ويقال (غاضَبَ) فُلانٌ فلانا. وهو يُصدَّرُ (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلانا، و (مُغضِب) للفاعل، و (مُغضَب) للمفعول، ويقال (استغضب) عليه بمعنى غضِب. وهو يكسع (بلاحقة) فيقال في الوصف (غضبان) و (غضبانة) و (غضبى)، والمرة (غَضْبةٌ). وقد تدخله اثنتان او اكثر من هذه الزيادات او تغيير الحركات. ومنه في المصدر (مَغضبةٌ)، ومنه (تغاضب) القوم، واسم الفاعل (متغاضِب) والمصدر (تغاضُبٌ)، ومنه (المغاضبة) مصدر غاضَبَ، وللفاعل (مغاضِب)، وللمفعول (مغاضَب)، ويقال (تغضّب) اذا اشتدّ غضبه، و (الغُضابيّ) الكدِر في معاشرته. وكثير مما جاء في اسماء هذا الباب يمكن جمعه إما سالما او مكسّرا، او تمكن النسبة اليه، او عملُ المصدر الصناعيّ منه، وغير ذلك من الاشتقاقات الكثيرة مما لم نذكره.

المجــاز:

اما مجال توسيع معنى اللفظ العربي بالخروج من حقيقته الى المجاز فكان وما زال من اوسع الأبواب في اغناء اللغة العربية. وقد يكفي للتمثيل في هذا الباب ايراد هذا الفعل (ضَرَبَ) الذي اصل معناه (الصدم او الاصابة بعصا او غيرها). فقد خرج منه على المجاز بضعُ عشرات المعاني والدلالات، ومنها:

(ضرب الشيءُ) اذا تحرك، و (ضرب الليلُ) اذا طال، و (ضرب القلبُ) نبض، و (ضرب العِرق) اختلج، و (ضربت السِّنُّ) اشتدّ وجعها، و (ضرب الزمان) مضى، و (ضربت العقرب) لدغت؛ و (ضربته العقرب) لدغته، و (ضرب على يده) حجر عليه، و (ضرب الخيمة) نصبها، و (ضرب النقودَ) سكهَا وسكبها، و (ضرب على

الرسالة) ختمها، و (ضربت العنكبوت بنسجها) خيّمت، و (ضرب له موعدا) عيّنه، و (ضرب عنه صفحا) أعرض عنه، و (ضرب في مجاهل الارض) ذهب فيها وأبعد، و (ضرب العودَ) عزَف به، و (ضرب الى الحُمرة) مال، و (ضرب له مثلا) ذكره له، و (ضرب له في مالِه نصيبا) جعله له، و (ضرب بنفسه الأرض) اقام فيها، و (ضرب في الماء) سبح، و (ضرب فلانا عن فلان) كفّه عنه، و (ضرب بينهم) أفسد، و (ضرب في الامر بسهم) شارك فيه، و (ضرب عليه النعاسُ) غلبه، و (ضرب الدهرُ بين القوم) فرّق بينهم، و (ضرب به عُرض الحائط) اهمله واحتقره، و (ضرب الخاتم) صاغه، و (ضرب عليهم الجزيةَ) فرضها، و (ضرب الليلُ بظلامه) أقبل، و (ضرب عليه الحصارَ) حاطه وضيق عليه، (وضرب الشيءَ بالشيء) خلطه، و (ضرب عليه الذِّلّةَ) أذلّه، و (ضرب عن فلان الشيءَ) أمسكه عنه، و (ضرب في البوق) نفخ، و (ضرب بذَقنه الأرض) جبُن وخاف، و (ضرب بالقِداح) أجالها، و (ضرب الصلاةَ) أقامها و (ضرب العدد في العدد) كرّره بقدره، و (ضرب أخماساً لأسداس) سعى في المكر والخديعة. فأيُّ لغةٍ تتّسع الفاظها لمثل هذا القَدْرِ من توليد المعاني بالمجاز.

لا نُخضع العربية لقواعد لغة اجنبية:

ومن مظاهر تقديس اللغة الاجنبية عند بعضهم ان يريدوا اخضاع اللغة العربية لقواعد هذه اللغة أو تلك، وتطويعَها لأساليبها في الاشتقاق والتعبير، مع أن لكل لغة طبيعتَها وطرائقَها التي تتميز بها عن سواها، ولا سيما اللغات المتباعدة الاصول.

ومن ذلك ما يحاولون تكلفه من التزام ترجمة كل لفظة اجنبية مصدرة بسابقة او مكسوعة بلاحقة، او كلتيهما، بلفظة عربية واحدة، وكأن ترجمةَ اللفظ الاجنبي في بعض الاحيان بلفظين عربيين عقبة كؤود في طريق التعريب. هذا فضلا عن أن بعضهم يرى ضرورة التزام صورة ثابتة لترجمة السابقة أو اللاحقة. وكل هذا من العبث الذي لا طائل فيه. فالترجمة تتحكم فيها عوامل كثيرة من بينها طبيعة اللغة، والذوق، والسّماعُ، وتجنب اللَّبْس، الخ، والمهم تكافؤ المعنى بين الأصل والنصّ المترجم **مثلما لا تستوجب صحة المعادلة الرياضية تساوي عدد الحدود في طرفيها.**

ولو نظرنا الى القضية من وُجهة معاكسة وتدارسنا ما يمكن ان يترجَم به الى الانكليزية

معنى (الطلب) في (الالف والسين والتاء) من صيغة (استفعل)، وهو بعض معاني هذه السابقة، أو معنى (التشريك) في صيغة (تفاعَل)، او (التكثير والتشديد) في صيغة (فعَّل) المضعّفة العين، او (التعدية) في صيغة (أفعَل)، او معنى (البناء للمجهول) في صيغة (فُعِل)، او معاني الكثير مما عدا ذلك من الاوزان وحروف الزيادة، لما وجدناهم يترجمون أياً منها بلفظة واحدة، بل اننا لا نجد عندهم، في الأغلب الأعم، سابقة او لاحقة لكل من هذه المعاني. وعلى هذا قد يترجمون لفظ (استنجد) بعبارة he asked for help مثلا، اي (طلب النجدة)، ولا يجدون ضيرا في ذلك، ويترجمون (تضاربوا) بعبارة they hit each other اي (ضرب بعضهم بعضا)، و (قتّلهم) he perpetrated slaughter upon them اي (اوقع بهم مجزرة)، و (أنامه) he put him to sleep اي (جعله ينام)، و (سُرِق) he was robbed. والاوربيون لم يخطر ببالهم، حتى في زمن ترجمة الكتب العربية الى لغاتهم، ان يخترعوا سوابق او لواحق لمقابلة أمثال هذه الاشتقاقات او الصيغ، وهي كثيرة. وهم لن يُجهِدوا قرائحهم في ذلك لأن فيه تكلفا لا مسوّغ له. فضلا عن ان لكل من تلك الزوائد والصيغ معاني أخرى غيرَ التي ذكرنا. فصيغة (استفعل) مثلا قد تأتي لغير الطلب كما في (استحسن) و (استقام)، و (أفعَل) قد لا تكون للتعدية كما في (أساء) و (أحسن)، وصيغةُ (فُعِل) قد تكون لغير المجهول كما في (جُنّ) و (ذُهِل)، الخ.

وكذلك لم يُثِرْ أسلافنا مثل هذه المشكلة عندما ترجموا علوم اليونان والهند. فلم تقف السوابق واللواحق اللاتينية واليونانية مثلا عقبة امامهم في طريق التعريب، ولم يَشْغلوا انفسهم يوما ما باختراع سابقة أو لاحقة تُلصق باللفظة العربية مقابل كل لفظة لاتينية فيها سابقة او لاحقة، كل ذلك من أجل تكلف ترجمة اللفظة الواحدة بلفظة واحدة.

غيرَ أن جهودا كبيرة صارت تضيِّع اليومَ عبثاً في هذا السبيل. ومن أمثلة ذلك المحاولات العقيمة التي بدأت منذ بضعة وأربعين عاما لاختيار وزن أو صيغة عربية بلفظة واحدة للالفاظ المنتهية باللاحقة -able (أو -ible أو -ble) على غرار breakable. ولقد كان جدل وخلاف طويل شارك فيه علماءُ وهيئاتٌ ومجامعُ علمية ولغوية. ومما اقتُرح لتلك اللاحقة اليتيمة، في اوقات مختلفة، ان تُستعمَل صيغةُ (الفعل المضارع) لمعنى اللازم او لمعنى مُوقِع الفعل، وصيغة (المضارع المبني للمجهول) للواقع عليه الفعل،

ووزن (فَعيل) ، و (فَعول) ، و (مستفعِل) ، و (مُفعِل) ، والخلافُ لما ينته بعدُ. غير ان نظرة سريعة الى ايٍّ من هذه الاقيسة يمكن ان تُظهِر بطلانها وتهافتها. فقد يصحّ في صيغة (المضارع) ان يقال مثلا (هذه المواد تنضغط) compressible و (تلك حال تتغير) changeable و (فاكهة تؤكل) edible ، لأنه قد يُفهم من كل ذلك معنى (لثبوت) المراد بهذه الالفاظ. ولكنّ المضارع قد لا يُفهم منه دائما هذا وانما قد يراد به ايضا معنى (الحدوث) لأنه يقترن بزمان يحتمل الحال او الاستقبال كما يعرفه النحاة. ومن هنا قد لا يحسُن مثلا ان يقال (هذا الرجل يطّلع) مقابل knowledgeable اذ قد يُفهم من ذلك أنه (يطّلع الآن) بدلا من (واسع الاطلاع). ولا أن يقال (هذه المادة تضاف) مقابل addible فقد يُفهم من ذلك (يجب ان تضاف) is to be added بدلا من (ممكنة الاضافة)، وفي كل ذلك مدعاة تُلبُس. ولئن صحّ في وزن (فعيل) ان يقال (ماء شريب) drinkable وهو مسموع، فلا يحسُن ان يقال (شخص فهيم) مقابل comprehensible لأن (الفهيم) صاحبُ الفهم والمرادُ (مفهوم). وقد يصحّ في وزن (فعول) ان يقال ايضا (ماء شروب) drinkable وهو مسموع، ولكن لا يحسُن ان يقال (سمك اكول) مقابل edible لأن الأكول (الكثير الأكل) والمراد (الصالح للأكل). ويمكن في وزن (مُفعِل) ان يقال (هذا كرسي مريح) comfortable ولكنه يتهافت في مقابل Iam comfortable فلا يصحّ فيه (مريح) وانما يقال (انا مرتاح). ويمكن في زنة (مستفعِل) ان يقال (مستقيد) مقابل manageable وهو مسموع من استقاد له اي انقاد وخضع، ولكن لا يصحّ ان يقال (مستطلع) مقابل knowledgeable لأن المستطلع هو (الذي يسأل عن الأمر او يطلب الرأي) والمرادُ هنا (الواسع الاطلاع).

ولكن لم كلّ هذا التكلف والتعسف وكثير من هذه المكسوعات يترجم بلفظ واحد بحسب طبيعة معناه مثلِ suitable (لائق) و placable (مُسَالم) و oudible (مسموع) و acceptable (مقبول) و placable (متسامح) و terrible (مخيف) و soluble (ذائب) و comfortable (مرتاح) أو (مريح) بحسب المعنى، و sensible (حسّاس) او (محسوس) كذلك، و changeable (متقلب) و comprehensible (مفهوم) و bearable (يُطاق) و edible (يؤكل)، وغيرِ ذلك. فان لم يَكْفِ لفظ

واحد فلفظان. وقد اتبع أسلافنا ذلك فقالوا (قابل للضغط) compressible و (جدير بالاحترام) respectable و (صالح للشرب) potable و (واسع الاطلاع) knowledgeable و (سهل المنال) accessible و (كثير الدوران) voluble و (محب للاحسان) charitable و (يستحق العبادة) adorable و (واجب التنفيذ) executable و (سريع التهيج) excitable و (خاضع للضريبة) dutable[٥]. وهم لم يجدوا في ذلك ضيرا. كما لم يجد الانكليز ضيرا في ترجمة صيغة اسم المكان التي هي من خصائص لغتنا ايضا بلفظين، فنقول (مَرْسَم) و (مَسْبَح) و (مَجْزَر) ويقولون drowing office و swimming pool و slaughter house، ولا يقف ذلك حجر عثرة في طريق العلم.

فحوى القول أننا لسنا بحاجة الى التزام صيغة او وزن معين لترجمة كل لفظة اجنبية مؤلفة من جذر وسابقة او لاحقة. ولو اننا تذكرنا ما عليه كثير من المشتغلين في العلوم من قلة البضاعة في اللغة العربية وفقهها لأدركنا فداحة الاخطاء التي قد تنجم عن التزام مثل هذه الاقيسة في ترجمة الالفاظ والمصطلحات.

وافدح من ذلك ان نتكلف اختيار مقابل عربي معين لكل سابقة أو لاحقة اجنبية ثم نُلصقه الصاقا باللفظ العربي. فهو ليس من طبيعة نقل اللغات، كما اتضح من صعوبة نقل حروف الزيادة العربية الى اللغات الاوروبية، فضلا عن ان كل سابقة او لاحقة من هذه الملصقات الاجنبية التي تعدّ بالمئات قد يكون له معان كثيرة كما اتضح من مثال اللاحقة التي ذكرنا.

لا نستعمل الفاظا نصفها عربي ونصفها الآخر اعجمي:

وتجدر الاشارة هنا الى ان بعضهم يذهب أبعد من ذلك كثيرا فيُصرّ من فرط انبهاره بلغة اجنبية على الصاق اللاحقة اللاتينية او اليونانية كما هي باللفظ العربي، وفي ذلك ما فيه من مسخ للغتنا الجميلة وطمس لهُويتها. فمن أمثلة ذلك أنه ظهرت حاجة في

(٥) انظر: الملائكة، الدكتور جميل - «في ترجمة المكسوعات بـ -able و -ible و -ble ومحاذير القياس»، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزءان الثالث والرابع، المجلد الثاني والثلاثون، ص ١٦٧ - ١٨٥، بغداد، تشرين الاول ١٩٨١.

اللغات الاوروبية خلال النصف الاول من هذا القرن الى تسمية وَحَدات وجسيمات من أشياءَ متناهية في الصغر في الفيزياء النووية، فَعَمَدوا الى استعمال اللاحقة اليونانية on . التي اصطلحوا بها للدلالة على معنى (الوَحدة الأُصغرية او الجُسَيم الابتدائي) من الشيء وان كان اصل معناها (الذّهاب)، فألصقوها بالجذور اللاتينية او اليونانية الدالّة على تلك الأشياء للحصول على مصطلحات مثل phonon و photon و electron (وهذه كانت قد ظهرت في اواخر القَرن الماضي) و nucleon و neutron و proton وغيرها. ومعاني جذور هذه الأشياء على التوالي، (صوت) و (ضوء). و (كهرب) و (نواة) و (متعادل) و (اول أو ابتدائي)[٦]. ولقد كانت حصيلةُ اصرار هؤلاء على ابقاء اللاحقة الاجنبية وترجمة الجذر الى العربية المصطلحاتِ الغربيةَ (صوتون) و (ضوؤون) و (كهربون) و (نُوَوُن) و (ابتدائيون) و (متعادلون)، الخ. وهم لتشبثهم بهذه اللاحقة الاجنبية وشدة اعجابهم بها يحتجون بان اهل الاندلس الحقوا الواو والنون ببعض الاسماء على غرار (حمدون). و (زيدون) للتحبب وهو يشبه التصغير. ولكن كيف توحي ألفاظ (ضوؤون) و (كهربون) و (متعادلون) بمعنى التناهي في الصغر واظهر ما في هذه الواو والنون معنى الجمع الذي يكاد يناقض دلالة التصغير؟ ولم كل هذا التمسك باللاحقة الاجنبية والانقياد ولخصوصيات لغة غريبة عن لغتنا وافتعال الحُجَج لها مهما كانت واهية؟ أليس اسهلَ واقلَّ امتهاناً للعربية وتشويها لصفاتهاان نستعمل صيغة التصغير العربية فنقولَ مثلا (صُوَيْتَه) و (ضُوَيْئة) و (كُهَيرِبة) و (نُوَيّة) و (بُديئة) و (معيدِلة)، الخ؟ وماذا سيكون مصير العربية العلمية لو أن جُلّ اسمائها يصبح على غرار (صَوْتيم) و (صَوتيك) و (صَوْتون) و (صَوْتولايت)، و (كهربود) و (كهربون) و (كهربوم) و (كهربولايت) و (كهربوليسس) لتقابل مصطلحات phoneme و phonics و phonon و phonolife (وهو صخر بركاني له رنين عند دقّه)، و electrode و electron و electrom (وهو سبيكة من الذهب والفضة) و electrolyte و electrolysis، الخ؟

---

(٦) انظر: Webster's Ninth New Collegiate Dictionary,
Merriam Webster Inc., Publisher, Springfield, Mass.
U.S.A., 1983.

لعله افضلُ ان يبقى استعمال بعض هذه المصطلحات الأجنبية اذا استعصت ترجمتها على المشتغل بالعلوم الى حين وجدان مقابلات لها عربية، من ان نحولها الى الفاظ نصفها عربي ونصفها اعجمي.

المصطلح يوضع لأدنى علاقة بالمعنى:

ولكنْ لا ننسَ ان المصطلح يوضع لأدنى ملابسة بالمعنى. وحتى هذه المصطلحاتُ الاجنبيةُ نفسُها ليست دلالتُها اللغوية البسيطة بمؤدية معانيها العلميةَ الدقيقة. لولا انها اصطُلح بها لهذه الأغراض. ومن ثَمّ فليس من الصعب اطلاقا الاصطلاحُ بمقابلات عربية لها، من دون الانقياد لشكل تركيبها، اذا استعان المشتغل بالعلوم اهلَ اللغة في ذلك.

اما الادعاء بان اكثر المصطلحات الاجنبية يؤدي من المعاني الدقيقة مالا تؤديه الالفاظ العربية فهو كلام لا يصدُرُ الاّ عن غير متضلع في اللغة الاجنبية ولا عارفٍ بدقائق اللغة العربية.

ضرورة الحدّ من شيوع الالفاظ الاعجمية:

ويُفضي بنا هذا الكلام اخيرا الى ضرورة العمل على الحدّ من تكاثر شيوع الالفاظ الاعجمية على غرار (الراديو) و (التلفون) و (البندول) و (الفرامل) ولا (الايسوتوب) و (الهيليوكوبتر) و (الكمبيوتر)، التي يُصِرُّ على بقائها بعض المبهورين باللغات الاجنبية متذرعين بمختلف الحُجَج مثلِ دقة دلالة اللفظ الاجنبي في حين أنّ دقة الدلالة لا تأتي الاّ بعد التواضع والاصطلاح على المعنى، او بعالَميّة المصطلح وليس الأمر كذلك في ايّ من هذه الالفاظ أو أشباهها، او بصعوبة المقابلات العربية المقترحة لهذه الالفاظ وغرابتها مع أن المصطلح لا يبدو صعبا او غريبا اذا شاع استعماله وتداولته الألسنة. (١)

---

(١) القي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١ – ٢٥/٩/١٩٨٥م.

نحو نظام عربي للرموز العلمية

للأستاذ الدكتور أحمد سعيدان
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

سادتي ! ايها العلماء الأجلاء !
السلام عليكم ورحمة الله !

إسمحوا لي ، في مستهلّ حديثي ، أن أعود بالذاكرة الى النصف الأول من هذا القرن ، يوم كنا نتلقّى دروسنا الابتدائية والثانوية في كتب عربية ، خالصة ، لا شِيَةَ فيها ؛ حتى الكتب المنقولة عن لغة أجنبية لم يكن فيها لفظ اجنبي ، حتى ولا حرف غير عربي .

ثم تغيرٌ الحال في الستينات من هذا القرن ، حين أخذ العالم العربي ما سمي بالرياضيات الحديثة ، ممثلة بكتب وضعتها اليونسكو للصفوف الثانوية ، مع توصية بأن يمهد لها ، في الوقت المناسب ، بكتب للصفوف الابتدائية ، يضعها كل قطر عربي بنفسه .

وأبادر الى القول بأن لا اعتراض عندي على الأخذ بالرياضيات الحديثة ، بل اني أرحب بها ، وأتمنى لو تلقيتها وانا على مقاعد الدراسة ، فهي بالتأكيد أكثر تمشياً مع متطلبات العصر ، لأنها تطوير لتعليم العلوم الرياضية تفرضه طبيعة الأشياء ، لا سيما بعد تفجر المعرفة العلمية الذي رافق الحرب الكبرى الثانية ، ولم يهدأ حتى بعد ان هدأ هدير المدافع .

لا اعتراض عندي على الرياضيات الحديثة ، ولكن اعتراضي ينصب على ان كتب اليونسكو ، وقد ترجمها الى العربية نفر من خيرة الاساتذة بيننا ، جاءت تستند الى نظام رمزي يعتمد على الحروف اللاتينية والاغريقية ، ويفرض على الطالب العربي ان يداول a ، A ، & وأشباهها .

وفي الأردن فريق قومي لتطوير الرياضيات يعمل بأناة وبصيرة. ومذ اضطلع بدراسة كتب اليونسكو أدرك أنها لا ينبغي ان توضع بين أيدي الطلاب كما هي؛ وانها بحاجة الى تعديل واسع وتصفية. وقد قام الفريق القومي الأردني بهذا التعديل والتصفية، ولكنه اضطر للقبول بالحروف اللاتينية والإغريقية، متمنياً ان يكون هذا القبول مرحلياً ينتهي حالما يتوافر للأمر حل مناسب.

وقد يبدو ان ليس في الأمر مشكلة، واننا نجعل من الحبة قبة، فإن هي الا حروف عرفناها وألفناها فما لنا نتنكر لها. هذا ما قاله ويقوله فعلاً نفر من زملائنا لا ندعي أننا أكثر منهم حباً للعربية وحفاظاً عليها، ولا أكثر منهم إخلاصاً للصالح العام. ولكن اذا كانت الأمور تقاس بخواتيمها فاسمحوا لي أن أتحدث عن بعض الخواتيم التي خبرناها ،، أيناها رأي العين:

فأول ما تبدى لنا أن عملية الطباعة صارت صعبةً كثيرة التكاليف نظراً لاضطرار المطبعة الى استعمال حروف أجنبية الى جانب الحروف العربية. ثم تضخم هذا الأمر في الصفوف العليا فصار يقتضي ان تصور المعادلات كما هي، من اليسار الى اليمين، وان تقتصر العربية على الشرح. وقد نزلت الى الاسواق فعلاً كتب روسية واميركية مترجمة الى العربية، صورت فيها المعادلات نقلاً عن الأصل، وتخللتها شروح بالعربية فصارت القراءة تراوحاً من اليمين الى اليسار، ومن اليسار الى اليمين. ولقد حدث معي فعلاً ان كتبت لطلابي س – ٤ ثم مضيت بالشرح، فما لبثت ان اكتشفت انني في وادٍ وطلابي في واد آخر، ذلك أنهم قرأوا ما كتبته من اليسار الى اليمين فصار ٤ – س، وصرنا اذا قلت س > ٤ اذن س – ٤ موجبة، يقولون لا بل سالبة، واذا قلت س< ٤ اذن س – ٤ سالبة، يقولون لا بل موجبة.

وكتابة المعادلات بالانكليزية تقتضي ان تكون خطوات الحل كلها بالانكليزية، وهذا انما هو لغم يوضع في جذور اللغة العربية ليقتلعها من صفوف المتعلمين العلميين، ومن ميدان العلوم الرياضية.

يحضرني هنا يا سادتي قصة وقعت لصديق لي عربي أعرفه. قال صديقي:
أتيح لي ان أعمل في قطر عربي شقيق يوم خلص من ربقة الاستعمار الأنكليزي. فاستدعاني مسؤول كبير في وزارة التربية وقال لي: أنت تعلم ان سياسة التعليم المعلنة في

بلدنا هي تهيئة الأجيال المتتابعة لعمل ما يتطلبه الحاكم الانكليزي ؛ والآن ينبغي ان يتغير الحال وان تكون سياستنا خلق أجيال فاعلة، مبتكرة، خلاقة، مبدعة، تصلح لقيادة الدفة وتسيير أمور البلاد. وهذا ما أريد منك ان تعمله في حقل الرياضيات. قال صديقي: مضيت في عملي والنشوة تغمرني، ولكن ما لبث ان صدمني ما لم يكن في الحسبان، ذلك ان من المسؤولين الآخرين من ثاروا على هذا الأمر قائلين: كنا نرى الانكليزي يصنع مالا نقدر عليه، فنقول هؤلاء الانكليز خلقهم الله سادة، وخلقنا عبيداً. فماذا نقول اليوم وبيننا سيد يعمل وهو غير انكليزي. قال صديقي: صدقني يا صاحبي أنني انجزت لهم كتابين في الرياضيات قبل ان انسحب من الميدان فنشروهما، وهما كتابان عربيان خالصان، باسم مؤلف انكليزي لا يعرف كلمة عربية واحدة.

أقول: لقد وقع هؤلاء، حمانا الله، في عقدة نقص. وأنا أربأ ان نجر طلابنا الى مثل هذه العقدة، اذ نعلمهم العلوم الرياضية برموز غير عربية.

ولكن ما أظنني أجبت عن سؤال هو لب المشكلة، ذلك هو: لماذا اضطررنا الى اللجوء الى الحروف اللاتينية واليونانية؟ ذلك ان الحروف العربية التي جرى استعمالها رموزاً رياضية: قليلة العدد، محددة الأشكال، لكل حرف شكل واحد لا يتغير. والحاجة العلمية تدعو الى استعمال أربعة أشكال مختلفة للحرف الواحد، مثل R, P, R, r وأحيانا خمسة أشكال للدلالة على مفاهيم متميزة، مختلفة ومترابطة في آن واحد، مثل قولنا أن ع عنصر في ع التي هي جزء من المجموع ع. أضف الى ذلك قد جرت العادة في الرياضيات التطبيقية على الرمز للمتغير بالحرف الأول من اسمه: فنصف القطر r من كلمة radiun وهو في الإحداثيات القطبية P، والعدد الحقيقي R (real)، ومجموعة الأعداد الحقيقية R (real numbers).

فاذا نحن أردنا أن نرمز بحروف عربية، ينبغي علينا ان نجعل لكل حرف عربي أربعة أشكال او خمسة، كيما نرمز الى القوة، والقدرة، والاقتران، مثلاً، بأشكال متميزة من حرف القاف.

لقد استطاع الفريق القومي الأردني لتطوير تدريس الرياضيات، بتزايد خبرته الميدانية، ان يعدل كتاب اليونسكو ويطوره، فيشذب ما وجده تفاصيل يملها الطالب ولا يفيد

منها، فكان نتيجة هذا سلسلة كتب جديدة، ثانوية واعدادية، هي أصلح للطالب والمعلم والعلم على السواء.

الا ان الفريق القومي الأردني لم يستطع ان يستغني عن الرموز الاجنبية، نظراً لقلة عدد الحروف العربية الصالحة للرمزية، لا سيما وقد جرت العادة الا تنقط الحروف الرمزية.

في باديء الأمر قبلنا بالرموز الأجنبية، ولِمَ لا؟ الأساتذة والطلاب يعرفونها. ولنا أسوة بكتب تترجم الى العربية، في الشرق والغرب، ونجد فيها الشرح عربياً، واما الرموز والمعادلات فتصور كما جاءت في الكتاب الأجنبي.

لكن الممارسة الميدانية كشفت للفريق القومي ان كتابة المعادلة بالانكليزية تضع اللغة العربية في وضع هامشي بالنسبة الى خطوات الحل التي تجري كلها بلغة اجنبية. أضف الى ذلك ان عبارة مثل n تنتمي الى N، مثلاً، لا توحي للطالب العربي بأكثر من المفاهيم الحرفية: شيء ما، هو n، ينتمي الى شيء ما، هو N. اما هذا الشيء وذاك فقد يدله عليها سياق الكلام. هذا في حين أن العبارة توحي الى القاريء الانكليزية بأن n هي عدد (number) وان N هي مجموعة الاعداد الطبيعية Natural Numbers. ان للرمز ايحاءات خاصة لا تنتقل من لغة الى لغة.

هذا بالإضافة الى ان الطالب العربي والمسلم ينتابهما الشعور بأنهما يدرسان بالعربية موضوعات أولى ان تدرس بالإنكليزية، وانهما في هذا العمل مجرد متلقنين، لم يبلغا حد الاستقلال الفكري عن واضعي هذه الرموز.

هذا لم يكن تجنياً ولا مبالغة أننا وصلنا بالممارسة الى الاعتقاد ان هذا الضرب من الترجمة والتعليم أشبه بمؤامرة، مقصودة أو غير مقصودة، على الطلاب والمعلمين والعربية على السواء، فالطلاب لا يتعمقون الفهم، والمعلمون لا يبدعون، والعربية توضع في موضع القاصر عن متابعة العلم والتطور. والنتيجة ان يضيق الطلاب ذرعاً بلغتهم فيقولون ما قاله لي شابان مغربيان التقيت بهما في الرباط: كانا يتكلمان بالفرنسية. فقلت لهما، من اسميكما عرفت انكما عربيان. فلماذا لا تتكلمان بالعربية؟ قالا: لا نحتاج اليها فالتعليم والكتب بالفرنسية، والعمل في المصالح بالفرنسية.

ان من الانجازات الرائعة للمغرب الشقيق ان الوضع الذي صوره لي هذان الشابان

قبل اربعة عشر عاماً قد تغير. ولكن استعمال الرموز الأجنبية في كتبنا العربية ما يزال ماثلاً لم يتغير، وتصوير المعادلات بحروف اجنبية في الكتب العربية ما يزال قائماً لم يتحول.

* * *

وفي اواخر السبعينات بدأ مجمع اللغة العربية الأردني حملة تعريب التعليم الجامعي، بترجمة كتب تدريسيّة. اما في الرياضيات البحتة فقد استطعنا ان نترجم الكتب المختارة دون استعمال حروف اجنبية، واما في الاحصاء والفيزياء والكيمياء فلم يكن ذلك: أقر المختصون أن الترجمة برموز اجنبية قد تكون مجرد ترجمة، ولكنها بالتأكيد ليست تعريباً للعلم، لأن التعريب يتطلب إثبات العلم في بيئة عربية خالصة. غير اننا في هذه المرحلة لا نقدر على ذلك لأن رموز الفيزياء، والرياضيات التطبيقية عامة، لها صفات غير ما لرموز الرياضيات البحتة.

وفي الفيزياء يتميزُ الرمزبمعنى وصفة دائمين يلازمانه، فالرمز ك مثلاً اذا استعمل للكتلة لا يمكن استعماله للكثافة والرمز ح اذا استعمل للحجم لا يمكن استعماله الى معامل الاحتكاك، الا اذا كان الحجم ومعامل الاحتكاك لا يلتقيان في مبحث واحد.

ولأن الأبجدية العربية المستعملة في الرموز العلمية خلو من الأشكال المتعددة للحرف الواحد، فقد رأينا آن تمضي ترجمة الفيزياء والكيمياء، مؤقتاً، بالرموز الاجنبية، ريثما يوجد حل للمشكلة.

وإيجاد هذا الحل عهد به مجمع اللغة العربية الأردني الى لجنة سماها لجنة الرموز، وكنت من أعضاء هذه اللجنة، وعقدت اللجنة اجتماعات متتالية دار فيها نقاش طويل. وبعد جلستين او ثلاث اتفقنا على أن في الأبجدية العربية ما يغني عن الحروف الاجنبية، وقد يفيض عن الحاجة، بشرطين: اولهما أن نستعمل كل حروف ابجديتنا مع نقاطها، كي يتسنى لنا استعمال الباء والتاء والثاء مثلاً، اذا لزم الأمر. والشرط الثاني ان نجري تغييرات على أشكال الحرف تميزها من غير أن نطمس هويتها، أعني ان تبقى الباء باء والتاء تاءاً... الخ.

وانصرفنا نبتكر أشكالاً للحروف بالشرط المذكور. وتعددت الأشكال، فكان منها

المتوجة والمعرشة. وقبل أن نمضي في مشروعنا رأينا أن نقوم بعملية جس نبض. فدعونا الى ندوة تداعى اليها عدد من المهتمين، وجلهم من العاملين في حقل التعليم. وقد جاء معظمهم يكتم في صدره ثورة ظناً بأنا نعمل على تغيير حروف الكتابة. وفي الندوة كثر الجدال، ودار معظمه خارج اطار ما دعونا اليه، فهذا يعرض ابجدية يرى انها تحل مشاكل الكتابة العربية، وذاك يعرض أخرى تتلاءم مع الكمبيوتر. وذاك يكفر الدعوة والداعين الى تغيير حروف كتب بها القرآن الكريم- بعد الندوة تقدم ١٨٣ مدرساً بعريضة يدعون فيها الى محاكمة القائمين بالمشروع بتهمة الخيانة العظمى.

الا انه كانت هناك أصوات تقيدت بحدود ما عقدت الندوة من أجله. فواحد احتج على كتابة النقط على الحروف، وآخر تشنج وتباكى على التخلي عن الحرف π وهو أول حرف من اسم بايتاغورس (فيثاغورس) وثالث تخوف من الأشكال المتوجة وصعوبة كتابتها عندما يكون الطالب يكتب مسرعاً في قاعة الامتحان... الخ.

وعادت اللجنة الى اجتماعاتها، فراجعت وتدارست ما سمعت من كلام قبيح وكلام مليح. ثم استبعدت كل كلام خرج عن نطاق المشروع الذي شُكلت من أجله. فبقي ثمة أمور قليلة في اطار هذا المشروع:

من هذه الأمور الاعتراض على تنقيط الحروف لأن الطالب يكتب مستعجلاً، وقد يوقعه التنقيط في خطأ. فكان جوابنا ان تدريب الطالب على الدقة أجدى وأشرف من تشجيعه على العجلة.

ومنها التشبث بِمثل الحرف π، وكان جوابنا عليه أننا نضع مشروعاً عربياً، فان رأي الناس عند تمام المشروع ودراسته ان يتشبَّثوا ببعض رموز عالمية مثل π، فلهم ذلك، لا لنا، وإننا نأمل ونوصي على كل حال الا تزيد هذه الرموز العالمية الى حد الطغيان على الرموز العربية.

وتدعوني الموضوعية الى القول بأن أحد أعضاء اللجنة تشبث باستعمال الرموز الاجنبية- لا سيما في الكيمياء- لأنها نافذة تطل على العالم وجسر يصل بيننا وبين الفكر العالمي، الى حد انه انسحب من اللجنة لأن الأكثرية لم تتفق معه.

وقد خسرت اللجنة عضواً آخر اذ رأت ان تنصاع الى الرأي العام الذي رفض كل شكل مقترح يبعد بالحرف العربي عن أصله. فرأى العضو الكريم ان الرأي العام هذا غير

ناضج، ورأت اللجنة انه ما دام بالإمكان وضع المشروع بالشكل المميز الذي لا يبعد الحروف عن أشكالها، فلا ضرر ولا ضرار من مجاراة الرأي العام.

لقد دام عمل اللجنة قرابة ثلاث سنوات، كانت فيها كلما تخلف عنها عضو حل محله عضو جديد، فلم يكن عددها، في اي جلسة من جلساتها، أقل من خمسة.

في الجلسات الأولى اتفقنا على اشكال للحروف العربية تتوافر فيها المواصفات المطلوبة، فكانت في أربع مجموعات كما يلي:

١ – ما سميناه بالحروف الهندسية، وهي كما يلي:

ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي.

٢ – الحروف المعقوفة، وهي بمثابة حروف كبيرة، وهي كما يلي:

اه، به، ته، ثه، جه، حه، خه، ده، ذه، ره، زه، سه، شه، صه، ضه، طه، ظه، عه، غه، فه، قه، كه، له، مه، نه، هه، وه، يه.

٣ – حروف الابتداء، وهي بمثابة حروف صغيرة تصلح أدلة سفلية وعلوية، وهي كما يلي:

ا، بـ، تـ، ثـ، جـ، حـ، خـ، د، ذ، ر، ز، سـ، شـ، صـ، ضـ، ط، ظ، عـ، غـ، فـ، قـ، كـ، لـ، مـ، نـ، هـ، و، يـ.

٤ – الحروف المقطوعة، وهي حروف ابتداء تنتهي بقطعة مائلة كما يلي:

ا، بم، تم، ثم، جم، حم، دم، ذم، رم، زم، سم، شم، صم، ضم، طم، ظم، عم، غم، فم، قم، كم، لم، م، نم، هم، وم، يم.

٥ - الحروف المستندة وكل من الأشكال السابقة يمكن ان يقوم على مسند بالشكل ا، كما يلي :

١) الحروف الهندسية المستندة : مثل أ ، ب ، ج ، س ، الخ .

٢) الحروف المعقوفة المستندة : مثل أ ، ب ، ج ، س ، الخ .

٣) حروف الابتداء المستندة : مثل أ ، ب ، ج ، س ، الخ .

٤) الحروف المقطوعة المستندة : مثل أ ،. ب ، ج ، س ، الخ .

٦ - الحروف المحلقة ، وكل حرف في الأشكال الأربعة السابقة يمكن ان يوضع في نهايته حلقة ، كما يلي :

١) الحروف الهندية المحلقة : مثل أ ، ب ، جه ، س الخ .

٢) الحروف المعقوفة المحلقة : مثل أ ، ب ، ج ، س ، الخ .

٣) حروف الابتداء المحلقـــة : مثل أ ، به ، جه ، سه ، الخ .

٤) الحروف المقطوعة المحلقة : مثل أ ، ب ، ج ، سه الخ .

وغني عن البيان ان بعض هذه الحروف قد تستعمل أكثر من بعض ، وان ما نقدمه انما هي اقتراحات نقصد بها الأيحاء للكاتب والمؤلف ، لا التقييد .

* * *

بعد هذا انصرفنا الى مباشرة الرمزية في الرياضيات البحتة والتطبيقية ، فاتفقنا على الخطوط العريضة التالية :

١ - الإشارات غير الحرفية ، كإشارة الجمع واشارة المساواة ، تؤخذ كما هي ، مع التعديل الذي قد تقتضيه الكتابة على اليمين الى اليسار .

٢ - الأرقام المشرقية يمكن لمن شاء الإبقاء عليها ان يدخل عليها تعديليين احدهما كتابة رقم الاثنين بالصورة ٢ والثاني كتابة الصفر بالصورة ▼ لتمييزه عن النقطة ، وبذا نكتب ١▼▼▼ (للألف) وتكتب ▼▼▼ ,١▼ للعشرة آلاف ، ونكتب ▼ لنرمز للقيمة : صفر للقوة صفر .

ثم استعرضنا مجموعة كبيرة من رموز الرياضيات البحتة والتطبيقية ، ووضعنا لها مقابلات عربية ، بالاستعانة باختصاصيين في فروع الرياضيات المختلفة .

بعدها انتقلنا الى رموز الوحدات والكميات الفيزيائية والكيماوية، فلجأنا الى ما أقرته نشرات ISO (المؤسسة الدولية للتقييس) فأخذنا معظم رموزها ووضعنا لها مقابلات عربية.

والكميات الفيزيائية والكيماوية كثيرة، وهي تتكاثر على الدوام وتتغير. وما أعطيناه يشمل أكثر الوحدات والكميات استعمالاً.

وغني عن البيان ان ما اقترحناه منهج مرن يساعد ولا يقيدّ، يوصي ولا يلزم. فإن أخذ كله او بعضه فهذا ما نأمل، وأن رفض فيكفينا أننا اجتهدنا، وما أردنا الا الخير. وان استبدل به غيره فيكفينا اننا فتحنا الطريق، وخلقنا الحافز.(١)

وسلام عليكم ايها السادة الأجلاء، في البدء وفي الختام.

---

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١ - ٢٥/٩/١٩٨٥م.

الذخيرة اللغوية العربية

للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
مدير معهد العلوم اللسانية والصوتية
جامعة الجزائر

كما هو معلوم تقترن دائما النهضة العلمية والتكنولوجية للشعوب بنمو لغوي على قدر أهميتها، إذ اللغة هي نفسها معرفة تقنية وفي نفس الوقت الأداة التي يحلّل الانسان بها وعلى مقياسها الواقع. ومنذ أن خلق الانسان احتاج الى أن يضع لهذا السبب نفسه الألفاظ الفنية الخاصة. وكثر ذلك بتكاثر المسّميات المستحدثة على ممر الايام بل القرون فوقعت المجموعات الانسانية في حيرة وارتباك إذ تشعبت التسميات واشتد الاختلاف فيها بين جهة وأخرى من نفس البلد. وهذا الذي حصل بالفعل في أوربا فتدخلت عندئذ الحكومات وأنشأت المؤسسات الخاصة لتوحيد المصطلحات. «وتنميطها». فأول ما فعلته هذه المؤسسات هو إنشاء ما سمّته بنك المصطلحات تجمع فيها الثروة اللغوية الفنية لأكثر من بلد. وقد فعل مثل هذا تقريبا علماؤنا بالنسبة لكلام العرب حين جمعّوا ثروتهم اللغوية ودونّوها في مثل «كتاب العين» (وليس مجرد قاموس) وكان اللغويون في زمان أبي عمرو بن العلاء يجمعون الالفاظ، كما هو معلوم، على مجالات مختلفة من الدلالات ككتب الخيل والنخيل والنبات وغير ذلك كثير.

وقد اقترحنا مع بعض الاخوان ومنذ زمان بعيد القيام بتدوين منتظم لكل ما ورد في النصوص القديمة (العلمية والتقنية خاصة) واستعمل بالفعل بمعنى من المعاني، وان يستعان على هذا العمل بالأجهزة الحديثة المناسبة، وأن توزع الأعمال على أسر من الباحثين في مستوى العالم العربي. فهذا هو الذي اسميناه بالذخيرة اللغوية وسنتعرض فيما يلي لأوصافها وفوائدها وكيفية ايجازها حسب تجربتنا لهذا النوع من الأعمال (١).

---

(١) فقد شرعنا في معهد العلوم اللسانية والصوتية بتخزين عدد كبير من النصوص في ذاكرة الحاسب وعلاجها آليا لاستخراج شتى المعلومات منها.

المصطلح العربي ومشاكله

كما هو معروف فإن أكثر الواضعين للألفاظ الفنية في الوطن العربي يلجأون عند وضعهم للمصطلح العربي في الوقت الحاضر – ومنذ بداية النهضة العربية – الى الوسائل التالية :

١ – التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي

٢ – الترجمة الحرفية له

٣ – تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية

٤ – تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة

هذا الذي نجده عند الخاصة وبعضه عند الخاصة والعامة. فأما التعريب اللفظي فهو كثير وقد يفوق غيره لا عند جمهور الناطقين وفي اللغة المنطوقة فقط، بل حتى في اللغة المحررة وعند بعض اللغويين أنفسهم. وحجة هؤلاء في تبرير التعريب اللفظي أو أدخال الألفاظ الاجنبية هو كما يزعمون شهرة هذه الألفاظ وذيوعها عالميا وكون التداخل اللغوي أمرا طبيعيا. نعم ان الذيوع هو مبرّر قوي ثم إن العربية كغيرها من اللغات قد أخذت من غيرها منذ أقدم العصور وستأخذ منها في المستقبل. هذا كله صحيح إلا أن الذيوع الذي يحتجون به هو ذيوع اللغة الانكليزية وأقل منها اللغة الفرنسية واللغة الاسبانية وغيرها. كلغة دولية وليس معنى هذا أن الروسية والبولونية والصينية والفيتنامية وغيرها توجد فيها بالضرورة تلك الألفاظ. ثم إن التداخل اللغوي وان كان شيئا طبيعيا إلا أنه إذا كثر الأخذ من جانب واحد – اي إذا لم يحصل توازن حقيقي – فإن مصير الآخذ الذي لا يؤخذ منه شيء المسخ ثم الاندماج في غيره والزوال. فليست المسألة مسألة تعصب للغة أو تعلّق بصفائها من أجل الصفاء وان كانت هذه النزعة الأخرى موجودة. هذا وإن ميل بعضهم الى التعريب اللفظي وتفضيله على غيره لهو دليل في الكثير من الاحيان على نوع من الكسل (إذ هو أسهل الطرق) وأحيانا أخرى – وهي قليلة والحمد لله – على جهل لاسرار اللغة والتطور اللغوي أو على تقليد أعمى للنظريات اللغوية الغربية التي تجاوزها الزمان (الايجابية التي ظهرت في القرن الماضي في أوروبا). ثم على أيّ أساس نفضّل

لفظة «علم الطبيعة» على كلمة «فيزياء وفي نفس الوقت ندعو الناس لا ستعمال مثل «ترمومتر» و «سبكترومتر» و «بندول» وترك «محرار» و «مطياف» و «نواس»؟ أليس هذا لذيوع الأولى في إقليم معين؟[1]

أما الترجمة الحرفية أو الترجمة للفظ دون المعنى فهذا أيضا كثير جدا في زماننا وقد يرجع السبب في ذلك إلى عاملين اثنين:

الأول هو اضطرار الخبراء والأساتذة العرب الى إيجاد المقابل العربي في أقرب وقت ليتمكنوا من تحرير تقاريرهم ومقالاتهم ومحاضراتهم بالعربية (في الجامعات والمؤسسات المعربة). وكذلك هو الأمر بالنسبة لمؤلفي المعاجم.

الثاني هو الكثرة الكاثرة من المعلومات العلمية والتقنية التي يتلقاها الانسان من خلال وسائل الاعلام كالإذاعة والصحف والمجلات والتلفزة وتكون المصطلحات التي تستعمل في هذه الوسائل في الغالب مجردّ ترجمة حرفية واضطرارهم على ايجاد المقابل العربي الذي قد لا يوجد في المراجع التي يرجعون إليها.

وهذا هو سبب وجود الكثير من المصطلحات التي لا تؤدي المعاني الفنية المقصودة

---

(١) ثمّ إنّ ادعاء بعضهم أن العلماء القدامى قد استعملوا «أرثماطيقا» و «فيزيقا» و «ماتيماطيقا» غير صحيح أن أرادوا أن ذلك كان مطردا. فإن هذه الألفاظ استعملت هكذا معربة لفظيا في أول الأمر للدلالة على أنها معارف وتصورات خاصة باليونان ثم ما انفكوا حتى استبدلوها بألفاظ عربية إلا ما استساغوا مثل «كيمياء» (وحمل معاصرونا لفظ فيزياء عليه) و «موسيقى» وغيرهما. وهذا ليس يضرّ بالعربية في شيء. كما هو الشأن في عصرنا هذا فقد استساغ الناس لفظة (إلكتروني) وفضلوها على «كهربى» (وكون هذه الأخيرة من أصل معرّب قديم لم يكن له أي تأثير في ذلك) ولا بأس باستعمال اللفظ الأجنبي الذي يدل على مفهوم خاص بمدرسة أو نزعة معينة لا على ظاهرة أو حقيقة مسلمة وذلك مثل الكلوسيم (Glossem) في نظرية هيمسليف Hielmslew اللغوي الدانماركي. وكذلك إذا أراد العالم العربي أن يشير الى أن لفظة «فونيم» في هذه العلوم نفسها هي تصوّر اللغويين الغربيين. أما أن يترك اللفظ العربي الأصيل تركا كليا ويستبدله باللفظ الأجنبي بحجة أنه لا يدل على ما يدل عليه هذا الأخير ودون أن يرجع الى التراث الأصيل (عند المبدعين من علمائنا) ليتأكد من ذلك فهذا الذي يبدو لنا فاسدا من الأساس.

وذلك مثل ما وجدناه في معجم قد نظرت فيه المجامع العربية[١] في ترجمة Velum ألى «شراع الحنك» (ترجمة لـ Voile du palais) فمتى كان للحنك شراع !؟[٢] وترجموا. كلمة Features التي تستعمل في الصوتيات للدلالة على ما يسميه العرب بالصفة (المميزة) بكلمة «ملامح» لأنهم وجدوا في القاموس أن هذه الكلمة تدل على ملامح الوجه (of the face) وتركوا المعنى المقصود ويتراءى جيدا في الفعل to feature = وصف. وكذلك فعلوا بالنسبة لمفهوم ال Vocal Cords من معاني Cord «الحبل» إلا أن واضع هذه التسمية[٣] كان يشبه العضلتين الرقيقتين اللتين تحدثان الصوت في الحنجرة بأوتار الآلات الموسيقية ولم يقصد «الحبال» التي تربط بها الرزم وغيرها ! وقد بيّن بعض إخواننا الخلط الذي هو حاصل الآن، بسبب عدم اعتناء الواضعين بالمعاني الحقيقة التي قصدها واضعوا المصطلح الاجنبي، وذلك كلفظة Polecat عربت بنفظة «سنور القطب» ظن المترجم أن Pole هنا هو القطب مع أن البحث عن أصل الكلمة يبين أنها بمعنى الدجاجة.

أما تخصيص عامة المستعملين اللفظة العربية للمسمى المحدث فهذا أيضا كثير وذلك مثل: الطيارة والبلدية والمصلحة والحوالة وغيرها. وقد وفّق الواضع الاول (المجهول غالبا) في الكثير من هذه التسميات المولدة ودخلت في اللغة المحررة. وهكذا توضع المصطلحات في البلدان التي بلغت مستوى عاليا من العلوم والتكنولوجيا، فعامة الخبراء في علم أو فن مخصوص هم الذين يصوغون الالفاظ التي يحتاجون اليها عند ظهور الشيء المحدث لا اللغويون. إلا ان هؤلاء قد يوجّهون الواضعين بل ويرشدونهم الى بغيتهم. ونذكر هنا مثال الـSoftware وهو مجموع البرامج التي تستعمل في العلاج الآلي للمعلومات (= المعلوميات informatics في مقابل الـHardware فإن اللغويين الفرنسيين وضعوا كلمة Logiciel (في مقابل Materiel) فنجحت وتغلبت على الكلمة الانكليزية.

---

(١) وهو المعجم الموحد «الجزء 4 مصطلحات علم الحيوان».

(٢) وهو من معاني voile ولكن المقصود هنا هو معنى الغشاء لا الحجاب والشراع.

(٣) وهو فيزيولوجي فرنسي اسمه Ferrein قدم بحثا للمجمع العلمي الفرنسي في 1741 ميلادية اقترح فيه هذه التسمية انظر Memoire de Academies dessciences سنة 1741 ص 409-430

ومن أسباب النجاح أن فيها نوعا من الطباق اللفظي والمعنوي مع مقابلها (زيادة على خفة مخارجها) إذ توحي إلى المعنى المقصود: وهو الترتيب المنطقي للتعليمات نفسه في مقابل الآلة الرتابة ordinatur التي تستغل هذا الترتيب وتطبقه على معطيات معينة للوصول الى نتيجة (قارن بنتيجة المحاكمات العقلية)(١) أما فيما يخص اللغة العربية فإن اصحابها لم يتمكنوا بعد من التحكم الخلاق في ميدان التكنولوجيا ولهذا يثار موضوع الوضع في الكثير من الأحيان في المحافل والمؤسسات ذات الطابع اللغوي مثل المجامع. وهذا يؤدينا إلى الكلام عن النوع الأخير من وسائل الوضع وهو التخصيص المدروس المنتظم للمصطلحات.

الادوات اللازمة لوضع المصطلحات

قلنا التخصيص المنتظم ولكن لا بد من التحفظ في إطلاق هذه الصفة فقد قلنا في بحث سابق بأن البحث في المصطلحات لا يزال في الوطن العربي قليل النجاعة فإذا أردنا أن تتغير أحوال هذا البحث فلا بد أن يستجيب لمتطلبات عصرنا الحاضر ولن يتم ذلك إلا باستيفاء عملنا- معشر العلماء واللغويين - لهذه الشروط:

١ - أن ينبني على مجموعة واسعة جدا من المعطيات أي على مسح كامل:

- لما يجرى الآن استعماله بالفعل في الوطن العربي بأكمله
- ولما كان مستعملا قديما وورد في النصوص العلمية وهذا يقتضي:

٢ - الرجوع الى التراث العلمي العربي ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم القديمة.

٣ - أن ينطلق من أكثر من لغة لا من تصور واحد خاص بلغة أجنبية واحدة.

٤ - أن ينظر في أسرار الاستعمال والاعتداد بقوانينه وأجراء الدراسات الواسعة النطاق لهذا الغرض وكل هذا يستلزم أيضا:

٥ - أن يعتمد لاجراء هذه الأعمال العظيمة على الآلات الالكترونية الجبارة.

---

(١) التسمية العربية «رتاب» التي أطلقت على الحاسب الالكتروني هي لهذا السبب أوفق لأن الحاسب لا يقوم فقط بعمليات حسابية (والتسمية الانكليزية هي قديمة استعملت قبل أن تصير الحاسبات على هذا الشكل وذات القدرة على اجراء العمليات المنطقية غير الحسابية).

أما عدم الشمولية التي يتصف بها الكثير من البحوث، فلأنها لا تزال فردية وجزئية وبدوية ولم تصر بعد الى ما يجب أن تصير إليه من تنظيم الأمر من الباحثين وتوزيع المهام عليها بحيث يقوم هؤلاء بإجراء التحريات في الميدان لتجميع المصطلحات المستعملة بالفعل في جميع البلدان العربية ويقوم أولئك بجرد كامل للأمالي والكتب والمنشورات العلمية وأسرة أخرى تكلف بتفريغ كل ذلك في جذاذات وهكذا. فهذا العمل الجماعي الشامل هو الذي يضمن الموضوعية المطلوبة لأن المسح المستفيض لجميع المعطيات بدون استثناء شيء منها هو شرط أساسي للعلم كما هو معلوم. ثم إن المعلومات المجمعة لا بد أن ترتب الترتيبات المختلفة لتكون سهلة المنال والاستحضار ولا بد أن لا يكتفى فيها بذكر المصطلح بل يحتاج الباحث أن يعرف أين يستعمل هذا اللفظ بالفعل، وبأي معنى وفي أي مراجع قد ورد، وكم مرة، أي ما هي درجة تواتره أو انتشاره وغيرها من المعلومات المفيدة التي ستكون كالمقياس لاختيار الألفاظ وتوحيدها. وهذا العمل الجبار لن يتم إلا باستعمال الآلات الالكترونية العظيمة القوة. وقد طرحنا في عدة مناسبات هذا السؤال: كيف يمكن أن يضع الواضع منا للمسمى المحدث لفظا عربيا مناسبا يحظى بجميع الصفات التي ستجعله يذيع ذيوعا واسعا إن لم تكن لديه وتحت تصرفه مجمّعة ومرتّبة كل الألفاظ الفصيحة (قديمة أو مولدة) التي تنتمي الى المجال المفهومي الخاص بهذا المسمى؟ فهذه المعطيات المجمّعة المرتبة هي التي سميناها بالذخيرة اللغوية العربية (١)

أوصاف الذخيرة وفوائدها وكيفية إنجاز

إن الذخيرة اللغوية هي عبارة عن **قاموس جامع للألفاظ العربية**. ويفارق هذا القاموس غيره من القواميس (الحديثة بالخصوص) في هذه الصفات الأساسية:

١ - سيكون له ثلاثة أشكال:

- شكل تسجيل في ذاكرة الرتّاب (الحاسب)

---

(١) بالانكليزية: The Thesaurus (or Treasure) of the Arabic language

- شكل جذاذية عادية من جهة ومصغرة (ميكروفيشات تحتوي كل واحدة على 60 صفحة) من جهة أخرى
- شكل كتاب عادي (موسوعة لغوية)

٢ - يحصر جميع الالفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة والحديثة والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر مع الاشارة الى انتماء الكلمة أو العبارة الى الفصيح المسموع عن الفصحاء السليقيين[1] أو المولّد الذي جاء على قياس كلام العرب.

٣ - يذكر كل السياقات (**الحقيقية**) التي ورد فيها اللفظ ولا يخترع الأمثلة كما تفعله القواميس الحديثة بل يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب والآثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المرجع بدقة ولا يكتفي بالسياق الواحد.

٤ -- ترتب فيه الأوضاع اللغوية (في ذاكرة الرتّاب) شتى الترتيبات :

- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الالفاظ).
- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).
- ترتيب بحسب درجة تواتر الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص)(2)
- ترتيب بحسب درجة شيوع الكلمة أي ذيوعها في البلدان العربية أي بحسب اتساع رقعة استعمالها[٢]
- ترتيب بحسب العلوم والفنون .

هذا وتنقسم الذخيرة إلى قسمين:

- بنك المعلومات اللغوية (وفيه يندمج بنك المصطلحات)
- المعجم المحرّر

---

(١) الذين أخذ منهم اللغويون العرب الأولون .

(٢) اما ما سيطبع وينشر فستدمج فيه هذه المعلومات (التواتر والشيوع) ويكون الترتيب أبجديا عاما في طبعة ومفهوميا في طبعة أخرى.

أما الأول فهو عبارة عن رصيد لغوي ضخم جدا جمعت ورتبت فيه المادة الخام (الالفاظ مع سياقاتها) التي دونها وجردها الباحثون مع ذكر كل المعلومات الاضافية الضرورية (التواتر والشيوع والمرجع أو مصدر الاخذ).

والثاني هو عبارة عن موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثاً حول كل لفظة. فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على ما يلي:

١ - **تحليل دلالي للفظة انطلاقا من السياقات** وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك بـ:

- **التوضيح الدقيق:**
  - للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجذر).
  - للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية).
- **ذكر المقابل الانكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجدت** أو ما يقرب منه مع بيان الفوارق التصوّرية

٢ - تعليق نحوي صرفي وجيز (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديما (مع ذكر المراجع).

٣ - **تعليق تاريخي للمادة وفروعها** (انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة بينها)

- بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها.
- ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص التي لدينا (الأصلية والدخيلة)
- ذكر تاريخ أول تحوّل دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة)
- ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.
- وصف اجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة
- بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الاصلية)

٤ - **ذكر درجة تواتر الكلمة** حسب العصور والبلدان وبالنسبة للاثار العلمية والأدبية إن اقتضى الحال.

٥ - **بيان شيوع الكلمة الجغرافي (حسب العصور أيضا).**

٦ - **ذكر المرادفات والاضداد للكلمة إن وجدت وكذلك الالفاظ التي تجانسها في المفهوم.**

٧ - **ذكر الدراسات التي خصصها العلماء لهذه الكلمة أو تلك المادة.**

أما فوائد هذه الذخيرة فهي كثيرة جدا ومتنوعة. فبالنسبة لوضع المصطلحات فان الواضع إذا أراد أن يعرف هل يوجد في العربية أو في الاستعمال الراهن لفظ أو أكثر من لفظ يدل على مفهوم خاص فلا يمكنه في الوقت الراهن أن يجد مرجعا موثوقا يستجيب لطلبه بأن يجمع له كل الألفاظ التي تنتمي الى المجال المفهومي الخاص الذي يهمه اللهم إلا بعض المعاجم المحدودة المجال. وأما القواميس المزدوجة اللغة الحالية فقد وضعت للاستعمال لا للوضع ثم حتى لو فرضنا أن المستعمل قد يكون واضعا في نفس الوقت إذا قصد ترجمة الالفاظ الاجنبية فان هذه المعاجم هي الآن ضئيلة المادة ولا يمكن أن تستجيب لطلبات المترجمين الهائلة فضلا عن التخليط والاغلاط الفاحشة[1] التي يتصف بها أكثرها. أما القواميس الوحيدة اللغة (القديمة خصوصا) فاللغوي كما هو معروف يبحث السنين الطوال أحيانا حتى يقع بالصدفة على بغيته. وهذا عمل اعتباطي غير علمي لأن العلم هو على حد تعبير علمائنا حسّ ونظر أي استقراء وتصفحّ كامل ثم صياغة عقلية. فأما إذا كان لدى الواضع ما يسمى ببنك المعلومات اللغوية كما سبق أن وصفناه فإنه يمكنه -أينما كان في الوطن العربي- أن يلقى اسئلة على الترّاب بواسطة الآلات المهيأة لذلك[2] كأن يريد أن يعرف المجال الدلالي الخاص بأمراض الخيل أو الضأن أو المجال الخاص بالمرتفعات والتضاريس أو المجال الخاص بأدوات الحفر والتنقيب وهكذا، فإنه يكفيه أن يحررّ سؤاله على ملمس الطرف فتظهر بعد ثوان على الشاشة جميع الالفاظ العربية التي تدخل في هذه المجالات الدلالية القديمة والمولدةّ بما في ذلك المصطلحات الحديثة أيضا. ويحصل إن شاء أيضا على جميع سياقاتها التي وردت فيها في زماننا أو في عصر من العصور ومراجع هذه السياقات

---

(١) بسبب التساهل المنهجي (المجهول) وقد يبين ذلك أكثر من واحد. ثم هذه القواميس لا تذكر أبدا مرجع الكلمة (في أي نص وردت).

(٢) وهي جد متوفرة الآن في البلدان الغربية. والسؤال يقع بواسطة «الطرف» Terminal وهو عبارة عن شاشة وملمس يتصلان بالدماغ الالكتروني من جهة وبالباحث (هاتفيا مثلا) من وجهة أخرى.

وذلك بواسطة طابعة ملحقة بالدماغ الالكتروني وهكذا يستطيع الواضعون اختيار اللفظ المناسب من بين العشرات من الألفاظ المتجانسة المعنى فهي كلها محصورة وتحت تصرفه. وهذا يوفر له الوقت ويضمن موضوعية الاقرار للفظ وأهم شيء في هذه الموضوعية هي مقياس التواتر والكثرة والشيوع وبذلك يتفادى النادر والشارد وهو الذي سمع من رجل واحد مرة في حياته. (ولا يلجأ إلى هذا النوع من الالفاظ الا عند الحاجة أي ليضفه مثلا على المفهوم القليل الدوران أو الغريب) [1] ويجب التنبيه على أن هذه الذخيرة قد تخلو على الرغم مما تزخر به من ملايين السياقات وملايين الالفاظ المكررة في سياقات جدّمختلفة؛ قلنا قد تخلو من اللفظ المطلوب فعند ذلك – وعند ذلك فقط – يمكن أن يلجأ إلى التوليد بالاشتقاق من مادة معينة (ينتقيها الواضعون من هذه الذخيرة) وعلى صيغة تؤدي المعنى المطلوب. فالاعتماد على الذخيرة هو رجوع الى التراث وفي نفس الوقت رجوع الى كل ما احدث اليوم أو منذ الامس القريب في مجال دلالي معين مما دخل في الاستعمال[2]. ويمكن أن نمثل لهذه الفوائد بمثال العلوم اللسانية التي هي من اختصاصنا. فقد عزمت على القيام بجرد لكل الألفاظ العربية التي استعملت قديما في هذه العلوم وخصوصا في الصوتيات وذلك انطلاقا من كتب العلماء العباقرة الأولين أمثال سيبويه – والخليل من خلال ما روى عنه – ومدرسة ابن السراج وابن جنى وكذلك الاطباء العرب مثل ابن سينا وغيره والموسيقيين العرب مثل الفارابي ومباركشاه وغيرهما. فبهذه الذخيرة الصغيرة استطعنا أن نصلح الكثير من المسوخ التي دخلت في استعمال بعض الافراد ودونتّ في مشروع معجم اللسانيات الذي نقدمه مع مكتب تنسيق التعريب في هذا المؤتمر الموقّر وذلك كاللفظة التي سبق أن ذكرناها Voile du palais فان ابن سينا يستعمل في كتاب «أسباب حدوث الحروف» وغيره من الكتب عبارة: «صفاق الشجر» والصفاق هو جلد البطن الرقيق فأما الشجر فتحدده المعاجم بأنه «مفرج الفم» وهذا تحديد غامض إلا أن النسبة إليه تطلق على جنس من الحروف مخرجها كلها وسط الحنك وعلى هذا فإن «صفاق الشجر» تسمية جد لائقة وما يؤيدها هو

---

(١) هذا فضلا عن الفوائد التي يجدها المؤرخ للغة وعالم الاجتماعي وغيرهم.

(٢) أما من لم يجد ما سيجده أيضا لكن مصحوبا بهذه الملاحظة: وضعه الأستاذ فلان أو مجمع فلاني ولم يرد في أي نص إلا في قائمة أو معجم كذا.

وجودها بالفعل في الاستعمال (وعند أكبر علماء الصوتيات الفيزيولوجيين قديما). وهناك مفهوم آخر هو الـVariant أو Allophone فقد استعمل العرب لهذا المعنى «الوجه» من وجوه الأداء «والمخرج» كمصدر (أنظر قول الجاحظ: «المخارج لا تحصى، البيان ١ / ٣٤» و «البدل» الجائز أو الواجب في معنى Compinatory variant أو free Variant أو Conditioned Variant)

ونذكر فائدة أخرى هامة جدا وهي المعلومات التي سيحصل عليها الباحث بعلاج الترتاب للمعطيات واستخراج الجذور والصيغ وبالتالي إحصاؤها وحصرها مع الكشف عن أكثر هذه العناصر تواترا في الاستعمال وأكثرها تفريعا وأكثرها شيوعا في وقتنا الحاضر وفي عبر الأزمنة. ثم التحديد الدقيق لمعاني كل صيغة باستقراء كل الكلمات المصوغة عليها. وهذا سيفيد الواضع لأنه سيجعل من هذه المعلومات الموضوعية - المستخرجة من واقع اللغة والاستعمال لا بالتخمين والانطباعات الذاتية - مقاييس لتوليد الألفاظ وتخصيص كل بناء ووزن بمفهوم علمي أو تقني على غرار ما يفعله الواضعون الغربيون بالسوابق واللواحق اللاتينية واليونانية. ولا بد من التنبيه على أن التصفّح الكامل - بالآلات العظيمة - هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن الموضوعية والدقة العلمية[١].

أما كيفية إنجاز هذه الذخيرة فتكون بانجاز العمليات التالية[٢].

١ - القيام بمسح تدويني كامل شامل لكل ما يجرى استعماله في التخاطب الكتابي والشفاهي في جميع المؤسسات العلمية على مستوى العالم العربي كالمجمعات ومراكز البحث والمختبرات والمصانع وورشات العمل والمناجم وسائر الأماكن التي يختص التخاطب فيها بلغة فنية معينة. وذلك باجراء التحريات الميدانية الواسعة وبطرق ومنهجية معينة.

---

(١) ويستحسن هنا قد سبقنا به إلى ذلك علماؤنا القدامى للريادة في العائدة والمقاربة العلمية ونذكر خاصة كتاب الفارابي اللغوي (لا الفيلسوف) المسمى «ديوان الأدب» فيما يخص الصيغ. «ومقاييس اللغة» لابن فارس فيما يخص الجذور وكتاب العين للخليل (وكذلك بعض الأعمال الإحصائية الحديثة القيّمة).

(٢) اقترحنا مثل هذه الخطة نفسها في بحث سابق.

٢ - القيام باختيار عينة كبيرة من الكتب العلمية والتقنية والأمالي والبحوث والمعاجم وغيرها القديمة والحديثة.

٣ - القيام بتدوين كل هذه المعلومات بتخزينها في ذاكرة الرتّاب[١] (ويجب أن يكون من أكبر وأقوى طراز - (**وهذا شيء قليل في حق لغة القرآن**). ثم القيام بالعلاج الآلي لها باستخراج الجذور والصيغ واستقراء السياقات وتعداد درجة التواتر ويتم كل ذلك بمنهجية قد أعدّت في معهد العلوم اللسانية بالجزائر. (وقد قام هذا المعهد كما قلنا سابقا بتخزين وعلاج أكبر قسط من الشعر الجاهلي وعلاج الرصيد اللغوى المغربى والرصيد اللغوى العربي).

هذا ولا ننسى دور الاستعمال - أى اختيارات الناطقين وإقبالهم على بعض الألفاظ ورفضهم للبعض الآخر. وهنا تظهر اهمية الدراسات التي ترمى ألى استكشاف أسرار هذه الظواهر وتفسيرها حتى يضع الواضعون ألفاظا يكون لها حظ كبير من النجاح.

٤ - القيام باستفتاءات واسعة النطاق للحصول على موقف المستعمل من الألفاظ المقترحة ويتم ذلك باجراء التحريات في حقول محدودة على شكل استنطاق للأخصائيين وذلك بملء المستنطقات. ونفس التحرى في نطاق أوسع يجرى على أمواج الاذاعة والتلفزة وعن طريق الصحف ليَمسّ جمهور الناس. ثم القيام - في الوقت نفسه بدراسة علمية لما وضعه الناس والمؤسسات منذ أكثر من خمسين عاما وخصوصا المجامع والجامعات والبحث عما دخل من ذلك في الاستعمال ومحاولات الكشف عن أسباب النجاح والفشل.

أما القائمون بكل ذلك فنظرا لضخامة العمل فإنه ينبغى أن توزع المهاّم على جميع البلدان بإشراف جامعة الدول العربية(المنظمة العربية للتربية

---

(١) أما التراث العلمي والأدبي الغيه الغني بالمفردات والمصطلحات فيجب أن يواصل تدوينه طيلة سبي حتى يؤتى على كاملة.

والثقافة والعلوم). ونقترح أن تنشأ لجان محلية تتكون من 10الى 20 شخصا بين باحث ومساعد فنى في داخل مؤسسة جامعية أو بحثية متخصصة يوكل إليها الإشراف على العمل. وتزود حكومة كل بلد هذه المؤسسة وهذه اللجنة بشيء من العدة (كأربعة أو ستة أطراف) لتدوين وتخزين المعطيات والاتصال المباشر في الوقت نفسه بالهيئة الفنية المكلفة بالتنسيق بين اللجان وتوزيع المهام وإدماج المعلومات في ذاكرة الرتّاب المركزى. وتكون هذه الأطراف أيضا وسيلة لكل الباحثين القاطنين في هذا البلد للسؤال عن المصطلحات. (١)

والله وليّ التوفيق.

---

(١) قدم هذا البحث إلى المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان ما بين ٢١ - ٢٥/٩/١٩٨٥م.

معالم جديدة للمنهج المقارن بين اللغات السامية
جوانب انثروبولوجيّة ونفسية واجتماعية

للدكتور سمير ستيتيه
جامعة اليرموك

مقدمة :

ادى اكتشاف اللغة السنسكريتية في القرن الثامن عشر الميلادي الى ظهور علم اللغة التاريخي، وما ارتبط به من مقارنات لغوية. فقد قام فريق من العلماء المتخصصين بدراسات مقارنة بين اللغات الهندو اوروبية، وتوصلوا الى نتائج باهرة حول العلاقات التاريخية بين هذه اللغات، وكيفية تطورها، وتفرع بعضها عن بعض. بل انهم استطاعوا ان يبنوا تصورا واضحا للأصول التي تفرّع عنها عدد من اللغات، وذلك باعادة بناء هذه الاصول reconstruction من فروعها اللغوية المستعملة.

وقد افاد المستشرقون من هذه الدراسات في مقارناتهم بين اللغات السامية، وقدموا لهذا الميدان الكثير من الابحاث والدراسات التي لم يُسبَقوا اليها. وقد كان العمل في ميدان المقارنات بين الساميات عملا استشراقيا الى حد كبير، في بدايات هذا العمل بخاصة، حتى إن احد العلماء المعاصرين، يرى انه سيمضي وقت طويل قبل أن يقف علم المقارنات بين اللغات السامية على قدم وساق في البلاد العربية[1] مشيرا بذلك الى ان المستشرقين هم اصحاب قصب السبق والقدح المعلّى في هذا المجال، حتى ايامنا الحاضرة.

---

١ - رمضان عبد التواب، مقدمة ترجمته لفقه اللغات السامية ص ٧

ولا انكر ان بعض العلماء العرب الأقدمين قد فطنوا الى العلاقة بين اللغة العربية واللغات السامية. فلقد اشار الخليل بن احمد الى العلاقة بين العربية والكنعانية [٢] وكذلك أشار ابن حزم الى ان العربية والسريانية فرعان لاصل واحد، وانهما تفرعتا مع الزمن، من هذا الاصل [٣] بل ان بعض علماء العرب قد افرد كتبا مستقلة لرصد ما في العربية من كلمات دخيلة، سامية كانت ام غير سامية، وذلك كما فعل السيوطي في كتابه «المذهب» والجواليقي في كتابه «المعرب» ولكن ذلك، على اهميته، لا يتفق مع المنهج الجديد في المقارنات بين الساميات.

المنهج المتبع

درج المستشرقون في مقارناتهم بين اللغات السامية على الحديث عن تاريخ اللغات السامية، وكيف تفرّعت عن السامية الام، حتى اصبحت لغات مستقلة. ولقد اعتمدوا في ذلك على مصادر تاريخية ودينية، كما اعتمدوا على النقوش والآثار التي وجدوها في مناطق مختلفة من الشرق الاوسط.

واهتم الباحثون في هذا الميدان، وجلّهم من المستشرقين، بالمقارنة بين فونيمات اللغات السامية، بالمقارنة بين الظاهرات والتغييرات الصوتية، في هذه اللغات، من مماثلة **assimilation** ومخالفة **dissimilation** وقلب مكاني**metathesis** وحذف **deletion** وزيادة **insertion** وامالة، وغيرها من الظاهرات الفونولوجية.

واهتموا كذلك بالمقارنة بين الانظمة الصرفية، في لغتين او اكثر من هذه اللغات، وذلك بابراز السوابق**Prefixes** واللواحق **sufixes** والدواخل **infixes** عند تصريف الافعال مثلا، وتغير هذه اللواصق او بعضها، تبعا لتغيُّر زمن الفعل (ماض، مضارع، امر) والعدد (مفرد، مثنى، جمع) والجنس (مذكر ومؤنث). كما اهتموا بسائر الموضوعات التقليدية في الصرف، فجعلوها مدار مقارناتهم بين اللغات السامية.

ولست انكر انهم اولوا المقارنة بين انظمة الجمل في اللغات السامية عناية خاصة

---

٢ الخليل بن احمد **العين** ج ١ ص ٢٣٢

٣- ابن حزم **الاحكام في اصول الاحكام** ج ١ ص ٣٠

وذلك كما فعل بروكلمان الذي خصص جزءا من كتابة **semitische sprachwissenschaft** لدراسة نظام الجملة في اللغات السامية. لكن هذا المجال من المقارنة، لم يلق اهتماما كبيرا، بالدرجة نفسها التي لقيتها دراسة المقارنات في الاصوات والصرف بين اللغات السامية.

ومما يلاحظ، ان علماء مقارنة الساميات، يهتمون برصد الظاهرات اللغوية في هذه اللغات، اكثر من اهتمامهم بتفسيرها، بخلاف ما نراه في درس اللغويات المقارن بين اللغات الهندو اوروبية.

ان تفسير الظاهرات اللغوية، في اسرة لغوية واحدة، من اهم وظائف علم اللغة التاريخي. وان هذا التفسير يتطلب، بداهة، ربطها بجذورها الانثروبولوجية والاجتماعية، وردّها الى اصولها النفسية والثقافية، فان «ارتباط اللغة بوظيفتها او بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية، يؤثر بالضرورة، في حياة اللغة. فهناك فرق بين ان تكون اللغة لغة جماعة محدودة، او ان تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى، او ان تكون لغة حضارة دولية [1] ولهذا، لا يكفي رصد الظاهرات اللغوية، في المجموعة السامية، دون تفسيرها في ضوء المعطيات المشار اليها اعلاه. ولئن كان ائمة درس المقارنات بين الساميات قد أجادوا بدقة رصدهم الظاهرات اللغوية، فقد تركوا لمن بعدهم مهمة التفسير، وذلك برد الظاهرة الى اصولها الثقافية والاجتماعية والنفسية.

و مما يلاحظ في ميدان المقارنة بين الساميات، انه اذا حدث ان فسرت ظاهرة ما، اسقط من الاعتبار بعض العوامل الموضوعية، التي يجدر ان تظل في دائرة الضوء، والتي يمكن ان تحمل بين طياتها حلا مقبولا لظاهرة ما، لقد حاول الباحث الاميركي **Michale Brame** تفسير عدم ادغام اللام في (ال) التعريف بالجيم العربية المعطشة (J) فارتأى ان اللام لا تدغم في الجيم على الرغم من كون الاخير صوتا صامتا **Consonant** و اكليليا **Coronal**، وعلى الرغم من ان اللام تدغم في الصوامت الاكليلية جميعا) لأن الجيم

١- محمود فهمي حجازي. علم اللغة العربية نكويت، ١٩٧٣، ص ٤٠

٢- Michale Brame Arabic Phonology Nonpulished P.h. D dissertation M . IT 1970 P 220

المعطشة متطورة عن الجيم السامية (g) التي تنطق كالجيم المصرية . ولما كانت اللام لا تدغم في الجيم الحنكيّة المتأخرة - اي الجيم السامية - فقد عوملت الجيم المَعْطشة معاملتها ، اي أنها عوملت باعتبار ما يعامل به اصلها السامي g .

لا يخفى ما في هذا التفسير من تكلف ، وكان يغني عنه النظر في جميع ملامح الجيم المعطشة (J) لنخرج بان هذا الصوت يتميز بملمح ليس موجودا في جميع الصوامت التي تدغم فيها اللام . هذا الملمح هو ان الجيم المعطشة صوت مركب . وهو اذن ملمح فارق ، ليس موجودا في سائر الاصوات التي تدغم فيها اللام ، فلا يدرج معها ، ولا يوضع معها في زمرة واحدة . وعليه ، يكون حل معادلة ادغام اللام في بعض الصوامت كما يلي :

$$[+\text{def}] \longrightarrow C_i \, / \longrightarrow C_i \begin{bmatrix} +\text{cor} \\ -\text{aff} \end{bmatrix}$$

وتقرأ المعادلة كما يلي : تدغم لام (أل التعريف) بالصامت الذي يليها بشرطين : ان يكون اكليليا [cor +] ، وألا يكون مركبا [aff -]

تفسير الظاهرات اللغوية :

ان الهدف الاساسي من هذا البحث ، هو ربط الظاهرات اللغوية المتنوعة ، في اللغات السامية ، بالعوامل الانثروبولوجية والاجتماعية والنفسية والثقافية للشعوب السامية . وأقدم فيما يلي بعض الظاهرات الصوتية والصرفية والتركيبية ؛ لأبيّن كيف يمكن تفسيرها في ضوء هذه الاعتبارات .

١ - في الاصوات :

ان ربطنا لدراسة الاصوات في اللغات السامية بالعوامل الثقافية ، يعطينا تفسيرا مقبولا لعدد من الظاهرات الصوتية في هذه اللغات . فالسبب الثقافي الديني هو الذي يجعل افراد الطائفة السامرية في مدينة نابلس مثلا ، ينطقون بعض الاصوات الصفيرية فيما بينهم دون صفير ، زعماً منهم بأنهم يقلدون موسى عليه السلام في نطق هذه الاصوات . فهم

ينطقون الزاي Z وكأنها ذال (ð) وينطقون السين والشين (S) S وكأنهما ثاء (θ) وبعض رجال الدين منهم لا ينطقون الاصوات الصفيرية ، عن عمد ، لا عن عجز ولا قصور .

ويبدو ان الخلاف الديني والاجتماعي بين اليهود والسامريين ، قد ادى الى فروق لغوية كثيرة حتى في الاصوات . ولا غرابة في ذلك؛ فهناك من يعزو ترك اليهود لخطهم القديم . الذي كان يعتمد على الخط الكنعاني ، واستعمالهم الخط الجديد المربع ، الى الخلاف بين اليهود والسامرة ، إذ ان اليهود كرهوا ان يساويهم السامريون في كل شيء ، فتركوا خطهم ، وراحوا يكتبون بالخط الجديد[١] ولعل دراسات اعمق لمجتمع السامريين ، وأعرافهم الدينية ، تؤدي الى كشف بعض الحقائق اللغوية ، مما يفيد في درس الساميات المقارن .

ان ارتباط الساميين بلغاتهم ، لايقل عن ارتباطهم بجنسهم ، ونطق بعض جماعاتهم لبعض الاصوات ، مختلفا عن نطق جماعات اخرى لهذه الاصوات ، يمكن ان يكون من اهم مكوناتهم النفسية . فهو ليس مجرد اختلاف في النطق وحسب ، وانما هو ، الى ذلك ، عامل نفسي اجتماعي . فقد ورد في العهد القديم ان احدى القبائل في عهد ابراهيم عليه السلام ، كانت تنطق السامخ ($\bar{S}$) وهو صوت بين السين والشين ، شينا ، ظاهر هذه الاشارة يتحدث عن اختلاف لهجي ، ولكن مضمونها يحمل بين طياته ، لونا من النقد المبطن لهذه القبيلة التي تخلت عن نطق السامخ .

اننا لا نستطيع ان نستوعب مفهوم الفصاحة eloquency عند العرب ، الا اذا عرفنا أبعاده اللغوية والنفسية والاجتماعية ، فالبعد اللغوي للفصاحة يتمثل في كون الالفاظ بيّنة ظاهرة ، متبادرة الى الفهم ، وفي كون الكلمة متآلفة ، يسهل على اللسان نطقها من غير عناء ، مع وضوح معناها [٢] ويتمثل البعد الاجتماعي للفصاحة في انها انموذج ومعيار سلوكي behavioral norm في المجتمع العربي ، يمتدح لاجله من يكون فصيحا ، ويذم من يكون غير ذلك . وقد ارتبط نطق معيّن لبعض الاصوات العربية ، بمفهوم الفصاحة عند

---

١ - عوني عبد الرؤوف ، قواعد اللغة العبرية ص ١٨

٢ - احمد الهاشمي جواهر البلاغة ص ٧ .

العرب، مما يوحي بأن الامر لم يعد امر نطق معين، وانما اتخذ، الى جانب ذلك، بعدا اجتماعيا ونفسيا. روي عن عمر بن الخطاب انه كان من افصح الناس، لأنه كان ينطق الضاد من الجانب الايمن، مثلما كان ينطقها من الجانب الايسر ان شاء.

ان تسميةالعربية بأنها لغة الضاد يؤيد ما نحن بصدده، من ان نطق اصوات معينة، بكيفية معينة، اتخذ بعدا اجتماعيا ثقافيا. واذا اردنا ان نناقش صحة تسمية العربية بهذا الاسم، كان علينا ان ننظر في الوصف التاريخي لهذا الفونيم. يقول سيبويه: ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لانه ليس شيء من موضعها غيرها[1] ولقد ذهب بعض اللغويين المعاصرين الى افتراض ان يكون سيبويه، ومن بعده من اللغويين، قد اخطأوا في وصف هذا الفونيم، فظنوه رخوا لا وقفيًا، او ان نطق الضاد كان مثل نطق الضاد، على نحو ما هو معروف في بعض اللهجات العامية المعاصرة، في كثير من البلاد العربية[2].

اما الافتراض الاول، وهو ان سيبويه وسائر اللغويين، قد اخطأوا في وصف هذا الفونيم، فيرده ان سيبويه قد قرن بين النظائر، بصورة يزول معها الاحتمال بأنه وقع في الخطأ. فهو يقابل بين الصاد والسين، ويقابل بين الذال والظاء، باعتبار الاطباق وعدمه. ولكنه لايقابل بين الدال والضاد باعتبار الاطباق، فهو اذن يعي ما يقول.

وهو لذلك غير مخطىء بعدم مقابلة الضاد بالدال، مما يدل على أن الضاد لم يكن الصورة المفخمة للدال.

وأما الافتراض الثاني، وهو أن الضاد كان ينطق مثل الظاء، فرأي مرجوح، وقول مردود. ولا يشفع له أن الضاد ينطق ظاء في كثير من النهجات المحكية المعاصرة في البلاد العربية. بل ان هذا القول مدفوع بما يلي:

١ - اننا لا نجد عالما واحدا يصف الضاد بأنه كأن ينطق ظاء. بل لم نجد عالما واحدا يصف الظاء بأنه صوت ينطق جانبيا، كما كان حال الضاد، الذي وصفه علماء العرب جميعا، بأنه ينطق من الجانب الايمن، أو من الايسر، أو منهما معا.

---

١ سيبويه. الكتاب ج٤ تحقيق عبد السلام هارون، ١٩٧٥، ص ٤٣٦.
٢ كمال بشر. علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٠٥

٢ - وصف العرب لغتهم بأنها لغة الضاد، ولم يصفوها بأنها لغة الظاء. وهو اعتراض نرد به كذلك، على من يزعمون أن النطق القديم للضاد، هو نفس النطق المعاصر للضاد في العربية الفصيحة المعاصرة. فلو كان الضاد ينطق وقفيا على نحو ما ننطقه، معاشر المتخصصين، هذه الايام، لما سمّى العرب لغتهم لغة الضاد. فالضاد الوقفى كان موجودا في اللغة الحبشية، وكان العرب يعرفون ذلك، لأن جالية من الاحباش كانت تعيش في مكة، وكان بلال بن رباح، مؤذن الرسول ﷺ منهم. واذن، فلا بد أن يكون نطق الضاد العربي مختلفا عن نطق الضاد في الحبشية، حتى تسوغ تسمية العربية بأنها لغة الضاد. والنتيجة، أن تسمية العربية دون سائر الساميات، بلغة الضاد متسق مع الحقيقة، بشرط أن يكون الضاد كما وصفه سيبويه وغيره، لا كما ننطقه في فصيحتنا المعاصرة، اذ ان الصيغة النطقية الاخيرة موجودة في اللغة الحبشية Gazi. وتسمية العربية بأنها لغة الضاد، اتخذ بعدا اجتماعيا ونفسيا، فيه شيء من نظرة التميز والعلوّ.

ستة أصوات في العبرية القديمة تنطق وقفية شديدة، اذا لم تكن مسبوقة بحركة. وتنطق رخوة، اذا كانت مسبوقة بحركة. هذه الأصوات هي:

/ ב، ג، ד، כ، פ، ת /

هذا في العبرية القديمة، أما في العبرية الحديثة، فاليهود الشرقيون، دون الغربيين، ما زالوا يحتفظون بالطريقتين السابقتين في النطق، في ثلاثة أصوات فقط من الستة السابقة، وهي: / ב، כ، פ /

وهو خلاف قد يعزى الى أسباب ثقافية، فالشرقيون من اليهود، أقل اقبالا على التطور والتغيير من نظرائهم الغربيين. ولا أريد أن أقرر هنا أن الانسان الشرقي أقل قابلية للتطور من الانسان الغربي، على نحو ما ذهب اليه بعض علماء الانثروبولوجيا ولكنني أذهب الى القول، إن الانسان الشرقي، أكثر محافظة على قيمه وتراثه من الانسان الغربي.

يتبين مما سلف، أن ثمة ظواهر صوتية في اللغات السامية، يمكن أن تجد أجوبة مقنعة، اذا درست في أطر اجتماعية ونفسية وانثروبولوجية. ولست أدّعي ان كل ظاهرة صوتية يمكن أن تدرس او تفسّر بهذه المعايير. ولكنني أقول ان فيها ما يدفع الدرس اللغوي المقارن بين اللغات السامية، دفعة قوية الى الامام.

٢- في الصرف

غني عن البيان أن درس المقارنات بين اللغات السامية، يؤدي الى فهم أفضل لهذه اللغات، ومعرفة الصفحات المطوية من تاريخها. ولنأخذ مثالا لذلك ما يسمى في علم اللغة المعاصر بالبنية التحتية underlying form. فالصرفيون العرب افترضوا أن الالف في الافعال الثلاثية المعتلة والناقصة، منقلبة اما عن ياء واما عن واو. ف «قال» أصلها «قَوَل» و «رمى» أصلها «رمي»، بل ذهبوا الى أن الفعل الثلاثي في مثل «ردّ» و«عد» و«جزّ» منقلب عن أصل، هو في هذه الأفعال«ردد» وعدد و«جزز».

وقد ذهب بعض المعاصرين الى ردّ افتراضات الصرفيين، بحجّة أن اللغة تدرس على ما هي عليه، لا في ضوء افتراضات ليس عليها دليل. ولو أن هؤلاء المعاصرين نظروا في اللغات السامية، قبل إصدار أحكامهم، لما أصدروها. ففي الحبشية نجد أنهم يستعملون الفعل، مشابها للصورة التي افترضها الصرفيون، ورفضها بعض المعاصرين، وذلك كما في الجدول التالي:

الكلمة الحبشية	نطقها بالعربية	كتابتها الصوتية	المعنى
በየነ	بَيَنَ	bayana	تحقق
ተለወ	تَلَوَ	talawa	تلا
ደየነ	دَيَنَ	dayana	دان
ረመየ	رَمَيَ	ramaya	رمى

وفي العبرية نجد نظيرا للفعل المضعف العربي، وقد فُكّ تضعيفه في العبرية، وذلك كما في الجدول التالي:

الكلمة العبرية	نطقها بالعربية	كتابتها الصوتية	المعنى
גָּבַב	چافــف	ga:vav	لمّ، جمع
גָּדַד	چــاذذ	ga:ðað	قطع، قصّ
גָּזַז	چــازز	ga:zaz	قصّ

ليس غريبا أن يكون في اللغات السامية كلمات مشتركة، يتطابق لفظها بين لغتين أو أكثر، وقد يتطابق اللفظ والمعنى. وقد وجدنا علماء المقارنة بين الساميات يهتمون برصد الكلمات المتشابهة في اللغات السامية. غير انهم لا يكادون يذهبون الى ما وراء ذلك؛ فقلما يتعرضون لدراسة تطور الالفاظ، وكيف تطورت دلالاتها من لغة سامية الى أخرى؛ فكثيرا ما يحدث ان تدل الكلمة الواحدة في لغة سامية ما، على نقيض ما تدل عليه في لغة سامية أخرى، وذلك مثل الفعل«أبى» في العربية، والذي يقابله في العبرية، אָבָה «أفا»، الذي يعني شاء ورضي. وقد تستعمل الكلمة الواحدة للدلالة على المعنى وضده في اللغة الواحدة(١).

ان قوانين علم اللغة التاريخي، تفسر تطور الالفاظ ودلالاتها. وقد استخدمت هذه القوانين استخداما جيدا في تفسير تطور اللغات الهندو أوروبية. ولم تستخدم هذه القوانين بكفاية، في تفسير تطور الكلمات ودلالاتها في اللغات السامية. وتتطوّر دلالات الكلمات في اللغة عادة ضيقا واتساعا. فأذا اتسع محتوى الكلمة ضاق مجالها واذا ضاق محتواها اتسع مجالها[٢] وانما يتسع محتوى الكلمة او يضيق، تبعا لعوامل انثروبولوجية اجتماعية، او نفسية وثقافية. ونأخذ مثلا لهذا النوع من التطور كلمة «نفس» في العربية، ونظيرها العبري נֶפֶשׁ والسرياني ܢܰܦܫܳܐ فهذه الكلمة تطلق في اللغات الثلاث، على النفس الحية، وعلى جسد الميت. وانما كان الأمر كذلك لأن محتوى الكلمة اصلا، كان يتضمن كل ذي جسد حي؛ ليكون مجالها

١ - انظر تفصيل ذلك في كتاب د. يحيى كمال، التضاد في ضوء اللغات السامية، ١٩٧٥.

٢ - Thomas pyles The Origins and Development of The English Language 1971 p 345

الانسان حيا. ثم ضاق محتوى الكلمة، ليصبح « كل ذي جسد حي » فاتسع مجالها واصبح الجسد حيا وميتا. وهذا مبين في التوزيع التالي :

الكلمة	المحتـــــوى	المجال
نفس	كل ذي جسد حي (أتسع)	الجسد الحي فقط (ضاق)
نفس	كل ذي جسد (ضاق)	الحي والميت (اتسع).

قلت ان الضيق والاتساع، قد يتمان بتأثير عوامل اجتماعية وثقافية ونفسية. وهو في هذا المثال واضح بين. فالعقلية السامية تكره الموت وتأباه. لكنها في المقابل، تؤمن به لعوامل ثقافية دينية. واذن، واذن فلا بد من اضفاء بعض الخصائص على الميت، مما يعطى للحي اصلا. وكان ان اعطي لجسد الميت كلمة «نفس» وهي مما يعطى للحي.

ان معرفة الاساطير عند الامم السامية الوثينة. ومعرفة القصص الديني في الاديان السماوية التوحيدية، تخدمنا في تفسير الاعلام في كثير من الاحيان. نأخذ لذلك مثلا ظاهرة انتشار كلمة « عبد » وما تضاف اليه في العربية، على نحو اكثر مما نراه في سائر اللغات. وربما كان بعض الناس يتوقع وجود هذه الظاهرة في العبرية اكثر مما في العربية، فاليهود عاشوا عبيداً مذللين، في مصر، ايام الفراعنة. وقد استمرأوا العبودية، كما يروي تاريخهم. ولكننا لا نجد في اسمائهم عبد الحق، وعبد الرحمن، وعبد الناصر، وعبد القوي، وعبد الله، وعبد الجبار. ولكننا نجد مثل ذلك في العربية، حتى في الجاهلية، حيث يشيع لفظ العبودية مضافا الى بعض اسماء الله عز وجل، بل الى الاصنام وبعض الظواهر الطبيعية مثل عبد شمس، وعبد اللات، وعبد يغوث، وغير ذلك من نحوه. اقول نجد ذلك في لغة العرب الذين لم يعرفوا العبودية يوما، ولا ذاقوا ويلاتها، بل عاشوا ذوي أنفة وعزة، على الرغم من شظف العيش، وقساوة الطبيعة. والذي اراه في تفسير هذه الظاهرة، هو ان العرب كانوا يربطون بين الرجولة والعبودية لمعبودهم، فأخذت الكملة «عبد» مجالها من الذيوع والانتشار في الأعلام، الى ان رأينا ما رأيناه من شأنها في العربية.

تنعكس الطبيعة والبيئة العربية، على الاسماء والاعلام العربية، انعكاساً واضحا جدا فالعرب يسمون ابناءهم كلبا. وجحشا، وصخرا، وحجرا، وثعلبا، واسدا وعوفا[١] وغير ذلك من نحوه وبابه.

واذا ولينا وجهنا شطر الاعلام في العبرية، وجدنا ثمة العجب العجاب. فالمعتقدات الدينية هي سبب كثير من التسميات. فبابل مثلا، دعيت بهذا الاسم لان الرب هناك بلبل لسان كل الارض[٢] وابراهيم عليه السلام يُغيِّر اسمه من ابرام الى « ابراهيم » باضافة علامة الجمع اللاحقة بـ □ (Plural marker) لأنه اصبح ابا لجمهور من الامم «فلا يدعى اسمك بعدُ ابرام، بل يكون اسمك ابراهيم لاني اجعلك ابا لجمهور من الامم[٣]. والملاحظ على الرغم من هذا النص الواضح في التوراة ان اليهود يتسمون بـ « افرام » و «أبراهام» ويرغبون عن الاسم الذي فيه اشادة بأبي الانبياء عليه السلام، وما سبب ذلك في نظري، الا ان اليهود يريدون أن يستأثروا بابراهيم، استئثاراً ينفي نسبة غيرهم اليه. وهذا يدلنا بوضوح ايضاً، على ان اللغة تتحكم فيها المواقف النفسية والاجتماعية والثقافية.

وفي اللغات السامية جميعا، كلمات انحدرت اليها من أصول سومرية أو كنعانية. نأخذ لذلك مثلا من العربية « شقائق النعمان » التي هي اسم لزهر برّي قان معروف في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وأصل هذه التسمية مأخوذ من اسطورة سورية قديمة تدور حول مقتل «أدونيس» اله الزراعة والخصب عند السوريين آنئذ. وكان لـ «أدونيس» اسم آخر هو النعمان. ولما قتل أدونيس احمَرّ هذا النبت البري من دمه وسميت أزهاره« شقائق النعمان ».
هذا، وأصل« أدونيس » هو« آدون »، وانما اضيفت الى آخره السين من اللغة اليونانية، حينما أصبح(هذا الاله). الكنعاني، معروفا عند اليونانيين، وأصبح من آلهتهم.

---

١ - العوف هو الطائر. ومن الاسماء العربية الشهيرة عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل. وبهذه المناسبة، فان كلمة « عوف » עוף في العبرية تعني « طائر » مثل العربية تماما.

٢ - العهد القديم، تكوين، ص ١١.

٣ المرجع السابق، تكوين، ص ١٧.

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين الى أن « تهامة » مأخوذ هو الآخر، من اسم الإلهة« تيامت » المعروفة في وثنية العراق، بكونها تهمين على الشطوط والسواحل ومصائد الاسماك[١].

٣- في النحو والتراكيب

أسلفت القول ان دراسة المجتمعات السامية، ومعتقداتها وكتبها الدينية، وثقافتها، ترفد الدراسة اللغوية المقارنة لهذه اللغات. وأضيف هنا، أن الدراسة اللغوية المقارنة يمكن ان توقفنا على فهم أشياء لم نكن لنجد لها بيانا شافيا. ان هذه المقارنات يمكن أن تدلنا على فهم أفضل لم ينتبه اليه أبناء اللغة وعلماؤها. ورد في قصة نوح في القرآن الكريم الآية التالية:« ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه »[٢]. وقفت عند الواو الاولى في هذه الاية« ويصنع الفلك »، فما وجدت المفسرين يتحدثون عن هذه الواو بشيء، مع ان بعضهم ادرك أن الفعل المضارع « يصنع » يشير الى الماضي ويتحدث عنه. فقد قال أبو حيان النحوي» ويصنع الفلك حكاية حال ماضية[٣]. وفي نظري أن الواو هي التي قلبت المضارع، فصرفت دلالته الى الماضي. وهي لذلك صنو الواو العبرية التي تسبق الفعل المضارع فتصرف دلالته الى الماضي. فقد ورد في العهد القديم، عند الحديث عن قصة نوح أيضا النص العبري التالي:

וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים לְנֹחַ בֹּא אַתָּה

وترجمت الحرفية« ويقول الله لنوح ادخل أنت.......... » ولو أن النحاة العرب أفادوا من درس المقارنات، أو سلكوا سبيله، لاضافوا الى رصيد الواوات في العربية هذه الواو.

بل انني أذهب الى أبعد من هذا، فأرى ظواهر لغوية كثيرة، في اللهجات المحكية في البلاد العربية، مما يمكن ان يفهم في ضوء المقارنات بين اللغات السامية. وأضرب لذلك مثلا اللام التي تسبق المفعول به في كثير من اللهجات المحكية، فيقولون «أنا شفته لأحمد» يريدون «أنا رأيت أحمد» ويقولون «أنا ضربته لوليد» يريدون «أنا ضربت

---

(١) حسن ظاظا. الساميون ولغاتهم، ١٩٧١، ص ١٥.

(٢) سورة هود، ١١.

(٣) ابو حيان، البحر المحيط ج ٥، ص ٢٢١

وليدا». وهذه اللام تسبق المفعول به في اللغة الحبشية، فيقولون مثلا:

ፈጠርካሃ ፡ ለምድር

فاطركاها لَمْدر..، فتكون الترجمة الحرفية: خلقت للأرض، المراد: خلقت الأرض

ان أهم مشكلة تجابه علماء العربية اليوم هي تفسير ظاهرة الاعراب. ولقد تعددت الآراء في هذه الظاهرة واختلفت، فابراهيم أنيس مثلا، يرى أن الأصل في كل كلمة سكون آخرها، وان حركات الاعراب اخترعت للتخلص من التقاء الساكنين(١). ويبرر ابراهيم أنيس ذلك بقوله أن اللغات السامية غير معربة، وكذلك اللهجات العامية(٢).

وذهب ابراهيم السامرائي الى القول ان«العربية شفعية التعبير منذ أن كانت، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته، وهي ملتزمة بضوابط الاعراب، ولغة اخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلزموا انفسهم بعناء هذه الضوابط(٣).

أن الذي ذهب اليه إبراهيم انيس، من ان الاعراب اخترع للتخلص من التقاء الساكنين، مردود بما يلي:

١ – ان المعنى يتغير بتغير الحركات الاعرابية في مثل: ضرب محمدٌ خالداً. فلو قلت: ضرب محمداً خالدٌ لاختلف المعنى. وهذا دليل على ان للاعراب وظيفة اخرى أكثر من مجرد وصل الكلام.

٢ – لقد اصبح مسلّما به في الدراسات اللغوية المعاصرة ان للاعراب وظيفة دلالية. فاللغة السندية مثلا، يرتبط فيها الاعراب inflection بالمعنى. وكذلك الامر بالنسبة للغات السامية.

٣ – اما الادعاء بأن اللغات السامية ليست معربة، فمردود بأن اللغة الحبشية لغة معربة، وكذلك اللغة الاكادية.

٤ – أما تحلل اللهجات المحكية من الاعراب، فليس دليلا على انه استعمل لمجرد وصل الكلام، والا لكان لنا أن نسأل ابراهيم أنيس لماذا اتى العرب بهذه الحركات المتنوعة لوصل كلامهم؟ الا تكفيهم الكسرة مثلا لوصل كلامهم كما هي الحال في الفارسية؟

١– ابراهيم انيس. من أسرار اللغة ص ص ٢٢٤ – ٢٥.

٢– المرجع نفسه، ص ص ١٩٩ – ٢٠٠.

٣– ابراهيم السامرائي. التطور اللغوي التاريخي، ص ٦٨.

المراجع

أولا : المراجع العربية والمترجمة

١ - الأبراشي، محمد عطية وآخران. **المفصل في قواعد اللغة السريانية**. القاهرة، ١٩٣٣

٢ - ابن حزم. **الاحكام في اصول الاحكام**، القاهرة، ١٣٤٨هـ

٣ - أبو حيان النحوي، **البحر المحيط**، بيروت، ١٩٧٨ .

٤ - ابو هلال، أحمد. **مقدمة الى الأنثروبولوجيا التربوية**، عمان، ١٩٧٤

٥ - أنيس، ابراهيم، **من أسرار اللغة**، القاهرة، ١٩٧٥ .

٦ - بروكلمان، كارل. **فقه اللغات السامية**، جامعة الرياض، ١٩٧٧ .

٧ - بشر، كمال محمد. **علم اللغة العام**، الاصوات، ١٩٧٣ القاهرة .

٨ - حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، الكويت، ١٩٧٣ .

٩ - سيبوية، الكتاب بتحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، ١٩٧٥ .

١٠- السامرائي، ابراهيم. **التطور اللغوي التاريخي**، بيروت، ١٩٨١ .

١١- سواح، فراس. **مغامرة العقل الأولى**، دمشق، ١٩٧٦ .

١٢- ظاظا، حسن. **الساميون ولغاتهم**، القاهرة، ١٩٧١ .

١٣- عبد التواب، رمضان، **اللغة العبرية**، القاهرة، ١٩٧٧ .

١٤- عبد التواب، رمضان. **فصول في فقه العربية**، القاهرة، ١٩٧٧ .

١٥- عبد التواب، رمضان. **في قواعد الساميات**: القاهرة، ١٩٧١ .

١٦- عبد الرؤوف، عوني. **قواعد اللغة العبرية**. القاهرة، ١٩٧١ .

١٧- عبده، داود. **أبحاث في اللغة العربية**، بيروت، ١٩٧٣ .

١٨- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**، بغداد، ١٩٦٧ .

١٩- كمال، ربحي. **التضاد في ضوء اللغات السامية**، بيروت، ١٩٧٥

٢٠- الهاشمي، أحمد. **جواهر البلاغة**، بيروت، بدون تاريخ .

ثانيا : المراجع الأجنبية

1- Anttila, R. **Aniintroduction to Historical and Comparative Linguistics**. N.Y. 1972.

2- Beeston, A.F. **A Descriptive Grammar of Epiqraphic South Arabian**, London, 1962.

3- Brame, M. **Arabic Phonology**.NonPublished Ph.D. dissertation, M. I.T.1970

4- Friedrich,P.**Language, Context, and the Imagination**.tanford, 1979

5- Jeffers, R.& lise Lehiste. **Principles and Methods for Historical Linguistics**. M.It. 1980

6- Lightfoot, D. **Principles of Diachronic Syntax**. Campridge Un.Press, 1979

7- Pyles, Th.**The Origins and Development of The English Language**. N.Y. 1971

8- **Shopen, T,Languages and Their Speakers**.Cambridge,1979.

من مظاهر المعيارية
في الصرف العربيّ

الدكتور فوزي الشايب
(جامعة اليرموك)

ان في الصرف العربي كثيرا من القضايا التي تحتاج الى اعادة النظر، والى المراجعة، وبالتالي الى الصياغة من جديد لتتفق مع معطيات علم اللغة الحديث، ولتصبح ممثلة للواقع اللغوي الحقيقي خير تمثيل. ذلك ان المنهج المعياري الذي كان الطابع العام للدراسات اللغوية التقليدية، قد تسبّب في كثير من الأحيان في فصم عرى التواصل والانسجام بين القواعد والأحكام اللغوية من جهة، والواقع اللغوي الذي يفترض انها تمثله من جهة أخرى، وهو ما جعلها تبدو نابية، وغريبة عنه. وهذا شيء طبيعي، نظرا لكونها لم تصدر عن وصف حقيقي لهذا الواقع، وانما صدرت عن وصف لواقع لغوي آخر: واقع تاريخي، او واقع وهمي، ليس له وجود الا في ذهن الباحث نفسه. واللغويات الحديثة بوصفها الدراسة العلمية للغة، من أهم مميزاتها انها علم وصفي لا معياري.(١) فأول عمل اللغوي هو أن يصف الطريقة التي يتكلّم ويكتب بها الناس لغتهم فعلا، لا ان يفرض كيف ينبغي عليهم ان ينطقوا، أو يكتبوا. ولذا كانت الحاجة ماسة الى المراجعة واعادة النظر في كثير من القضايا اللغوية، على أسس علمية سليمة، لتكون أكثر دقة واكثر علمية. وسأتناول في هذا البحث ثلاث قضايا تتجلى فيها المعيارية في أوضح صورها.

القضية الاولى: في العلاقات بين الصوامت والحركات

لم يول القدماء الحركات القصيرة، الاهمية نفسها التي أولوها للصوامت، ويرجع ذلك الى عدم وجود رموز مستقلة للحركات القصيرة تكتب في صلب الكلم، وانما توضع فوق

---

(1) Lyons. John-An Introduction to Theoritical Ling. 43.

الصامت او تحته، وهذه التبعية الخطية التي فرضتها رسوم الكتابة العربية والسامية عامة، قد أوحت الى القدماء فكرة تفوق الصامت واهميته، وتبعية الحركة ودونيتها. فالتبعية الخطية ترتبت عليها تبعية وظيفية، وتبعية في القيمة والاهمية، مِمّا جعل القدماء ينظرون الى الحركات وكأنها عناصر ناقصة، ضعيفة، لا تقوم بذاتها، وانما تكون تابعة دائما وابدا للصامت. فالصامت متبوع، والحركة هي التابع، والمتبوع - من ناحية منطقية - اهم واقوى بطبيعة الحال من التابع، اذ لا بد للتابع من متبوع يعتمد عليه، يوجد بوجوده، وينعدم بعدمه. قال الزجاجي:[1] «**والحركة لا تقوم بنفسها ولا توجد الا في حرف**». وقال ابن جني[2]: «ان الحرف كالمحل للحركة، وهي كالعرض فيه، فهي لذلك محتاجة اليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده».

والصامت لقوته، مستقل مستغن بذاته، اذ قد يوجد ولا حركة معه، فهو ليس محتاجا اليها كاحتياجها اليه. وهذا ما عبر عنه ابن جني بقوله:[3] «... ولكن لما كان الحرف اقوى من الحركة، **وكان الحرف قد يوجد ولا حركة معه**، وكانت الحركة لا توجد الا عند وجود الحرف، صارت كأنها قد حلته، وصار هو كأنه تضمنّها تجوزا لا حقيقة». فالصامت الذي يعبرون عنه بالحرف يتفوّق على الحركة بشيئين:

١ - باستقلاله، وكونه متبوعا لا تابعا.

٢ - بقوته.

ولا شك في انهم يقصدون بالقوة ههنا قوة الصوت، قال ابن جني:[4] «ومعلوم ان الحرف اوفى صوتا، واقوى جرسا من الحركة». فالصوامت عندهم اصوات قوية،

---

(١) الايضاح في علل النحو ٩٣

(٢) سر صناعة الاعراب ٣٢

(٣) نفسه ٣٦

(٤) الخصائص ٢/ ٣٢٣

والحركات اصوات ضعيفة، قال ابن يعيش[١]: «وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، لأن الحركات والحروف أصوات، وانما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت، فسموا العظيم حرفا والضعيف حركة، وان كانا في الحقيقة شيئا واحدا». فالصامت عندهم اقوى واكثر تمكناً من الحركة. قال في البسيط[٢] «تمكن النطق بالحرف اقوى من تمكنه بالحركة».

هذا هو موقف القدماء من العلاقة بين الصوامت والحركات والذي قوامه القول بقوة الصامت واستقلاليته. وضعف الحركة وتبعيتها. وهذا الموقف في الحقيقة قائم على أسس معيارية بحتة، فالدارسة الوصفية تهدمه وتنسفه من أساسه، فليست الصوامت اوفى صوتا، واقوى جرسا من الحركات، وليس الصامت هو المتبوع والحركة هي التابع، بل العكس هو الصحيح.

ان الصوامت بوصفها دوال الماهية، تعد العنصر الأهم من الناحية الدلالية، ذلك ان بها وحدها تتكون الفكرة العامة، او المعنى العام للكلمة، أما الحركات بوصفها دوال النسبة فوظيفتها توجيه المعنى العام او تخصيصه. قال بروكلمان[٣]: «ويرتبط المعنى الرئيسي في الكلمة في ذهن الساميين بالأصوات الصامتة فيها، اما الأصوات المتحركة فهي لا تعبر في الكلمة الا عن تحوير هذا المعنى وتعديله». وهذا يفسر لنا سر اهمال الكتابة العربية والسامية عامة للحركات في الكتابة، واقتصارها على الصوامت، فقد شعر واضع الالفباء السامية ان الصوامت هي الجزء الذي لا يستغنى عنه بحال من الناحية الدلالية، ومن ثم اثبتها وحدها في الكتابة، تاركا للقارىء مهمة اكتشاف الحركات بالاستناد الى السياق. وعليه فان صفة الثبوت في الصوامت، وصفة التقلب في الحركات هي التي املت طبيعة الكتابة السامية التي جاءت تعبر عن العنصر الاكثر ثبوتا وهو الصوامت، مهملة العنصر الأكثر تقلبا وهو الحركات.[٤]

---

(١) شرح المفصل ٩/ ٦٤.

(٢) انظر الأشباه والنظائر في النحو ١/ ٢٠٨

(٣) فقه اللغات السامية ١٤.

(٤) الكتابة العربية والسامية ٨٨.

واذا كنا نجد للصوامت مزيّة على الحركات من الناحية الدّلالية، فاننا لا نجد لها اية مزيّة من الناحية النطقية، ذلك ان الانسان عندما ينطق يخرج كلامه على شكل تيار متدفق من الصوامت والحركات آخذا بعضها بحجز بعض مشكّلة نسيجا صوتيا متكاملا لا نكاد نتبيّن من خلاله الخصائص المميزة لعناصره الأولية. قال ڤندريس:[١] «في كل لغة ترتبط الاصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فهي تكون نظاما متجانسا مغلقا، تنسجم اجزاؤه كلها فيما بينها. هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات اهمية قصوى، لانها تثبت ان اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات». وقال جون ليونز John Lyons:[٢] «ان الصوت اللغوي في حال انتاجه من قبل اعضاء النطق الانساني يشكّل سلسلة متصلة ربما لا توجد خلالها أصناف طبيعية على الاطلاق».

وعليه، فالقول بأن الصامت قد يوجد ولا حركة معه قول مردود، لأنه لا وجود للأصوات منفردة، ففي النطق لا يوجد صامت دون حركة، ولا وجود لحركة دون صامت، لأننا انما نتكلم سلاسل صوتية متصلة، تكون الصوامت فيها بمنزلة الهيكل العظمي، والحركات بمنزلة الدم واللحم والعروق والأعصاب التي تكسو الهيكل العظمي، فتكسبه الشكل الملائم وتبعث فيه الحياة. ولا حياة للكلمة دون هذين العنصرين، بل لا حياة، ولا وجود لأي منهما دون الآخر، فكلاهما مفتقر الى الآخر بالضرورة. وهذه حقيقة معروفة، ومن ثم فان تجزئة الكلام الى صوامت وحركات يعد عملا اصطناعيا، الغرض منه فقط، هو تيسير عملية الوقوف على حقيقة الاصوات وخصائصها وكيفية نطقها.

بيد أن الاصوات من الناحية الوظيفية، وهي الناحية الأكثر اهمية تظهر لنا الحركات في صورة المتبوع لا التابع، وبيان ذلك ان اقل ما ينطق به هو المقطع، والمقطع في حقيقة امره هو اقل مجموعة من الأصوات، تحتوي على حركة واحدة، يمكن الابتداء بها والوقوف عليها.[٣] ولكي نقرب الأمر أكثر فأكثر، نقول ان المقطع ما هو الا هرم صوتي،

---

(١) اللغة ٦٢.

(2) Lyons. J. An Introduction to theoritical Ling P. 103.

(٣) حول المقطع وتعريفاته انظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ص ٩١-٩٣.

وقمة هذا الهرم الصوتي تكون حركة دائما وابدا في العربية، في حين تشكل الصوامت القاعدة، والقاعدة مرتبطة بالقمة ومشدودة اليها، لان قمة المقطع هي مركز الثقل فيه، فهي العنصر الاقوى والعنصر الاكثر تأثيرا في السمع، وعليه، فتسكين الصامت لا يعني بحال من الاحوال أنه موجود دون حركة يستند اليها، ولنأخذ على سبيل المثال الفعل «يدرس: Yad/ru/su فهو يتكون - كما توضح ذلك الخطوط المائلة - من ثلاثة مقاطع، طويل مقفل، فمقطعين قصيرين - وبالنسبة للمقطع الاول «يَدْ: yad» فان قمته هي الفتحة، وقاعدتاه هما: الياء والدال، وهما بوصفهما قاعدة المقطع، مشدودتان الى القمة التي هي الفتحة، ولا فرق بين الياء والدال الا ان الاولى بداية المقطع، والثانية نهاية المقطع، فالصامت اذا ان تحرك تبع الحركة التي تليه وكان بداية مقطع، وان سكن تبع الحركة التي قبله وكان نهاية المقطع، وهو في كلتا الحالتين تابع للحركة لا متبوع.

اما بالنسبة الى قوة الصوت، فليست الصوامت اقوى من الحركات، وانما الحركات اقوى اسماعا من الصوامت، وهذه حقيقة مقررة معروفة لا تحتاج الى شرح. واذا كانت الصوامت اقوى من الحركات في شيء، فانها اقوى فعلا في الجهد العضلي فقط. فالصوامت مجهدة، تتطلب جهدا عضليا وطاقة اكثر من الحركات. وفيما عدا الثقل نطقيا في الصوامت، وقوة الاسماع في الحركات، لا توجد أية مزية لأحدهما على الآخر، قال فندريس: (١) «واذا كان بين الاثنين فرق في الوظيفة، فليس بينهما في الواقع اي فرق في الطبيعة، والحد الذي يفرّق بينهما ليس حدا فاصلا، فالسواكن والحركات تكون جزءاً من سلسلة طبيعية، ولا يتضح الفرق بين عراها بجلاء».

القضية الثانية: الاعلال بالنقل

والقضية الثانية التي تتجلى فيها المعيارية هي ظاهرة الاعلال بالنقل او الاعلال بالتسكين. والاعلال بالنقل ينقسم الى ثلاثة اقسام:

١ - اعلال بالنقل والقلب.

٢ - اعلال بالنقل والحذف.

٣ - اعلال بالنقل فقط.

---

(١) اللغة ٤٧.

أما القسم الاول فيمثلون له بنحو «أقام» و «أبان» و «يَخاف» و «يَهاب» و«يُقال» ثم حدث ان اعلت هذه الكلمات، وقد تمت عملية الاعلال - كما وصفوا - على مرحلتين. ففي المرحلة الاولى نقلت الحركة من حرف العلة الى الصحيح الساكن قبله، فتحولت بذلك الكلمات الى «أقْوَم» و «أبْيَن» و «يَخْوَف» و«يَهْيَب» و «يُقْوَل» ثم كانت الخطوة الثانية والأخيرة، وهي الاعلال بقلب حرف العلّة ألفا، وذلك لتحركه في الاصل وانفتاح ما قبله الآن! قال المازني:[1] «فاذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل من بنات الثلاثة ساكنا في الأصل، ولم يكن ألفا ولا واوا ولا ياء، فانك تسكن المعتل، وتحوّل حركته على الساكن الذي قبله، وذلك مطّرد في كلامهم... وذلك نحو: أجاد وأقال وأبان وأخاف واستراث واستعاذ، وأصله «أجْوَد» و «أقْوَل» و «أبْيَن» و «أخْوف» و «استَرْيَث» و «استعوذ». ولكنهم القوا حركة الواو والياء على الساكن الذي قبلهما فانفتح، ثم ابدلت الواو والياء الفين لذلك».

وقد ذكر القدماء انفسهم انه ليس ثمة علّة قوية توجب هذا الاعلال بهذه الكيفية التي وصفوها، ذلك لأن الغاية من الاعلال هي طلب الخفة، ومثل هذه الاصول التي ذكروها أي «أجود» وأقول... خفيفة، ثم ان الحركة المنقولة هي الفتحة، وهي أخف الحركات، والخفيف لا يخفف بطبيعة الحال. ومن هنا فقد نصوا على ان القياس فيها ان لا تعل. قال الرضي:[2] «اذا تحرك الواو والياء وسكن ما قبلهما، فالقياس ان لا تعلا بنقل ولا بقلب، لأن ذلك خفيف».وإذا لم تكن ثمة علّة موجبة لهذا الاعلال، فان الاعلال قد أتاها من قبل تعميمات القياس. فقد أعلّ الماضي المزيد حملا له على المجرد، وأعل الفعل المضارع حملا له على الماضي. قال ابن جني:[3] «ألا ترى أن أصل» «أقام» «أقْوَمَ» وأصل «استعاذ» «استَعْوَذ» فلو أخلينا وهذا الحرف، لاقتضت الضرورة تصحيح العين لسكون ما قبلها. غير انه لما كان منقولا ومخرجا من معتلّ هو: «قام» و «عاذ»، أجرى أيضا في الاعلال عليه». وبالنسبة إلى المضارع وحمله على الماضي في مثل هذا النوع من الاعلال، قال ابن جني ايضا[4] «ألا ترى أن أصل «يقول» و

---

(١) انظر المنصف ١ / ٢٦٧.

(٢) شرح الشافية ٣/ ١٤٤.

(٣) انظر الخصائص ١ / ١١٨، والمنصف ١ . ٢٦٠.

(٤) المنصف ١ /٢٤٧.

«يبيع»: «يَقْوُل» و «يَبْيِع»، وأصل «يخاف» و «يهاب» «يَخْوَف و «وَيَهْيَبْ» وأصل «يطول» «يَطْوُل»، وهذه الصيغ لا توجب إعلالا، لأن الواو والياء اذا سكن ما قبلها جرتا مجرى الصحيح، ولكن لما كان أصل الماضي من هذه الأفعال ونظائرها انما هو: «قَوَمَ» و «بَيَعَ» و «خَوِف» و «هَيِب» و «طَوُل»، اعتلت العينات لتحركهن وانفتاح ما قبلهن، فسلبن ما فيهن من الحركات هربا من جمع المتجانسات، فقلبت ألفات، لتحركهن في الاصل وانفتاح ما قبلهن الآن. فلما جاء المضارع أعلوه اتباعا للماضي لئلا يكون احدهما صحيحا والآخر معتلا».

وأما الاعلال بالنقل والحذف فكقولهم في «قُمْ» و «بِعْ» أن الأصل فيهما هو: «أُقْوُم» و «اِبْيِع»، ثم حصل فيها اعلال بالنقل والحذف، فانتهى بهما الأمر الى «قُمْ وبِعْ». قال ابن عصفور:(٤)«... وكذلك «قم» و «بع»، اصلهما «أُقْوُم» و «إِبْيِع» ثم نقلت حركة العين الى ما قبلها فتحرك، فذهبت همزة الوصل، لأنهما انما أتى بها لأجل الساكن، فزالت بزواله، ثم سكنوا الآخر، وحذفوا حرف العلّة لالتقاء الساكنين».

وأما الاعلال بالنقل فقط، فكقولهم في مثل «يقوم» و «يبيع» ان الأصل فيهما هو «يَقْوُم» و «يَبْيِع» فنقلت حرف العلّة الى الصحيح الساكن قبله، ثم بقي حرف العلّة بعد ذلك على حاله!!.

ونقل الحركة في مثل «يَقْوُل» و «يَبْيِع» و «أَقْوُل» و «إِبْيِع»، لا يتم لاجل استثقال الحركة على حرف العلّة، وانما الاعلال بالنقل فيهما وفي نظائرهما مقدمة لاعلال هذه الالفاظ حملا لها على الماضي. قال الرضي:(١) «ولا تقول ان الضم والكسر في نحو «يَقْوُل» و «يَبْيِع» نقلا الى ما قبلها للاستثقال، اذ لو كان له، لم تنقل الفتحة في نحو: يخاف ويهاب وهي أخف الحركات، فلا تستثقل، وخاصة بعد السكون ولا سيما في الوسط. وايضا فالضمة والكسرة لا تستثقلان على الواو والياء اذا سكن ما قبلهما كما في دلو وظبي». ومن هنا كانت تخطئة أبي عمر الجرمي للفراء حينما ذهب الأخير

---

(٤) الممتع ٢ / ٤٤٩.

(١) شرح الشافية ١ / ٨٢ وانظر المنصف ١ / ٢٤٨.

الى ان الحركة نقلت في مثل «أُقْوُم» من حرف العلّة الى الساكن قبله لأجل الثقل. جاء في الخصائص:[1]« وحدثنا ابو بكر محمد بن علي المراغي قال: حضر الفراء أبا عمر الجرمي، فأكثر سؤاله اياه، قال: فقيل لأبي عمر: قد أطال سؤالك. أفلا تسأله؟ فقال له أبو عمر: يا أبا زكريا، ما الاصل في «قم» فقال: «أُقْوُم» قال: فصنعوا ماذا؟ قال: استثقلوا الضمة على الواو فأسكنوها ونقلوها الى القاف. قال له أبو عمر: هذا خطأ: الواو إذا سكن ما قبلها جرت مجرى الصحيح، ولم تستثقل الحركات فيها».

ويلحق بظاهرة الاعلال بالنقل، وان لم يكن في حد ذاته اعلالا، نقل الحركة من اول المثلين المتتابعين الى الساكن قبله، وادغام اول المثلين في الثاني نحو: يردّ، ويمدّ والأصل فيهما عندهم يَرْدُدُ ويَمْدُدُ، فنقلت الحركة من العين الى الفاء الساكنة ثم ادغم المثلان[2]. وهذا ملحق بظاهرة الاعلال بالنقل، وليس اعلالا كما ذكرنا، لأن الاعلال مختص عندهم بالتغيرات التي تعتور احرف العلّة. قال الرضي:[3]« والاعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حروف العلّة، أي الالف والواو والياء بالقلب أو الحذف او الاسكان».

بعد هذا نقول ان كل ما قيل عن ظاهرة الاعلال بالنقل، في الألفاظ المعتلة وما حمل على هذه الظاهرة من الالفاظ المضعّفة، ان هو الا تصورات وافتراضات لا حقيقة تحتها. فليس الاصل في «أقام» و «أبان» و «يخاف» «ويهاب» و «يقال» هو «أَقْوَم» و «أَبْيَنَ» و «يَخْوَف» و «يَهْيَب» و «يُقْوَل»، إذ لو كان هذا هو الاصل حقا لبقيت على هذه الصورة كما بقيت كل من: أغيلت المرأة، وأغيمت السماء وأخيلت، وأطولت الصدود، واستنوق الجمل واستحوذ عليهم الشيطان، وغيرها من الالفاظ التي يطلق عليها المحدثون اسم «الركام اللغوي للظواهر اللغوية المندثرة»[4]. والتي تعرف بالشواذ في الدراسة التقليدية، خرجت مصححة ولم تعلّ لتكون منبهة على الاصول المرفوضة[5]. ولكن هذه الالفاظ انما جاءت مصححة غير معلّة - في رأينا -

---

(١) الخصائص ٣/ ٢٩٩، المنصف ١/ ٢٤٨ والممتع ٢/ ٤٤٩.

(٢) انظر الممتع ٢/ ٦٣٤، وشرح الشافية ٣/ ٢٣٤.

(٣) شرح الشافية ٣/ ٦٣.

(٤) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ٣٧٦ وانظر بحوث ومقالات في اللغة ٢٤٤.

(٥) أنظر المنصف ١/ ٣٣٣.

من باب القياس الخاطيء على الالفاظ الصحيحة. وأما بالنسبة لـ «أقام» و «أبان» ونحوهما، فليس فيهما شيء اسمه اعلال بالنقل البتة. ذلك ان هذين الفعلين المزيدين هما في حقيقة أمرهما: الماضي المجرد «قَوَمَ» و «بَيَنَ» صُدّر كل منهما بمقطع قصير، هو مورفيم التعدية «أَ: ءa» فالاصل فيهما على هذا ينبغي ان يكون: أَ + قَوَمَ ← أَقَوَمَ بالاعلال ← أقام. و أ+ بَيَنَ ← بالاعلال ← أبان. فلم يكونا في يوم من الايام أَقْوَم وأَبْيَن، ولكن القدماء قضوا بذلك من باب الحمل على الفعل الصحيح نحو «أَخْرَج» و «أَذْهَب»... ظنا منهم أن هذه هي الصورة الاصلية للماضي المزيد بمورفيم التعدية، والحقيقة التي لا مراء فيها ان كلا من «أَخْرَج» و «أَذْهَب» ليست الصورة الاصلية، وانما هي صورة متطورة عن أخرى افرزتها خصائص البنية المقطعية للعربية. فأخرج هي في حقيقة امرها الماضي المجرد «خَرَجَ» ثم زيد عليه في أوله مورفيم التعدية الذي هو مقطع قصير وبذلك فان الصورة الأصلية لهذا الفعل ونظائره هو: أَ + خَرَجَ ← أَخَرَجَ، فتتابعت في كلمة واحدة أربعة مقاطع قصيرة، وهذا لا تجيزه العربية الا في حالة واحدة، وهي حالة الماضي الذي اتصلت به كاف المخاطب أو المخاطبة نحو: «شَكَرَكَ وشَكَرَكِ» ولهذه الحالة الخاصة علّة شرحناها في رسالتنا لدرجة الدكتوراة «أثر القوانين الصوتيّة في بناء الكلمة العربية»[1]، وفيما عدا ذلك، فان العربية لا تسمح بتتابع اربعة مقاطع قصيرة في كلمة واحدة، وذلك لأن هذه المقاطع بسبب وقعها السريع، نتيجة قصر الفترة الزمنية التي يستغرقها نطقها- تمثل عنصر توتر واجهاد للناطق. وفرارا من هذا الثقل، تعمد العربية الى ادماج المقطعين الاول والثاني في مقطع واحد عن طريق التخلص من حركة المقطع الثاني، وبذلك ينتقل الفعلان من أَخَرَج، وأَذَهَب الى أَخْرَج وأَذْهَب. وعلى هذا نفسّر بناء الماضي على السكون عند اتصاله بضمائر الرفع المتحركة مثل خرجْتُ ،وبقاءَهُ على حاله عند اتصاله بتاء التأنيث الساكنة مثل خَرَجَتْ، نظرا لأن تاء التأنيث لم تضف جديدا من حيث عدد المقاطع، وانما أقفلت المقطع الأخير، فبقي الفعل معها كما قبلها مكونا من ثلاثة مقاطع، مع فارق في كمية المقطع الأخير فقط.

---

(١) انظر أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ١٤٨ .

واذا كانت العربية قد عمدت الى ادمَاج المقطعين الاول والثاني في الأفعال الصحيحة في مقطع واحد، أَخرَجَ ← أخْرَج، فانها لم تفعل الشيء نفسه في الأفعال المعتلة مثل: «أبان» و «أقام»؛ لأن علّة التسكين غير واردة في هذا القطاع من الأفعال؛ لأن الاعلال يحول دون تتابع أربعة مقاطع قصيرة.

وما قيل عن الماضي يقال عن المضارع أيضا، فليس الأصل في يخاف ويهاب ويُقال ويُقيم هو: «يَخْوف» و «يَهْيب» و «يُقْوَل» و «يُقْوِم»، ثم أعلت هذه الألفاظ بالنقل والقلب، كما قال القدماء والمستشرقون أيضا.[1] وذلك لأن المضارع هو الماضي زيد عليه مورفيم المضارعة، قال الرضي:[2] «والمضارع فرع الماضي بزيادة حرف المضارعة عليه... والامر فرع المضارع لأنه أخذ منه». وقال بروكلمان:[3] «اما المضارع فيصرف بالمقاطع التي تزاد في أوله: للغائب المذكر المفرد» ya «وللغائبة المؤنثة «ta» وللمخاطب المفرد «ta» وللمخاطبة المفردة «ta» وللمتكلم المفرد «ᵓa» و للمتكلم الجمع «na»

وما دام المضارع هو الماضي بزيادة مورفيم المضارعة، الذي هو مقطع قصير، والماضي فاؤه وعينه ولامه كلها متحركة، فانه لا يجوز أن نقول أن أصل يخاف ويهاب: يَخْوف ويَهْيب، ولا أن الأصل في يُقال يُقْوَل، وفي يُقيم يُقْوِم... ولا شك في أن حكمهم على الأجوف المعلّ بأنه كان في الأصل على هذه الصورة أو تلك قد بنى على أساس الصحيح نحو: يَخْرُج ويَضْرِب ويُقْسِم... لقد خدعوا بهذه الصورة التي عليها الصحيح من الأفعال المضارعة فظنوا- انطلاقا من عدم ايمانهم بفكرة التطور في الصيغ[4]- أنها الصورة الأصلية له. والصحيح أصل للمعتل في احكامه، ومن هنا حملوا المعتل عليه.

وما قلناه عن الماضي ثَمَّ، نقوله عن المضارع ههنا، فهناك الماضي المجرد زيد عليه

---

(١) (1) See. Wright.W. A Gram. of the Arabic Lang. vol. 1.p. 81.

(٢) شرح الشافية ٣/٨٨.

(٣) فقه اللغات السامية ١١٦.

(٤) انظر الخصائص ١/٢٥٦، ٢٥٩.

في اوله مورفيم التعدية، فتشكلت بذلك أربعة مقاطع قصيرة اختزلت الى ثلاثة. وههنا الماضي زيد عليه في اوله مورفيم المضارعة، فالحال اذا واحدة، أي تشكّلت في المضارع أربعة مقاطع قصيرة أيضا، ولعل مما يعزز ذلك ويقويه، ما ذكره اللغويون من أن المضارع في الاكدية يكون على « ªikabir » اي محرّك الفاء، كما ذكروا أن له نظائر في الحبشة والمهرية، فللمضارع فيهما صيغتان، ففي الحبشية: «yekbir» و «yekabir» وفي المهرية «yiftah» «yifoteh»[1] وعليه، فان فاء المضارع الأصل فيها الحركة لا السكون، فكل من يَخْرُج ويَضْرِب ويُقْسِم، تمثل في الحقيقة صورة متطورة عن أخرى تتكون من أربعة مقاطع قصيرة، اختزلت فيما بعد الى ثلاثة فكانت: يخرج ويضرب ويقسم. لكن ما الحركة التي كانت للفاء؟ أهي نفس حركتها في حالة الفعل الماضي، أم أنها حركة مجانسة لحركة العين، أم غير ذلك؟ لا نستطيع أن نقطع بشيء. وكل ما نقطع به أن المضارع: في الأصل، كان يتكون من أربعة مقاطع قصيرة، لأنه الماضي زيد عليه مورفيم المضارعة، وان كنا نميل الى الاعتقاد بأن الحركة ربما كانت مجانسة لحركة العين، أي أن يخرج في الاصل يَخُرُج ويَضْرِب يَضِرِب، ويُقْسِم يُقِسِم. هذا مجرد احتمال يعوزه الدليل، ثم تطور هذا الاصل المفترض الى الصورة الحالية بادماج المقطعين الاول والثاني في مقطع واحد، هذا في الافعال الصحيحة. أما في الافعال المعتلّة، فلا يحدث شيء من هذا القبيل، لأن الاعلال يمنع تشكل أربعة مقاطع قصيرة، فيخاف ويهاب ويقال ويقيم، ليس فيها يَخْوَف ويَهْيَب ويُقْوَل ويُقْوِم، وانما هو في اعتقادنا يَخَوَف وَيَهَيَبُ ويُقَوَل ويُقِوِم، وهنا وقعت كل من الواو والياء بين حركتين، ووقوعهما في سياق كهذا يضعفهما فيسقطان[2]، فتلقي الحركتان القصيرتان اللتان تكتنفانهما، فتتشكل منهما حركة طويلة، وبذلك تتحول الى يخاف ويهاب ويقول ويقيم..

وأما الاعلال بالنقل فقط، والذي يمثلون له عادة بـ يقول ويبيع ونظائرهما، فهذان يعتقد القدماء أن أصلهما يَقْوُل، ويَبْيِع، ثم نقلت حركة حرف العلّة الى الصحيح

---

(١) انظر التطور النحوي للغة العربية ٨٧، ٨٨.

(٢) أنظر العربية الفصحى ٤١.

الساكن قبله وبقيت العين على حالها ! والقول بأن الاصل في هذين الفعلين ونظائرهما هو سكون الفاء، مرفوض. والقول بنقل الحركة من أصل لآخر، مرفوض أيضا. وما قلناه عن الافعال السابقة، نقوله ههنا، أي أن الاصل فيها تتابع أربعة مقاطع قصيرة، وقعت فيهما الياء والواو بين حركتين، فضعف مركزهما، فسقطتا، فتشكل من الحركتين اللتين تكتنفانها حركة طويلة، فمن يَقْوُل الى يقول ومن يَبِيع الى يبيع.

وأما الاعلال بالنقل والحذف الذي يمثلون له عادة بنحو: قُمْ وبعْ وأن الأصل فيهما هو «اُقْوُم» و «اِبْيع»، فقد بينا في حديثنا عن المضارع، ان الاعلال يحول دون تتابع اربعة مقاطع قصيرة، وبالتالي فان وضعها يختلف عن الأفعال الصحيحة. ومعروف أن الأمر محذوف من المضارع باسقاط مورفيم المضارعة، واسقاط حركة الآخر، فالأمر من يقوم هو في الأصل: قومْ: Kum، ومن يبيع بيعْ، «bi^6»، ومن يخاف خافْ: haf، فيتشكل مقطع مديد من نوع (ص ح ح ص) وهو مرفوض عربيا، لا تجيزه العربية الا في الوقف، والا في باب شابّة وصلا. قال بروكلمان: (١)» ولا تتحمل العربية القديمة الحركة الطويلة الا في المقاطع المغلقة عن طريق التضعيف، مثل: «dallūna» «ضالّون» وكذلك في تلك المقاطع التي لم تغلق الا بعد حركة آخر الكلمة في الوقف مثل: «dāhūn». وعليه، فاذا ما تشكّل المقطع المديد دون تحقق هذين الشرطين، تعمد العربية الى اختزال الحركة الطويلة، فتحول المقطع من مديد الى طويل مقفل، فتتحول الافعال من «قومْ»: «kum» الى «قُمْ» «kūm»، ومن «بيعْ» «bi$_6$» ومن خاف «haf» الى خفْ» haf» وهكذا.

والأمر مع المضعف مثله مع الأجوف، فليس الأصل في يمدّ ويردّ – عندنا – هو يَمْدُد ويَرْدُد، ثم حصل نقل للحركة من اول المثلين الى الصحيح الساكن قبله، ثم ادغم في الذي يليه كما يصف القدماء والمستشرقون (٢). وانما المضارع ههنا أصله مكون من اربعة مقاطع قصيرة، كما بينا سابقا، وهذا لا تجيزه العربية، فكان لا بد من ادماج المقطعين الأول والثاني في مقطع واحد، ولكن الادغام الذي هو في حقيقة امره ادماج المقطعين الثالث والرابع في مقطع واحد يحول دون تتابع أربعة مقاطع قصيرة، وبالتالي لا يكون ثمة داع لتسكين فاء الفعل.

---

(١) فقه اللغات السامية ٤٤.

(٢) انظر على سبيل المثال (I) Wright. W.A Grammar of the Ar. Lang. Vol. I.P. 68.

القضية الثالثة: قضية الوزن

من أكثر المسائل الصرفية اعتباطية، وأكثرها اغراقا في المعيارية، وبعدا عن الوصفية، قضية الوزن. فهناك فئات من الألفاظ يصرّ القدماء على وزنها حسب أصولها التاريخية، ولا يلقون بالا الى الواقع اللغوي الحقيقي، أي يزنون بعض الألفاظ حسب الصيغ الاصلية لها. ولا يهتمون بالصورة الصوتية النهائية لها، ويمكن حصر هذه الفئات في ثلاث:

١ . الالفاظ المعلّة.

٢ . الالفاظ المضعّفة.

٣ . بعض الصور المتطورة عن تفعّل وتفاعل.

فأما الالفاظ المعلّة فمثل: قال، باع، دعا، رمى، أقام استقام، ومقام ومقيم ومستقيم...، فعند وزن هذه الكلمات ونظائرها، يزنون بدلا منها أصولها، فبدلا من قال وباع، ودعا ورمى، يزنون: قَوَلَ، وبَيَعَ ودَعَوَ وَرَمَيَ، اي يزنون الأصول التاريخية لهذه الالفاظ، ومن ثم يزنونوها على «فَعَل»! ويزنون «خاف» على «فَعِل»، و «طال» على «فَعُل». قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد:[1] «واذا حصل في الموزون اعلال: كقلب عينه او لامه ألفا، جئت بالميزان على حسب أصله قبل الاعلال فتقول في نحو: «قال وباع وقام»، إنها على وزن «فَعَل»، ولا يجوز أن تقول انها على وزن «فال»، وتقول في نحو «غزا ودعا وسما ورمى، إنها على وزن «فَعَل» ولا يجوز ان تقول أنها على وزن «فعا». ونحن نستغرب من جهتنا هذا الحكم التحكمي المحض. أليس المفروض أن يكون الوزن على نسق الموزون أصواتا وايقاعا؟ أليس الغرض من عملية الوزن هو بيان الصورة الصوتية للموزون؟ وكيف يكون الوزن ممثلا صوتيا أمينا للموزون اذا نحن نحيّنا الألفاظ المعلّة جانبا، ووزنا أصولها بدلا منها؟! كيف يسوغ لنا ان نزن مثل: قال وباع ودعا ورمى على «فَعَل»؟ حيث الوزن يتكون من ستة أصوات تتوزعها ثلاثة مقاطع قصيرة fa/a/la، والموزون يتكون من اربعة أصوات يتوزعها مقطعان، طويل مفتوح فقصير في الكلمتين الاوليين «ka|la»، «ba | ºa»، وقصير فطويل مفتوح في

---

(١) دروس التصريف ٢٠.

الأخرين: «da|ā̊» و «ra|mā» وكيف يكون وزن «خاف» مثل «عَورِ وفَرِح»؟ ما المناسبة الصوتية التي بينهما حتى يتفقا وزنا؟ وما المناسبة الصوتية بين «طَال» و «حَسُنَ» حتى يكون وزنهما واحدا؟ وما وجه الخلاف صوتيا وايقاعا بين: «قال وخاف وطال» حتى تختلف اوزانها؟ صحيح انها قد تطورت عن أصول مختلفة، ولكنها انتهت نهاية صوتية واحدة، فالواجب ان يكون وزنها واحد ايضا.

ويقالُ الشيءُ نفسه بالنسبة لـ «أقام» واستقام، ومُقيم ومُستقيم.... الواجب ان يكون وزنها على حسب صورتها الصوتية الراهنة، ولكن القدماء يصرون على وزنها حسب أصولها التاريخية، ومن ثم يزنونها على أفعل واستفعل، ومُفْعل ومُسْتفعِل على الترتيب، على الرغم من بعد الشقة بين الوزن والموزون. ان اصرار القدماء على التعامل مع هذه الفئة من الالفاظ على حسب أصولها التاريخية تحكّم محض ليس له ما يسوّغه، وبالتالي فان مثل هذه الألفاظ يجب ان توزن على حسب صورتها الصوتية الحقيقية، كي يظهر الوزن التغيرات الصوتية التي لحقت بها. ولهذا نقول ان هذه الالفاظ يجب ان توزن على فال، ودعا ورمى على فعا، وأقام على أفال، واستقام على استفال، ومقام على «مفال»، ومقيم على «مفيل»، ومستقيم على «مستفيل» وهكذا. وانصافا للقدماء، نقول أز منهم من قد تنبه الى هذه النقطة، فأجاز أن توزن الالفاظ المعلّة على حسب صورتها الصوتية النهائية، جاء في شرح الشافية: (١)» وقال عبد القاهر في المبدل عن الحرف الأصلي: يجوز أن يعبر عنه بالبدل، فيقال في «قال» أنه على وزن «فال». ولكن هذا الرأي كان سابقا لأوانه على ما يبدو، فتيار المحافظة الشديد، وطغيان سلطان المعيارية لم يسمحا له بأن يشق طريقه، ومن ثم لم يعمل به. وفي أيامنا هذا طالب الاستاذ الدكتور تمام حسان بضرورة مراعاة الابدال في عملية الوزن، قال: (٢) «أقترح أن التحليل الصرفي كما راعى النقل والحذف في الميزان ينبغي له أن يراعي الاعلال والابدال أيضا». ونحن لا نقول يجوز، كما قال عبد القاهر الجرجاني قديما، ولا نقترح مثل الدكتور تمام حسان، وانما نقول يجب ان توزن الالفاظ المعلّة على حسب صورتها الصوتية النهائية.

---

(١) ١/١٨.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٤٥.

ومثل الألفاظ المعلّة الالفاظ المضعّفة مثل: «شدّ»، «مدّ» و «اشتد» و «امتدّ»، و «مشتَد» و «ممتدّ»... فهذه ونظائرها يزنها القدماء على حسب صورتها الاصلية، اي حسب الأصل التاريخي لها، فعندما يزنون «شدّ» أو «مدّ» مثلا يزنون بدلا منها «شَدَد» و «مَدَد» فيقولون: وزن شدّ ومدّ «فَعَل». وواضح تماما الفرق بين الوزن الذي يتكون من ستة أصوات تتوزعها ثلاثة مقاطع، والموزون الذي يتكون من أربعة اصوات يتوزعها مقطعان. إن «فَعَل» هي وزن «شَدَد»، ولكن بعد سقوط حركة المقطع الثاني الذي هو العين، لم يعد للمقطع وجود، وبعبارة أخرى لم يعد لعين الفعل وجود، لأن ما بقي من المقطع بعد سقوط الحركة، ادمج وجوبا في اللام فصيّرها لاما طويلة، وبالتالي فان الوزن الحقيقي لشدّ ونظائرها هو فلّ، واشتدّ افتلّ، ومشتد مفتلّ وهكذا.

وأما الفئة الأخيرة من الألفاظ التي يباين وزنها عند القدماء صورتها الحقيقة، فهي بعض المفردات المتطوّرة عن صيغتي «تفعّل» و «تفاعل» مثل يّطيّر واطّيرّ وازّيّنت الارض، واثّاقلتم الى الارض، وادّارك...، فهذه الألفاظ يزنها ا لقدماء على يتفعّل وتفعّل وتفاعل، وبعبارة أخرى يزنون أصولها التاريخية. فبدلا من يطّيّر يزنون يتطيّر، وبدلا من اطّيّر يزنون تطّيّر، وبدلا من ازّيّنت يزنون تزيّنت، وتثاقلتم وتدارك بدلا من اثّاقلتم وادّارك، ولهذا جاء الوزن مباينا كليّة للموزون. ولا نريد هنا ان نعرض طريقة تطوّر هذه المفردات، فقد اوضحها استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه التطور اللغوي،[1] ولكنا نريد ان نقول ان التاء في هاتين الصيغتين قد ادغمت في الفاء في كثير من المفردات، فحولتها بذلك من فاء قصيرة الى فاء طويلة، وعليه فالوزن الحقيقي للمفردات السابقة ينبغي أن يكون: يفّعّل، واطّير وازّيّنت افّعّل، واثّاقلتم وادّارك آفّاعل.

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ص ٢٩.

المراجـــع

١ – أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية .
فوزي الشايب / رسالة دكتوراة / عين شمس ١٩٨٣ م .

٢ – الايضاح في علل النحو
الزجاجي / تحقيق د. مازن المبارك ط ٣ دار النفائس ١٩٧٩ بيروت .

٣ – التطور اللغوي مظاهره وقوانينه وعلله
د. رمضان عبد التواب ط ١ ١٩٨١ القاهرة .

٤ – التطور النحوي للغة العربية .
برجشتراسر / اخراج وتصحيح وتعليق د. رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٨٢ .

٥ – الخصائص.
ابن جني تحقيق محمد على النجار بيروت د. ت .

٦ – دروس التصريف .
محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٣١ .

٧ – سر صناعة الاعراب .
ابن جني تحقيق مصطفى السقا وزملائه ط ١ القاهرة ١٩٥٤م.

٨ – شرح الشافية .
الرضي الاستراباذي / تحقيق محمد نور الحسن وزميليه ط ٢ بيروت ١٩٧٥م.

٩ – شرح المفصل .
ابن يعيش بيروت د. ت.

١٠– العربية الفصحى .
الأب هنري فليش اليسوعي / ترجمة د. عبد الصبور شاهين بيروت ١٩٦٦م.

١١– فقه اللغات السامية.
بروكلمان / ترجمة د. رمضان عبد التواب مطبوعات جامعة الرياض ١٩٧٧م .

١٢– الكتابة العربية والسامية .
د. رمزي البعلبكي ط ١ بيروت ١٩٨١ .

١٣- لحن العامة والتطور اللغوي .

د . رمضان عبد التواب / القاهرة ١٩٦٧ .

١٤- اللـغـــة .

فندريس / ترجمة د . عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص القاهرة ١٩٥٠ .

١٥- اللغة العربية معناها ومبناها.

د. تمام حسان ط ١ القاهرة ١٩٧٣ .

١٦- الممتع في التصريف .

ابن عصفور / تحقيق د . فخري الدين قباوة ط ٣ بيروت ١٩٧٨ .

١٧- المنصـــف

ابن جنى / تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين ط ١ القاهرة ١٩٥٤م .

1) Lyons. J.An Introduction to theoritical Linguistics Cambridge University press 1977.
2) Wright. W.A Grammar of the Arabic Language 3rd edition Cambridge 1981.

في أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي

الدكتور نصرت عبد الرحمن
الجامعة الأردنية

غسان

ثمة حارثان من غسان يَرِدان في الشعر الجاهلي، ويَرِدُ أحدُهما متّصلاً به أميران: النعمان وعمرو. وقمينٌ بدارس ذلك الشعر أن يستجليَ أخبار أولئك الأمراء في كتب المؤرخين والأخباريين، حتى يلتئم جناحا الأدب والتاريخ، فيرفدُ الأدب التاريخ، ويُعطي التاريخ للأدب إطارا زمانيا محدَّدا، على الرغم من تفلُّت الأدب من التحديد الزمنيّ.

والحوارث من غسان عند اليعقوبيّ ستة: الحارث بن مالك، والحارث الأعرج، والحارث الأصغر، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن أبي شَمِر بن الأيهم[1]؛ وهم خمسة عند أبي الفِداء[2] والأصبهانيّ[3]: الحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأيهَم، والحارث بن حُجْر، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث. وهم أربعة عند ابن

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (دار العراق، بيروت، ١٩٥٥)، ١: ٢٣٤ - ٢٣٥.
(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر في أخبار البشر (دار المعرفة، بيروت)، ١: ٧٢ - ٧٣.
(٣) الأصبهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص ٩٨ - ١٠٤.

الأنباريّ[١] وابن الكلبيّ[٢]: الحارث الجَفْني، والحارث الأعرج، والحارث الأكبر، والحارث الأصغر عند المفضّل؛ والحارث بن ثعلبة، والحارث بن جَبَلَة بن الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة بن المنذر، والحارث بن أبي شَمِر عند ابن الكلبيّ. وهم ثلاثة عند ابن حبيب[٣] والمسعوديّ[٤] وابن خلدون[٥] وابن سعيد[٦] والجاحظ[٧]: الحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن جَبَلَة، والحارث الأعرج عند ابن حبيب وابن خلدون، والحارث بن عمرو، والحارث بن ثَعْلَبة، والحارث بن أبي شَمِر عند المَسْعودي، والحارث بن ثَعْلَبة، الحارث بن جَبَلَة، والحارث بن الأَيْهَم عند ابن سعيد، والحارث الأكبر والأوسط والأصغر عند الجاحظ.

وقد درس نُولدكه «معظم القوائم التي رواها الأخباريون لأمراء الغساسنة، ونقدها وغربلها وقارن الحاصل بما وجده في الموراد البيزنطية»[٨]، فجعل الحوارث ثلاثة: الحارث بن جَبَلَة الذي شَغَل وظيفة العامل الأكبر من سنة ٥٢٩م، وتوفي سنة ٥٦٩م، والحارث

---

(١) ابن الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، ديوان المفضليات (تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠)، ص ٧٧٤.

(٢) ابن الكلبي، هشام ابن محمد بن السائب، جمهرة النسب (تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق؟) ٢: ٣٦٤ ٣٦٧.

(٣) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية، المحبّر (تحقيق إيلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢)، ص ٣٧٢.

(٤) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨)، ص ٢: ١٠٧.

(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١)، ٢: ٥٨٣.

(٦) ابن سعيد، علي بن موسى، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢)، ١: ٢٠٠ - ٢٠٨.

(٧) الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان (تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢)، ص ١١٠ - ١١١.

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار العلم للملايين ببيروت، ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦)، ٣: ٤٤٤.

الأصغر بن الحارث الأكبر، والحارث الأعرج بن الحارث الأصغر، وكانا – عند نولدكه – بين سنتي ٥٨٣م و ٦١٤م(١). وقد اقتفى أثر نولدكه جلّ المؤرخين من العرب الذين أرخوا لغسان، ومنهم جواد علي.

وقد اقتدر نولدكه على أن يجلو الغموض الذي غلّف حياة الحارث بن أبي شَمِر، فهو الحارث بن جَبَلة «أول أمراء بني جفنة وأعظمهم شأناً»(٢)، وهو الذي «احتلّ في مخيلة العرب مركزاً سامياً، ودعوه أيضاً الحارث بن أبي شَمِر مما يدلّ على أن أباه كان يكنّى بأبي شَمِر»(٣)، وهو الذي «حارب المنذر أمير الحيرة، وانتصر عليه في شهر نيسان من سنة ٥٢٨م»(٤)، وذكره بروكوبيوس Procopius في تاريخه فقال: «إن الامبراطور يوستنيان رَقّى الحارث بن جَبَلَة إلى رتبة ملك، وبَسَطَ سُلْطته فوق قبائل عربية، وأن غرضه كان أن يُقيم خصماً قوياً في وجه المنذر، ملك عرب الفرس»(٥). وهو صاحب يوم حليمة الذي قُتل فيه المنذر بن ماء السماء، وكان في شهر حزيران سنة ٥٥٤م(٦).

---

(١) نولدكه، تيودور، أمراء غسان (ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣)، ص ٥٧.

(٢) نفسه، ص ٩.

(٣) نفسه، ص ٢٢.

(٤) نفسه، ص ١٠.

(٥) أمراء غسان ص ١١.

(٦) انظر: أمراء غسان، ص ١٩ – ٢٠. وانظر في الحارث بن جبلة:

Hart, Cl., Histoire des Arabes, (2Tomes, Paris, Libraire Paul Geuthner, 1912) Tome 1, PP. 60-62.

O'Leary, Arabia Before Mohammad, (London, Kegan Paul, 1927) PP. 164-165

Hitti, Philip, History of Syria (London, Macmillan & Co LTD, 1953) PP.402 404.

وقد جعل هوار الحارث بن أبي شمر سابقاً للحارث بن جبلة، ولم يتحدث أوليري وفيليب حتّي عن الحارث الأعرج والحارث بن أبي شمر.

فنولدكه قد جلا أمر الحارث بن أبي شَمِر، ولكنه لم يَجْلُ أمر الحارث الأعرج، أو أن جلاءه له لا يوافق الشعر الجاهلي. لقد جعله ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر[1]، ورجّح أن يكون توليّه الامارة بين سنتي ٥٨٣م و ٦١٤م[2].

وأوّل ما يَشْغَب على نُولدكه من الشعر الجاهلي قولُ عبَيد بن الأبرص الأسدي[3]

نَحْنُ قُدْنا من أَهاضِيبِ المَلا الـ　　خَيْلَ في الأَرْسانِ أَمثالَ السَّعالي[4]
شُزَّبا يَغْشَيْنَ من مَجْهُولَةِ الـ　　أَرْضِ وَعْثاً من سُهولٍ وجِبالِ[5]
فانْتَجَعْنا الحارثَ الأَعرجَ في　　جَحْفَلٍ كاللَّيلِ خطَّارِ العَوالي[6]

فاذا كان عبيد بن الأبرص قد قتله المُنْذر بن ماء السَّماء في قصة مشهورة، واذا كان المُنذر بن ماء السماء معاصراً للحارث بن شَمِر، بل هو قتيل الحارث في يوم حليمة في حزيران لسنة ٥٥٤م، فهذا يعني أن عبيدا قُتل قبل سنة ٥٥٤م وهي السنة التي قُتل فيها المنذر، وهذا يعني أيضاً أن عبيداً عاصر الحارث بن أبي شَمِر والمُنذر بن ماء السماء.

* * *

(١) أمراء غسان، ص٢٤.
(٢) نفسه، ص ٥٧.
(٣) ديوان عبيد بن الأبرص (تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧)، ص ١١٦.
(٤) الملا: الصحراء. والسّعالي: جمع السِّعلاة، وهي أنثى الغول.
(٥) الشُّزَّب: جمع الشازب، وهو الضامر اليابس. ويغشين: يدخلن. والوعث: الأرض التي تتعب فيها الدوابّ فيعسُر السَّيرُ عليها.
(٦) الجحفل: الجيش العظيم. والخطّار: الطويل الذي يضطرب لطوله. والعوالي: جمع العالية، وهي أعلى الرمح.

ولكن عبيداً في الأبيات يتحدّث عن انتجاع الحارث الأعرج. فأنى يستقيم أن يتأخر الحارث الأعرج الى ما بعد سنة ٥٨٣م؟

يظهر أن الحارث الأعرج هو الحارث بن أبي شَمِر وهو الحارث بن جَبَلَة، فالأسماء الثلاثة لمُسَمّى واحد. وقد قال بهذا الرأي ابن عبد ربه[2] وابن الأثير[2] من القدماء، ونبيه عاقل[3] من المحدثين.

وثاني ما يَشْغَب على نولدكه من الشعر الجاهلي شعرٌ لحاتِم الطائيّ ذكر فيه صراحة اسم الحارث بن عمرو، فقال[4]:

أبلِغِ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي حافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للثّـواب

وذكر اسمِ أمه، وذكر أن حارثين نُمَياه، فقال[5]:

نَمَتْـهُ أمامَـةُ والحارثـا نِ حتى تمهَّلَ سَبْقاً جديدا

وليس في قائمة نولدكه هذا الأمير.

ولا بدّ من التماس العُذْر لنولدكه، فهذا اسم لا يَرِد في أية قائمة من قوائم أمراء غسان التي صنعها المؤرخون، إلا في قائمة (هوار) Huart إذا جاز أن أسمّيَها قائمة– حيث جعل أبا شَمِر الحارثَ بن عمرو أولَ أمراء غسان في الشام، وأنه عاش زمن الامبراطور البيزنطيّ أناستازيوس (٤٩١ – ٥١٨م)[6]. ومُحالٌ أن يكون حاتمِ أدركَ ذلك الزمن.

---

(١) ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه، العقد الفريد (المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥)، ٢: ٥٤.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ (المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٥٤٧.

(٣) نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٥٩.

(٤) ديوان شعر حاتم الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟)، ص ١٩٤.

(٥) نفسه، ص ٢٠٧.

(٦) Histoire Des Arabes, Tome, 1p.60

(٢)
الأحاليف

الأحلاف في العصر الجاهلي كُثر، وقد أحاط ببعضها أصحاب المُعْجمات ومنهم ابن منظور: فقد أورد الأحلاف في قريش: عبد الدار وُجَمح وسَهْم ومَخْزوم وعَدِيّ بن كعب. وأورد الأحلاف في شعر زهير بن أبي سلمى، ومنها قوله[١]:

تداركْتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عَرْشُها ... وذبيانَ قد زلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ

وقوله[٢]:

ألا أبلِغِ الأحلافَ عني رِسالةً ... وذبيانَ هل أقْسَمْتُمُ كلَّ مَقْسَمِ[٣]

وقال: «ويقال ابني أسدَ وطيئ الحليفان، ويقال أيضا لفَزارة ولأَسَد حليفان؛ لأن خُزَاعة لما أُجْلَت بني أُسَد عن الحَرَم، خرجت فحالَفَتْ طيّئا، ثم حالفت بني فَزارة»[٤].

وقال أبو عُبيدة في خبر يوم النِّسار: «تحالَفَتْ أسد وطيّىء وغَطَفان، ولَحِقت بهم ضَبَّة وعديّ، فغزوا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً»[٥].

ومن خبر يوم النِّسار أيضا ما ذكره الشّمشاطيّ، قال: «وهو يوم لبني أُسَد وغَطَفان وطيّىء، وهم الأحاليف، على بني عامر... وكان سبب يوم النِّسار أن بني تميم كانوا يأكلون عُمومتهم بني ضَبَّة وبني عبد مناة، فأصابوا رَهْطا من بني تميم، فطَلَبَتْهم تميم، فلحِقت الرِّباب ببني أسد ابن خُزَيْمة، وهم يومئذ حلفاء لبني بَغيض بن غَطَفان،

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤)، ص ١٠٩.

(٢) نفسه، ص ١٨ (والبيت من المعلقة).

(٣) هكذا وردت رواية البيت في اللسان.

(٤) لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٦)، مادة حلف.

(٥) العقد الفريد، ٣ : ٣٧٥.

وحُلفاؤهم أيضا بنو وطيئ . ورئيس ذُبيان حِصْن بن حُذَيْفَة بن بَدْر ، ورئيس بني أسدَ عَوْف بن عبد الله بن عامر بن جَذِيمة بن نصْر بن قُعَيْن، ويقال خالد بن نَضْلَة الأسدي، ورئيس الرِّباب يوم النِّسار الأسود بن المنذر أخو النعمان. وحدَّث قيس بن غالب أن رئيس الرِّباب وجماعة الأحاليف يوم النِّسار حِصْنُ بن حُذَيْفة، وأنشد في تصْداق ذلك قول زُهير[1].

ومَنْ مِثْلُ حِصْنٍ في الحروب ومِثْلُهُ   لانكارِ ضَيْمٍ أو لأمْرٍ يُحاوِلُهْ
إذا حَلَّ أحياءُ الأحاليفِ حَوْلَهُ   بذي لَجَبٍ هدّاتُهُ وصَواهِلُهْ[2]

* * *

فالأحاليف الذين أعنيهم في هذا البحث هم: أسد وذُبيان وطيىءوضَبَّة، وهي تسمية ليست طارئة، أو تسمية أملتها لوازم البحث، وانما هي تسمية لزمت تلك القبائل حتى بَدَت كالعلم عليها.

وديار الأربع قبائل متداخلة، فهي تشكّل ما يمكن أن تكون وحدة جغرافية، فهي تمتدّ من شرق جبلي أجأ وسَلْمى (شَمَّر اليوم) حتى شرق المدينة، فكأنها درع يقي شمال الجزيرة العربية.

لم تكن ديار غسان - على الرغم من الغموض الذي يحيط بامتدادها - مُصاقبة لديار الأحاليف، فبينهما سيرُ تسع ليال للعاجلِ المُنْتاب، كما يقول حاتِم الطائي[3].

ولكن بعد الشُّقّة لم يصرف غسان عن التطلُّع الى نجد، والايقاع بالقبائل النجديّة كطيّىء وأسد وذبيان وتميم وضبّة، وبلغ مُغارها كِنانة، «فقلّما وقفت غسّان للرشد»[4] كما يقول عبيد بن الأبرص.

---

(١) انظر الديوان، ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار (تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧)، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) انظر الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤.

(٤) انظر الديوان، ص ٦٠.

أما أن بعد الشُقَّة لم يصرف غسان عن التطلّع إلى نجد، فلأن القبائل اللواتي كن يحجزن بين غسان والأحاليف كن خاضعات لنفوذ الروم البيزنطيين، كغسان نفسها، وهن حليفات لغسان، وقد ناصرنها، واشتركن معها في الغارة. ولا نكاد نستثني منهنّ غير عُذْرة- وبني حُنّ منها خاصة- الذين غزاهم النعمان بن الحارث الأصغر في وادي القُرى، فهزموه، كما يتبدّى من شعر النابغة الذبياني(١). وأما كَلْب وقُضاعة وَبلِيّ وسَلِيح فكنّ يشتركن مع غسان في الغارة.

وقد تنبّه الشاعر الجاهلي إلى المؤازرة التي تلقاها غسان، حتى إن الأخنس بن شِهاب التغلبي قد جعل عزّ غسان في سواها، فقال(٢):

وغَسانُ حَيٌّ عِزُّهُمْ في سِواهُمُ يُقاتِلُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وكَتائبُ(٣)

ويرد ذكر ما في جيش غسان من (أشائب) في شعر النابغة الذبياني(٤)، وقد حمّل حسان بن ثابت مسؤولية هزيمة الحارث الأصغر أو الجَفْنيّ أو مقتله عدم وجود أصحاب للحارث من جِذْم غسان(٥).

ويمكننا أيضا أن نتبيّن ذاك الاشتراك من أبيات للنابغة الذبياني، صوّر فيها غارة لعمرو ابن الحارث الأصغر على فَزَارة- وهي من ذُبيان- فساق عمرو الرُّفَيْدات وهم «بطن من كَلْبٌ(٦) من جَوْش ومن عِظَم، وأدخل في حملته سُلافًا وأنفاراً من رهط رِبعِيّ وحَجّار القُضاعِيّين(٧).

* * *

(١) انظر الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٩٨.

(٢) من قصيدته المشهورة التي مطلعها:
لابنة حِطّان بن عوفٍ منازلٌ كما رقّش العُنوانَ في الرَّقِّ كاتبُ
انظر المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٢٠٥.

(٣) المِقْنَب: الجماعة من الخيل.

(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٢.

(٥) ديوان حسان بن ثابت (تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤)، ١: ٢٠٤.

(٦) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق ابراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩)، مادة رفيدة.

(٧) انظر ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٧٧.

ولا بّد لي من الاشارة إلى أن جلّ الشعر الذي تحدث عن أيام غسان مع الأحاليف جاء من شعراء تلك القبائل، وليس من شعراء غسان، فالشعر الذي وصل إلينا من غسان منزور[١].

(٣)
بين غسان وأسد
أ. في عهد الحارث الأعرج

يتحدّث عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس من شعراء أسد عن أيام قبيلتهما مع غسان، في عهد الحارث الأعرج.

أما أن هذا الصراع حدث في عهد الحارث الأعرج، فلأن عبيداً قد ذكره صراحة «فانْتَجَعْنا الحارث الأعرج»[٢]، فلا مجال بعدُ لتخمين أو ظنّ.

ويصوّر الشاعران - عبيد وعمرو - انتصار بني أسد على غسان يومي المُرار والقُرات (بالقاف وليس بالفاء كما ورد عند ابن حبيب[٣]، والأصبهاني[٤]): حيث خرجت أسد في جَحْفل جرّار «خطّار العَوالي»[٥] «قَسْطَلُهُ ذائلُ»[٦] كما قال عبيد، أو في جَحْفَل كالليل البهيم، كثير العدد وافره، والخيل الجرد تعدو في أعنّتها كأنها القطا الواردات، وهي تلوك اللُّجُمُ، وتباري الرَّكْب في عِناد.
قال[٧]:

---

(١) من شعر غسان المنزور شعر الشيظم بن الحارث الغساني. انظر القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣هـ)، ص ١٧٩.

(٢) الديوان، ص ١١٦.

(٣) المحبر، ص ٢٤٧. وعليه اعتمد جواد علي. انظر المفصل في تاريخ العرب، ٣: ٤٣٥.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩.

(٥) ديوان عبيد بن الابرص، ص ١١٧.

(٦) نفسه، ص ٩٩. والقسطل: الغُبار في المعركة. والذائل: الطويل الذيل لا ينقطع. يريد أن الغبار منتشر فوق الجيش وخلفه.

(٧) نفسه ص ٥٩.

بِجَحْفَلٍ كبهيم اللَّيْلِ مُنْتَجِعٍ ... أرضَ العَدُوِّ لُهامٍ وافرِ العَدَدِ[1]
القائدُ الخَيْلَ تُرْدِي في أعنَّتِها ... وِرْدَ القطا هجَرَتْ ظِمْئاً الى الثَّمَدِ[2]
من كُلِّ عِجْلِزَةٍ بادٍ نَواجِذُها ... على اللِّجامِ تُباري الرَّكْبَ في عَنَدِ[3]
وكلِّ أجرَدَ قد مالَتْ رِحالَتُهُ ... نَهْدِ المراكلِ فَعْمٍ نانىءِ الكَتَدِ[4]

وهو جَحْفل يضمّ فتيانا تَحْتَزّ سيوفهم الأعناق، وفيهم كلّ فتى كريم جواد، غير قعيدِ زاد، ولا أَوْجل ضعيف، ولا أشَلّ يبيس الأنامل.

قال عمر بن شأس:[5]

بأيديهِمُ هِنْدِيَّةٌ تَخْتلي الطُّلَى ... كما فَضَّ جاني حَنْظَلٍ نَضْرَ حَنْظَلِ[6]
بكلِّ فتى يَعْصَى بكُلِّ مُهَنَّدٍ ... نَدٍ غيرِ مِبْطانِ العَشيّاتِ عَثْجلِ[7]
كَعِجْلِ الهِجانِ الأُدْمِ ليس بِزُمَّحٍ ... ولا شَنِجٍ كَزِّ الأناملِ زُمَّلِ[8]

وقد قُتل يوم القُرات (عَديّ) دون مشقة أو عناء، وقُتل (قُرص) يوم المُرار حين حصرته الخيل من يمين ويسار.

قال عمرة بن شأس:[9]

ونحن قَتَلْنا بالقُراتِ وجَزْعِهِ ... عَدِيّاً ولم يُكْسَرْ به عُودُ حَرْمَلِ[10]

وقال عُبيدة (أحد بني سَعْد بن ثَعْلَبة)[11]:

---

(١) اللُّهام: المعظيم كانه يلتهم كل شيء.

(٢) تُرْدِي: ترجُم الأرض بحوافرها في عَدْوِها. وهجّرت: طارت في الهاجرة إذ يشتدُّ الحرّ. والثَّمَد: الماء القليل.

(٣) العِجْلِزَة (بكسر اللام وفتحها): الفرس الشديدة. والنَّواجد: أقصى الأضراس. والعَنَد: المعاندة.

(٤) الرِّحالة: السَّرج. والنَّهْد: العالي المرتفع. والمرَاكل: مع المَرْكَل، وهو الموضع من الحصان حيث يهمزه الراكب. ونَهْدُ المراكل: كناية عن علوّ الجواد وإشرافه. والفَعْم: الممتلىء، وقد خص الفيروزآبادي الفَعْم بامتلاء الذراعين (القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ - مادة فعم). والكتد: موضع اجتماع الكتفين.

(٥) شعر عمرو بن شأس الأسدي (صنعه يحيى الجبوري، مطبعة الآداب النجف، ١٩٧٦)، ص ٥٨.

(٦) تَخْتلي: تقطع. والطُّلى: جمع طُلْيَة (بضم الطاء) أو طلاة وهي العنق.

(٧) نَد: كثير العطاء. والعَثْجَل: العظيم البَطْن.

(٨) الزُّمَّح: الفقير المحتاج. والزُّمَّل: الضعيف الجبان.

(٩) الجَزْع في الوادي: منعطفه أو منحناه. ومن الأرض المُشرِف منها إلى جنبه طمأنينة. والحَرْمَل: نبت سهل الكسر له حبٌ أسود كالخَرْدَل.

(١٠) معجم البلدان، مادة قُرات.

وقد جعل ياقوت عُبيدة أحد بني قيس بن ثَعْلَبة. وقيس بن ثعلبة من بكر، ولا علاقة لها بالقُرات.

ألـيسو فوارسَ يَوْمِ القُـــرا تِ والخَيْـلُ بالقَـوْمِ السَّعالي

وقال عبيد بن الأبرص[1]:

ثم غادَرْنـا عَديّاً بالقنـا الذبـلِ السُّمـر صَريعـاً في المَجـالِ[2]
ثم عُجْناهُنَّ خُوصاً كالقَطا القـارب المـاءَ من أيـنٍ الكَـلالِ[3]
نَحْوَ قُرْص يومَ جالت حولَهُ الخيـل قُبّـا عن يَميـنٍ وشِمـالِ[4]

وقال عبيد أيضا وقد عدّد مآثر أسد:[5]

ونَحنُ قَتَلْنا مُرَّةَ الخَيْرِ مِنْكُمُ وقُرْصاً قتلْنا كانَ مِمَّنْ أولئكا

وقال بعد حديثه عن خيل الغارة[6]:

حتى تعاطَيْنَ غسّاناً فَحَرَبْهُـمُ يومَ المُرارِ ولم يُلْوُوا على أَحَدِ[7]
لما رأوْكَ وبلج البيض بينَهُم وكلّ مطّرِدِ الأنبوبِ كالمَسَدِ[8]
غَوَّثْ بنو أَسَدٍ غسّانَ أمرَهُمُ وقَلّما وَقَفَـتْ غسّانُ للرُّشَدِ

وليس في ديوان عبيد ما يكشف حقيقة ضمير المخاطب في (رأوك)، فالقصيدة في المدح، والممدوح غير متبين.

فمن هو؟

لا يظهر من شعر عبيد بن الأبرص وعمرو بن شأس قائد أسد في ذينك اليومين، فشعرهما تبرز فيه الروح الجماعية للقبيلة، ويغيب فيها الفرد في غَمْرة الجماعة، وهذه مَزيّة تُحْفَظ لشعراء أسد.

---

(١) الديوان، ص ١١٧.
(٢) القنا الذُّبَّل: أنابيب الرماح الدّقاق. والعرب تسمّي الشيء في بعض الأحيان باسم جزئه. فالقناة أنبوب الرمح، وهي الرمح كله.
(٣) الخُوص: الغائرات العيون. والأين والكَلال: التعب.
(٤) الخيل القُبّ: الضوامر.
(٥) الديوان، ص ٩٤.
(٦) نفسه، ص ٦٠.
(٧) لم يُلووا على أحد: لم يعرّجوا على أحد استعانة به.
(٨) مطّرِد الأنبوب: طويل القناة طولاً مُعتدلا مُقوّما.

ولذا أجدني محتاجاً إلى تلّمس اسم ذلك القائد في غير شعرهما. فقد ذكر ابن حبيب(١)، والأصبهاني(٢)، وياقوت(٣)، ان قائد أسد يوم القُرات هو رَبيعةُ بن حُذار الأسديّ. وقد سلَكَ ابن حبيب ربيعة في سِمْط القادة الجرّارين، وهم الذين قادوا ألف رجل(٤).

ويخيّل إليّ أن ربيعة نال هذه الصفة بهذا الجَحْفَل الذي قاده لقتال غسان، فقد رأينا أن شاعرَيْ أسد قد صوّراه جيشا لُهاماً وافرَ العدد.

وإذا صحّ هذا، يكون رَبيعةُ قد قاد أسداً عند الخلاص من حُجْر بن الحارث بن عمرو المَقْصور بن حُجْر آكل المُرار الكِنْديّ، أبي امرىء القيس، الذي مُلّك على أسد في تاريخ معلوم، وفي قتال غسان في القُرات والمُرار.

ويَلْفِتُ في وصف عمرو بن شأس ليوم القُرات أنه جعلَ غسان غازِيةً، وجعل أسداً مدافعة أهلَ منزل، حيث قال(٥):

فلم أرَ حَيًّا مِثْلَهُمْ حينَ أقبلوا ولم أرَ حَيًّا مثلَنا أهلَ مَنْزِلِ

فهل القُرات في ديار أسد؟

وأما عبيد فقد جعل أسداً غازية، وجعل غسان مُدافعة: فقد جاء في شعره «نحن قُدْنا من أهاضيبِ المَلا»(٦) و «انتَجَعْنا الحارث الأعرج»(٧)، «ثم غادرنا عَدِيًا بالقنا»(٨) فهل القراتُ خارج ديار أسد؟

فالقرات من ديار أسد عند عمرو بن شأس، وخارجها عند عبيد بن الأبرص. أهذا تناقض، والمتناقضان لا يجتمعان ولا يرتفعان كما يقول المناطقة؟

---

(١) المحبّر، ص ٢٤٧.
(٢) الأغاني، ١١ : ١٨٩
(٣) معجم البلدان، مادة قرات.
(٤) المحبّر، ص ٢٤٦.
(٥) شعره، ص ٥٧.
(٦) الديوان، ص ١١٦.
(٧) نفسه، ص ١١٧.
(٨) نفسه، ص ١١٧.

يحتاج تحديد المكان إلى من هو أقدر مني على تحديد الأماكن الخافية في شمال الجزيرة. فإذا جاز لي أن أرجّح أقول: القُرات خارج ديار أسد، استئناساً بتحديد ياقوت، في أن القُرات وادٍ بينَ تِهامةَ والشام»(١)، وديار أسد لم تبلغ تِهامة، اذا اعتمدتُ على تحديد (لِيال) لتلك الديار.

قال لِيال: «وكانت حدودُ أرض أسد تمتدّ جنوبي تَيْماء المشهورة، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال الى الجنوب، وهو الآن طريق الحج من مَعان إلى المدينة، وغربي وجنوبي الحدّ الغربي من أجأ وسَلْمى جبل طيّىء. وكانت أسد أقصى قبائل مَعَدّ شمالا، على الطريق من الجنوب الى فِلسْطين وسوريّة، وراءها قبائل عُذْرة، وجُذام، وَبَلِيّ اليمنية، على الطريق التجاري، والى شرقها وشمالها الشرقي قبيلة كَلْب، اليمنية الأصل أيضا، في المنخفضات المسمّاة الآن بوادي السِّرحان والجَوْف، يفصلها عن أسد شريط واسع من السلاسل الرملية- النُّفود الآن»(٢).

ولا بدّ لي من أن أستذكر أن يَوْمَيْ القُرات ومُرار حدثا في عهد عبيد بن الأبرص، فهو شَهِد أو شاهد اليومين، وأما عمرو بن شأس فلم يعاصرهما. فعبيد رأى وعمرو سمع، وليس راءٍ كمَنْ سمع كما يقال.

عبيد شاعر قديم عايش عهد الحارث بن أبي شَمِر الأعرج، وقتلَهُ المنذر بن ماء السماء اللَّخْمَي، الذي قُتِل، قتله الحارث زهاء سنة ٥٥٤م، فعبيد بذلك قتل قبل تلك السنة.

وعمرو بن شأس شاعر مخضرم، شهد القادسية (١٥هـ/ ٦٣٧م)، وقال فيها شعراً(٣). فلو كان أدرك عهد الحارث الأعرج لغدا إبان القادسية شيخا كبيراً يَدْلِف في التسعين. وما في التسعين مُنّة على جهاد، أو اصطبار عليه.(٤)

---

(١) معجم البلدان، مادة قرات.

(٢) ترجمة حسين نصار مقدمة ليال في تحقيقه للديوان. انظر ديوان عبيد بن الأبرص، ص ١٣- ١٤ (المقدمة).

(٣) انظر شعره، ص ٨٦- ٨٧.

(٤) انظر مقدمة يحيى الجبوري لشعر عمرو بن شأس، ص ١٧- ١٨.

قال الطُّوسيّ: «حين قَتَلَتْ بنو عَبْس نَضْلَةَ الأسديّ، وقتلت بنو أسد منهم رجلين، فأراد عُيَيْنَة[1] عَوْن بني عبس، أن يُخرج بني أسد من حلف بني ذبيان»[2]، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها[3]:

غَشِيتُ منازلاً بِعُرَيْتِناتٍ ... فأعلى الجَزْعِ للحيِّ المُبِنِّ[4]

وذكر أسداً فقال:

إذا حاوَلْتَ في أسَدٍ فُجُورا ... فإني لستُ مِنْكَ ولستَ منّي
شَهِدتُ لهم مَواطِنَ صادقاتٍ ... أتَيْتُهُمُ بودِّ الصَّدْرِ منّي
وَهُمْ ساروا لِحُجْرٍ في خَميسٍ ... وكانوا يومَ ذلكَ عندَ ظَنّي[5]
وهُمْ زحَفُوا لغسانٍ بزَحْفٍ ... رَحيبِ السِّرْبِ أرعَنَ مُرْجَحِنِّ[6]
بكلِّ مُجرَّبٍ كاللَّيْثِ يَسْمو ... على أوصالِ ذَيّالٍ رِفَنِّ[7]
وضُمَّرٍ كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ ... عليها مَعْشَرٌ أشباهُ جِنِّ[8]

فها هو ذا جَحْفل أسد زاحفاً لغسان، فهو المغير وغسان مُغارٌ عليها. وهذا يتّفق مع ما قاله عبيد، وليس مع ما قاله عمرو بن شأس.

---

(١) عُيَيْنَة: هو عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيفة الفَزاري. وكان أبوه حِصْن سيد فَزارة في عهد الحارث الأصغر، وقد أصيب حِصْن يوم بني عُقَيْل من عامر. ولحِصْن قصيدة ينصح فيها لفزارة أن يُوَلّوا عُيَيْنة بعد موته. انظر القصيدة في أمالي المرتضى (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧)، ١: ٢٣٠. والمصون في الأدب لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢)،

وقد أدرك عُيَينة الاسلام، وأسلم، ووصفه الرسول الكريم بأنه السيد المحمق.

(٢) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ١٢٥.

(٣) نفسه، ص ١٢٥.

(٤) الحيّ المُبِنّ: المقيم زمن الربيع.

(٥) حُجر: حُجْر بن الحارث الكِنْدي أبو امرىء القيس.

(٦) الجيش الأرعن: المضطرب لكثرته. والمُرْجَحِنّ: الثقيل.

(٧) الرِّفَنّ: الذيّال والمتبختر في نفر.

(٨) المسوّمات: المُعْلَمات اللواتي عليهم علامات يعرفن بها في الحروب.

وها نحن أولاء نرى أن صورة جحفل أسد الجرّار تتكرّر عند النابغة الذبياني: فهو رَحْبٌ يملأ الطرق، أرعَنُ ثقيل، ورجاله كاللُّيوث مجرّبون غير أغرار، يُشْبِهون الجنّ. والجياد ذيّالة ضوامر، ضمور القِدْح الصُّليب.

عَديّ وقُرْص

ليس فيما كتبه نولدكه أو جواد علي أو غيرهما ممن اطّلعوا على كتابات المؤرخين غير العرب، ما يعين على تبين حقيقة عَدِيّ وقُرْص اللذين قتلتهما أسد يوم القُرات، والاشارة التي أوردها جواد علي مستقاة من المصادر العربية[١].

وفي كلا الرجلين – إذا كان قُرص رجلا وليس جبلا – كلام: فقد ذكر ابن الشجري أن عَدِيّاً هو عديّ بن مالك ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر»[٢]. وفي شرح ديوان حسان «هو عديّ ابن أخت قُرْص الغسانيّ. وكان قُرْص ملكا من ملوك غسان، غزا عَدِيّ بني أسد فقتلوه»[٣]. وفي الأغاني «أغار ملك من ملوك غسان يقال له عديّ، وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِر الغساني على بني أسد، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة... فقتلت بنو سعد عديا... فقالت فاختة بنت عدي:

لعمرك ما خشيت على عدي رماح بني مقيّدة الحمار
ولكني خشيت على عدي رماح الجنّ او اياك حار

تعني الحارث بن أبي شمر خاله:

قتيل ما قتيل ابني حذار بعيد الهمّ طلاع النجار[٤]

ففاختة لم تَخْشَ على عديّ رماحَ أهلِ الحَرّة[٥] وهي تُقيّد حمار الوحش فلا تدعُهُ

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٣: ٤٣٦.

(٢) ابن الشجري، هبة الله بن علي، مختارات شعراء العرب (تحقيق علي محمد بجاوى، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٣٢٦.

(٣) الديوان (تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية القاهرة، ؟)، ص ٢١٩.
والديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢: ١٧٢.

(٤) الأغاني، ١١: ١٨٩ – ١٩٠.

(٥) مقيدة الحمار في الاغاني امرأة من كنانة يقال لها تماضر وهي أم قاتلي عدي.

يسير من شدّة وعورتها - ولكنها تخشى عليه من الطاعون - وهو في نظر الجاهليين من وَخز رماح الجنّ - أو تخشى عليه من الحارث نفسه.

وتُشغّب على هذه الرواية للبيتين رواية أخرى لثعلب، ليس فيها اسم عَدِيّ، وانما فيها اسم (أُبيّ)، فقد روى ثَعْلَب البيتين:

لعمُركَ ما خَشِيتُ على أُبَيٍّ رماحَ بني مُقَيّدةِ الحِمارِ
ولكنّي خَشِيتُ على أُبَيٍّ رِماحَ الجنِّ أو إياكَ حارِ[1]

وتوافق رواية الثعالبي[2] رواية الأغاني، ويوافق الشبلي[3] ثعلباً، وأخذ بالروايتين ابن منظور[4].

واذا كان هذا الكلام لم يَزِد عديًا إلا غُموضا، فان الغموض الذي يحيط بقُرْص أشدّ. قال ابن الشَّجَري: «قُرْص بن مالك من غسان، ويقال هو رجل من بني كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة، ويقال: هو من كِنْدة»[5]. وفي شرح ديوان حسان بن ثابت «وكان قُرْص ملكاً من ملوك غسان»[6]. وقال ياقوت: «تلٌ بأرضٍ غسان في شعر عبيد بن الأبرص»[7].

وإخال أن مَرَدّ هذا الخلاف البيتان نفسهما اللذان ورد فيهما اسم قُرْص. ولا أرى عليّ تثريباً اذا أعدت كتابتهما، وهما:

نَحْوَ قُرْصٍ يوم جالَتْ حولَه الخَيْلُ قُبّاً عن يمينٍ وشِمالِ[8]

---

(١) ثعلب، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب (تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠)، ٢ : ٢٧٤.

(٢) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨)، ص ٥٣.

(٣) الشبلي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، آكام المرجان في أحكام الجان (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ).

(٤) انظر لسان العرب، المواد: رمح، وحمر، وقيد. وقد جاءت (أُبيّ) في مادتي: رمح وحمر، وجاءت (عدّي) في مادة قيد.

(٥) مختارات شعراء العرب، ص ٣٢٧.

(٦) الديوان (تحقيق وليد عرفات)، ٢ : ١٧٢.

(٧) معجم البلدان، مادة قرص. (٨) ديوان عبيد بن الأبرص، ص ٩٤.

ثم:

وَنَحْنُ قَتَلْنا مُرَّةَ الخَيْرِ مِنْكُمُ ... وقُرْصاً قتلنا كانَ ممن أولئكما[1]

أما ياقوت الذي عدّ قُرْصاً جبلاً فيظهر أنه التفت إلى البيت الأوّل دون الثاني، وهو في غزو أسد لغسان، وجَوَلان الخيل حول جبل أقربُ من جَوَلانها حول رَجُل. ولو كان ياقوت قد التفت إلى البيت الثاني لاطّرح هذا الاحتمال، فَقَتْل قُرْص يهبِطُه لا مَحالة.

وأما من قال: قُرْص من غسان، فاستند إلى أن أسداً قَتَلَتْ قُرْصاً، وأن الخيل جالت حوله بعد انتجاعها الحارث الأعرج.

وأما من قال: قرص من عامر بن صَعْصَعَة، فاستند الى ما بين أسد وعامر من عداء، وفي القصيدة التي منها البيت الثاني افتخار بانتصار أسد على عامر.

والقول: قُرْص من كِنْدة، موافق طِباقاً للبيت الثاني، فالقصيدة في خطاب امرىء القيس، والفخر عليه بفعالِ قبيلته وانتصاراتها على كِنْدة وعامر، وقتلها حُجْراً أبا امرىء القيس، وعمراً جَدّة (؟) وعمّيه الأُجْدَلَيْن ومالكا. وفخر عبيد بقتل مُرَّة الخير، وجعله من كندة (منكم) وعطف قُرْص عليه يَسْتتبع أن يكون قُرْصٌ من كِنْدة.

ولكن البيت الأوّل يزيل هذا القول.

فأقرب ما يتحصّل من هذه المناقشة أن يكون قُرْص من غسان. ولكن اسمه يظل غريبا على رغم موافقته لسان العرب. ففيه إشمام من عُجْمة تجعلني أميل إلى جعله محرّفا من (دقص) Dux، وتعني رئيساً أو قائداً عند البيزنطيين[2].

بكاء عبيد بن الأبرص قومه.

واذا كان عبيد وعمرو بن شأس قد فخرا بانتصار أسد على غسان، فإن في شعر عبيد ما يُظنّ أنه دالّ على ما ابتليت به أسد من غسان. وقد لاحظ حسين نصار أن عبيداً يبكي قومه بني سَعْد بن ثَعْلَبة، الذين أبادتهم الحُروب والمنايا «في حروبهم مع الغساسنة، فيما يظهر من شروح الديوان»[3] في قوله:

(١) نفسه، ص ١١٧.

(٢) نولدكه، أمراء غسان، ص ١٨.

(٣) الديوان، ص ٨.

دِيارُ بني سَعْدِ بن ثَعْلَبَةَ الأُلى   أذاعَ بِهِمْ دَهْرٌ على الناسِ رائبُ
فأَذْهَبَهُمْ ما أذهبَ الناسَ قبلَهُمْ   ضِراسُ الحروبِ والمنايا العَواقِبُ

أقول: يمكن أن يدلّ بكاء عبيد قومه الذين أذهبهم ضِراسُ الحروب والمنايا التوالي، على أن غسان أدمت أسداً، ولكن هذا الادماء لم يَلْحَقْها من غسان وحدها، بل منها ومن غيرها ككندة وعامر وتميم وعَبْس، حتى باتت أسد دريئة تصيبها السهام من كل صَوْب، ولكنها احتملت ذلك بإباء واقتدار.

ب - في عهد الحارث الأعرج وولديه

لا نجد- أو لم أجد- بعد الحارث الأعرج شعرا لأسد فيه ذكر لغسان، وبشر بن أبي خازم الأسدي الذي كنت آمل أن أجد في ديوانه شعراً عن علاقة أسد بغسان، يخلو ولو من إلماح إليهم. فقد تغنّى بانتصار أسد وأحلافها من غَطَفان وطيىء وضبّة على بني عامر وتميم يومي النِّسار والجِفار، وسكتَ عن صراع أسد مع غسان، فلم يذكرها بخير أو شرّ.

* * *

واذا كانت أيام أسد مع غسان في عهد الحارث الأصغر وولديه: النعمان وعمرو لم تظهر في شعر شعراء أسد، فانها ظهرت في شعر النابغة الذبياني.

ويظهر من ذلك الشعر أن أسداً أصيبت في غَسّان، حتى صيّرها النابغة عِبْرة لذبيان،

يصيبها ما أصاب أسداً إذا هي لم تُذْعِنْ لغسان. ويتبدى هذا من قصيدته التي مطلعها.(١)

إني كأنّي لَدَى النُّعمانِ خَبَّرَهُ ... بعضُ الأَوُدِّ حديثاً غير مَكْذوبِ(٢)

ومن خبر هذه القصيدة أن النابغة «ركب إلى الحارث بن أبي شَمِر(٣)، ليكلّمه في أسارى بني أسد وبني فزارة، فأعطاه إيّاهم وأكرمه. وقد كان حِصْنُ بن حُذَيْفة الفَزاريّ أصاب في غسان قبل ذلك بعام، فقال الحارث للنابغة: ما دسَّ بني أسد إلا حِصْن، وقد بلغني أنه لا يزال يجمع عليه الجموع ليصيرَ على أرضنا. وقد كان النعمان بن الحارث شديداً غليظاً، فدخل عليه النابغةُ، فقال له النعمان: إن حصناً عظيمُ الذنب إلينا وإلى الملك، فقال له النابغة: إن الذي بلغك باطل»(٤).

ويظهر أن الحملة التي قام بها الحارث أصابت بني أسد على (الأمرار)(٥)، فقَتَل وأسر وسبى، قال النابغة:

ولا تُلاقي كما لاقَتْ بنو أَسَدٍ ... فقد أصابَتْهُمُ بشُؤبوبِ

لم يبقَ غيرُ طَريدٍ غير مُنْفَلِتٍ ... ومُوثَقٍ في حبالِ القِدِّ مَسْلوبِ

أو حُرَّةٍ كمهاةِ الرَّملِ قد كبلت ... فوق المعاصم منها والعراقيب

تدعو قُعَيْناً وقد عض الحديدُ بها ... عَضَّ الثِّقافِ على صُمِّ الأنابيبِ

والسبايا يدعون قُعَيْناً، وهم «حيّ من أسد»(٦)، ولكن لا معين لهنّ منهم.

---

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٤٩.

(٢) الأُوَدّ: جمع وَدّ، وهو ذو الود.

(٣) لقد اتضح من البحث أنه الحارث الأصغر بعد أن تبينا الحارث بن أبي شمر.

(٤) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق أبو الفضل ابراهيم)، ص ٤٥. والديوان (تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠)، ص ١٤. وفي ديوانه (جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس، ١٩٦٧)، ص ٥٠ زيادة مفيدة.

(٥) الأمرار: قال ياقوت: اسم مياه بالبادية، وقيل مياه لبني فَزارة وقيل: هي عُراعِر وكُتَيْب يدعيان الأمرار لمرارة مائهما (معجم البلدان، مادة أمرار). وعُراعِر تحدد مكان الأمرار، فهي تقع في الطريق بين المدينة وتيماء (شمال غرب الجزيرة، ص ٤٠١).

(٦) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، مادة بني قعين.

(٤)

بين غسان وذبيان

أ - النابغة الذبياني

لقد كفاني النابغة الذبياني مؤونة التنقير عن غيره في استجلاء علاقة غسان بذبيان: فالنابغة ابن قبيلته، وابن بَجْدَتها، وذو المكانة فيها، وهو وثيق الصلة بالغساسنة والمناذرة معا على ما بينهما من خصام.

وليست طَلِبَتي الآن أن أتحدّث عن النابغة، وقدرته الفائقة على وُلوج الموالج الصّعاب، ومصانعة المتخاصمين، فحسبنا تلك القصيدة التي تصحّ لمدح الغساسنة والمناذرة، وهي التي مطلعها[١]:

أتاركــةٌ تَدَلُّلَهـــا قَطَـــامِ وَضِنّـــاً بالتحيّـــةِ والسّلامِ

والتي اختلف الرواه فيمن قيلت: فهي في عمرو بن هند عند الأعلم الشّنْتَمَري،[٢] وهي في المنذر بن المنذر عند ابن الكلبي،[٣] وهي في عمرو بن الحارث الغساني عند أبي عبيدة.[٤] وكأني بالنابغة قد أرادها أن تكون على هذا النحو المحيّر؛ حتى يحافظ على علاقته الطبيعية بالمناذرة والغساسنة معا.

* * *

وعلى الرغم من أن الأصمعي قد دفع أن النابغة أدرك عمرو بن هند «لأن عمراً كان مَلِكا قبل المنذر أبي النعمان، وملك عشر سنين، وملك النعمان ابنه ثمانياً وثلاثين سنة،

---

(١) ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٣٠

(٢) اشعار الشعراء الستة الجاهليين (دار الآفاق، بيروت، ١٩٨١)، ص ١٨.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد ابو الفضل)، ص ١٣٠.

(٤) نفسه، ص ١٣٠. وانظر مناقشة الروايات في أمراء غسان، ص ٣٩ - ٤٠.

والنابغة مات وعمره خمسون سنة، ولا يجوز أن يكون مدح عمرو بن هند، وهو – أي النابغة – سنتين». [1]

أقول: على الرغم من ذلك، فإن في شعر النابغة مدحاً للحارث الأعرجِ الغساني الذي كان معاصراً للمنذر بن ماء السماء، قال: [2]

والله والله لَنِعْمَ الفتى الـ ــ أعرجُ لا النِّكْسُ ولا الخامِلُ

والمنذر بن ماء السماء هو أبو عمرو بن هند.

وفي ديوان النابغة ثلاث عشرة[3] قصيدة ومقطوعة في غسان: واحدة[4] في الحارث بن أبي شَمِر، وواحدة[5] في الحارث الأصغر ابنِ حُجْر (أو عمرو) بن النعمان بن الحارث الأعرج، وسبع[6] في النعمان بن الحارث الأصغر، وأربع في عمرو بن الحارث الأصغر.

ب – سبب الخلاف بين غسان وذبيان

ثمة منطقة كانت مصدر خلاف بين غسان وبين ذبيان وأسد. تلك المنطقة تقع بين الجِناب وعالِج، وقد ظهرت هذه المنطقة بجلاء في شعر النابغة الذبياني، حيث قال ينصح قومه: [7]

وخَلُّوا له بين الجِنابِ وعالِجٍ فِراقَ الخليطِ ذي الأذاةِ المُزايِلِ

أما الجناب فقد حَدّدها الشيخ حمد الجاسر «بالأرض الفسيحة الواسعة الواقعة في

---

(١) ديوان النابغة الذبياني (جمع محمد بن عاشور)، ص ١١٤.

(٢) نفسه (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٦٧.

(٣) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٤٠، ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٣٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(٤) نفسه، ص ١٦٧.

(٥) نفسه، ص ٢٠٦.

(٦) نفسه، ص ٤٩، ٧٥، ٩٨، ١٠٧، ١١٥، ١٦٥، ١٦٦.

(٧) نفسه، ص ٤٠، ١٣٠، ١٤١، ١٨٣.

(٨) نفسه، ص ١٤٤.

عِراض خَيْبَرَ من الشرق إلى تَيْماء، حيث يحدّها جبل حَذَد- هو جبل تَيْماء (غُنَيْم)- ثم تمتدّ هذه الأرض نحو الشمال حتى تتصل بوادي عَرْدَة الذي يقع أعلى وادي القُلَيْبة، القرية التي يمرّ بها المُتَّجه إلى تبوك، وهذه الأرض يطلق عليها الآن (الجَهْراء) أرض ذات أودية ومستنقعات واسعة». (١)

وأما عالِج فتسمى اليوم النفوذ، وهي الصحراء الممتدة من شمال جبل أجأ أحد جبلي طيىء (شمّر اليوم) إلى دُوْمَةِ الجَنْدَل (الجَوْف اليوم)، وهي صحراء لا تخطئها العين في أية مصوّرة جغرافية لجزيرة العرب.

فهذه الأرض الشاسعة كانت مطمحَ غسان ومطمح قبائل الأحاليف، وخاصة ذبيان وأسداً. فقامت غسان في عهد الحارث الأصغر بإحماء الحِمَى فيها، كحِمَى النعمان بن الحارث الأصغر في ذي أُقر، فلم تأبه ذبيان وأسد لهذه الحمى فتربّعته، فهاجمها النعمان وأسر منها، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها: (٢)

لَقَدْ نَهَيْتُ بني ذُبْيانَ عن أُقُرٍ وعن تَرَبُّعِهِمْ في كُلِّ أَصفارِ (٣)

وعاودت ذبيان تربّعها، فأغار عليها عمرو بن الحارث الأصغر، فقال النابغة قصيدته التي مطلعها: (٤)

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فذاتِ الأجاوِلِ

ومما يُستغرب أن يكون النابغة مع غسان ضد قومه عندما طلب أن تخلي ذبيان تلك الأرض الشاسعة لعمرو بن الحارث الأصغر.

---

(١) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠)، ص ٥٠٠ - ٥٠١.
(٢) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص ٧٥.
(٣) ذو أقر وأُقر موضعان متقاربان كما يفهم من معجم البلدان (انظر مادتي أُقُر وأُقُر). وفيه أن ذا أقر واد لبني مُرّة، وهو واد نَجْل- أي واسع- ممتلئ خَمْضا. وهو قريب من أرض الشربة. والشربّة شرقي وادي الرمة المشهورة (انظر شمال غرب الجزيرة، ٥٥٩ - ٥٦٠).
(٤) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ص ١٤١.

ج - في عهد الحارث الأصغر

لقد تحدّثْتُ عن الحملة التي قام بها النعمان بن الحارث الأصغر في عهد أبيه على أسد وذبيان في أثناء الحديث عن أسد. وقد صوّر النابغة هذه الحملة عندما خرجت خيل الغارة الضّوامر من الجَوْلان إبّان القَيْظ، عليها فرسان أُباة من شيب وشبّان قد دَرِبوا على الحروب، فما أصابت الخيل من النوم إلا غِراراً حتى بلغت أهلَ المِلْح وقد أخذ منها الكَلالُ كلّ مأخذ، يتصبب منها العَرَق كانصباب الماءِ من القِرَبِ الوُفْرِ.

قال: (١)

قادَ الجيادَ مِنَ الجَوْلانِ قائظَةً ... من بينِ مُنْعَلَةٍ تُزْجى ومجنوبِ (٢)
حتى استغاثَتْ بأرضِ المِلْحِ ما طَعِمَتْ ... في مَنْزِلٍ طَعْمَ نَوْمٍ غيرَ تأويبِ (٣)
يَتْضَحْنَ نَضْحَ المزادِ الوُفْرِ أتأقَها ... شَدُّ الرواةِ بماء غيرِ مَشْروبِ (٤)
قُبُّ الأياطِلِ تَرْدِي في أعنّتِها ... كالخاضِباتِ من الزُّعْرِ الظّنابيبِ (٥)
شُعْثٌ عليها مَساعيرٌ لحَرْبِهِم ... شُمُّ العَرانينِ من مُرْدٍ ومِنْ شِيبِ (٦)

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٥٠.

(٢) ذكر فيليب حتي أن عاصمة آل جفنة كانت في البداية معسكرا متنقلا، ثم صارت الجابية في الجولان عاصمة لهم، وجلّق الواقعة جنوبي حوران في بعض الأحيان. انظر:
History of Syria (Macmillan & co-LTO, London, 1959), p.401
ودُفن النعمان بالجولان بين بُصرى وجاسم. انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٢١.
وتُزجى: تساق. والفرس المجنوب: المقود.

(٣) أرض الملح كثيرة في شمال الجزيرة حتى سمّيت قرية باسم قُرَيّات الملح. وقد ورد يوم باسم (يوم الملح) في شعر زيد الخيل الطائي. انظر ديوان زيد الخيل الطائي (صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف؟)، ص ٣٧.
والتأويب: السير جميع النهار، ولعلها هنا الشرب عند القائلة.

(٤) المزاد: جمع المزادة، وهي القربة. والوُفْر: جمع الوفراء، وهي الملأى. وأُتْأق: ملأ.

(٥) قُبُّ الأياطل: ضُمّرُ البطون. وتردي: ترجُمُ الأرض بحوافرها في عَدْوها. والخاضبات من الزعر الظنابيب: كناية عن النعام. والخاضبات: مُحْمَرّة السوق، وتحمر عادة سيقان النعام في وقتِ الخِصاب. والزُّعر: قصار الريش. والظّنابيب: عظام السُّوق.

(٦) شُمُّ العرانين: كناية عن الاباء والشموخ. والعِرنينُ الأشمّ: الأنف الذي علت أرنبته.

وقد أصابت هذه الحملة أسداً ولم تُصب فَزارة من ذُبيان، ولذلك ينصح النابغة لِفَزارة أن تفِرّ الى الجبال والجرار، كيلا تلاقي ما لاقته أسد:

فإذْ وُقِيتِ بحَمْدِ اللهِ شِرَّتَها   فَأنْجِيْ فَزارَ إلى الأَطْوادِ فاللوبِ[1]

د - في عهد النعمان بن الحارث الأصغر

يبدو أن النعمان لم يَقُم في عهد تولّيه إمارة غسان بعد مقتل[2] أبيه الحارث الأصغر بقيادة الغارة على ذبيان عندما تربعت أقراً، وانما أوكل أمر قيادة الغارة الى ابن الجُلاح الكلبي فقد قال ياقوت: «فَبَعَثَ النعمان بن الحارث إليهم جيشا وعليه ابن الجُلاح الكَلْبي، فأغار عليهم بذي أُقُر، وسبى ستين أسيرا وأهداهم إلى قَيْصر الروم.

وقصيدة النابغة تحذير لذبيان من غارة عليهم، فقد اجتمعت عليهم غسان وكلب ورَهطُ رِبْعي وحجّار من قُضاعة،[3] وقد تمنّى النابغة فيها ألا يرى نساء ذبيان سبايا مردفات وراء الأَجْراء والأَتْباع، يَذْرِفْنَ العَبَرات، ويَنْظُرن شَزْراً إلى السُّباة، وعلى وجوههن امتعاض بيّن من إنكار الرِّقّ وهنّ الحَرائر:

لا أعرِفَنْ رَبْرَباً حُوْراً مَدامِعُها   كأنَّ أبكارَها نِعاجُ دُوّارِ[4]
يَنْظُرْنَ شَزْراً إلى مَنْ جاء عن عُرُضٍ   بأَوْجُهٍ مُنْكِراتِ الرِّقِّ أحْرارِ
خَلْفَ العَضاريطِ لا يُوقَيْنَ فاحِشَةً   مُسْتَمْسِكاتٍ بأقتابٍ وأكْوارِ[5]
يُذْرِينَ دَمْعاً على الأشْفارِ مُنْحَدِراً   يأمُلْنَ رِحْلَةَ حِصْنٍ وابنِ سيّارِ

---

(١) اللوب: جمع اللابة، وهي الحرة.

(٢) يستفاد هذا من قصيدة النابغة التي مطلعها:

إنْ يَسْتَفِد الحارثُ الحرّاثُ تعترفوا   حيثاً مُعيراً على نهلان أو خضر

الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٢٠٦.

(٣) نفسه، ص ٧٧.

(٤) الرَّبْرَب: القطيع من بقر الوحش. وقد استعيرت للنساء.

(٥) العضاريط: جمع العُضْرُوط، وهو الأجير والتابع.

لقد نهى ذبيان عن تربُّعٍ ذي أُقُر، فعصته. وها هو ذا النعمان مقبل بجَمْع جَرّار لاكِفاء لذبيان به، فما له هو نفسه إلا أن يلجأ الى حَرّة النار[1]، أو أن يضع بيته في حَرّة سوداء - وحجارة الحِرارسود - لا يقتدر المغيرون أن يبلغوها:

إما عصيت فإني غيرُ مُنْفَلِتٍ   منّي اللّصابُ فَجَنْبا حَرَّةِ النّارِ[2]
أو أضَعُ البيتَ في سَوْداءَ مُظْلِمَةٍ   تُقَيِّدُ العَيْرَ لا يَسْري بها السّاري[3]
تُدافِعَ الناسُ عنا حينَ نركَبُها   من المظالِمِ تُدْعَى أُمُّ صبّارِ[4]

* * *

في شعر النابغة ما يدلّ على أن ابن الجُلاح أصاب ذُبيانَ في غزاته، حيث أقبل بجيش كثيف، فأصاب ذبيان قسراً فأضحوا عبيداً له. وأنعم عليهم، ولم يك بخيلا.

قال[5]:

صَبَحْتَ بني ذُبيانَ منه بغارَةٍ   جَرَتْ لكَ مِنْها السّانحاتُ بأَسْعُدِ[6]
أصابَهُمُ قَسْراً فأَضْحَوا عِبادَه   فجلّلَها نُعْمَى ولم يَتَشَدَّدِ[7]

---

(١) حَرّة النار: في الجنوب الشرقي من المدينة. انظر الخريطة في:
Doughty, Charles M. Travels in Arabia Desarta (Jonathan cape London), vol. I.

(٢) اللّصاب: جمع اللِّصْب، وهو الشِّعْبُ الصغير في الجبل أو مَضيق الوادي.

(٣) العَيْر: حمار الوحش. والحرّة تقيده من كثرة أحجارها فلا تدعه يسير.

(٤) أم صبّار هي حَرّة النار.

(٥) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٢١٢.

(٦) السانحات من الطيور والظباء ما ذهبت من مياسر السائرين الى ميامنهم وهي فأل حسن عند بعض العرب (ومنهم ذبيان)، ومنهم من يتفاءل بالبارح وهو الذي يولي المياسر.

(٧) عباده: عبيده. يتشدد: يبخل.

هـ - في عهد عمرو بن الحارث الأصغر

يذكر شرّاح ديوان النابغة أنه قال قصيدته التي مطلعها[(١)]:

أهاجَكَ من أسماءَ رَسْمُ المنازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فذاتِ الأجاوِلِ

في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغسّاني ببني مُرَّةَ بنِ عَوْفِ بن سَعْد بن ذُبْيان». [(٢)]

ولكن القصيدة لا تتحدث عن وقعة قد تّمت، وإنما تتحدّث عن غزوة متوقّعة سيقوم بها عمرو بن الحارث الأصغر ردّاً على تربّعُ مُرّة رَوْضَةَ نُعْمّي وذات الأجاوِل في المنطقة الواقعة بين الجِنَاب وعالِج، وهي المنطقة التي ذكرت أنها سبب الصراع بين غسان وذبيان.

ويُظهر النابغة فَزَعه من تلك الغزاة، فجعله فوق فَزَعٍ وَعْلٍ من وعولِ جبلِ ذي المَطارة:

وقَدْ خِفْتُ حتى ما تُزيدُ مَخافَتِي على وَعِلٍ من ذي المَطَارَةَ عاقِلِ

ويُظهر عَمْراً يقودُ جَحْفَلاً رِبْعيّاً كأنه حَرَّةُ راجل ذات الحجارة السّود، وتبدو الخيل قد آدَها الجري من بُعد الشُّقّة، فنحُل عودُها، واصفرّ نُخاع عظامها ورقّ، وبَرَىْ الصَّوّان حوافِرَها، فبدت الخيل – على نحو لِها وبري حوافرها – لطافاً كالقنا الذّوابل:

مَخَافَةَ عمرٍو أنْ تكونَ جِيادُهُ يُقَدْنَ إلينا بينَ حافٍ وناعِلِ[(٣)]
اذا استَعْجَلوها عن سَجيَّةِ مِثْلِها تبلَّغُ في أعناقِها بالجَحافِلِ[(٤)]
شَوازِبُ كالأجْلامِ قد آلَ رِمُّها سَماحيقَ صُفْراً في تَليلٍ وفائِلِ[(٥)]

---

(١) الديوان (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ١٤١، والديوان (جمع محمد الطاهر بن عاشور) ص ١٩٥.

(٢) انظر الديوان بالتحقيق، ص ١٤١، ١٩٤.

(٣) الحافي: كناية عن الابل، وذو أنهم كانوا ينقون أخفافها بانجذاء من الجند. والناعل: كناية عن الخيل.

(٤) الجحافل: جمع الجحفلة، وهي بمنزلة الشفة من الانسان.

(٥) الشوازب: الضوامر. والأجلام: جمع الجلم، وهو المقص. والرمّ: نقية المخ. والسماحيق: جمع السمحاق، وهو الجلدة أو القشرة الرقيقة فوق عظم الرأس.
والتليل: العنق. والفائل: اللحم الذي على نُقرة الوَرِك.

بَرَى وَقعُ الصَّوّانِ حدَّ نُسورِها فَهُنَّ لِطافٌ كالصِّعَادِ الذوابلِ (١)

وتظهر صورة للخيل كالتي نراها في شعر الطُّفَيْل الغَنَوِيّ حيث نرى الخيل تطرح أولادها فتبدو أسلاؤها كالوَصائل الحُمْر، وتأتي الطير فتشبع من أولاد الخيل السُّخْل:

وَيَقْذِفْنَ بالأَوْلادِ في كُلِّ مَنْزِلٍ تَشَحَّطُ في أَسْلائها كالوصائلِ (٢)
ترى عافياتِ الطيرِ قد وَثِقَتْ لها بِشِبْعٍ من السَّخْلِ العِتاقِ الأَكائِلِ (٣)

وترى الخيل قد جُنِّبت مع الابل - أي قُرنت بها - حيث كانوا في الغارة الشُّحُوط يركبون الابل، ويقودون الخيل، إبقاءً عليها ليكونَ لها قوة وجلد عند القتال والغارة. ويحملون الابل المَراجل التي يطبخون فيها، ويحمّلونها الدروع. وقد جعل النابغة دروع غسان سابغةً ليّنة، قد حُفِظت خير حِفْظ، ووُقيت من الصدأ بدُرْدِيِّ الزيت، ومن التلف بحشوها بكَرَّة:

مُقَرَّنَة بالعِيسِ والأُدْمُ كالقَنَا عليها الخُبُورُ مُحْقَباتُ المَراجلِ (٤)
وكُلِّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ ونَسْجِ سُلَيْمٍ كلَّ قَضّاءَ ذائِلِ (٥)
عُلِينَ بكِدْيَوْنٍ وأُبْطِنَّ كَرَّةً فَهُنَّ وِضاءٌ صافِياتُ الغَلائِلِ (٦)

ولا بدَّ لي من التلبُّث هَوْناً عند جيش الغارة، وفيه تُرى الخيلُ والابل، فَتُجْنَبُ الابل

---

(١) النسُور: جمع النَّسْر، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفَرس من أعلاه. والصِّعاد: جمع الصَّعْدَة، وهي قناة الرمح.

(٢) تَشَحَّط: تضطرب. والأَسْلاء: جمع السَّلَي، وهو الغشاء الرقيق الذي يحيط بالجنين ويخرُجُ معه من بَطنْ أمه. والوصائل: ثيابٌ حُمْر فيها خطوط خضر.

(٣) السَّخْلَ: كلّ شيء لم يُتمَّمْ، وجمعها سُخْل وسُخَال (القاموس المحيط للفيروز آبادى، محمد بن يعقوب، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ - مادة سخل) وقد جعل النابغة (السَّخل) للجمع. والآكائل: جمع الأَكيلَة، وهي أكيلةُ السَّبُع التي يأكلها إذا افترسها.

(٤) الخُبُور: جمع الخَبْر، وهي المزادة ومُحْقَبات المَراجل: أي في حقائبها المراجل التي يطبخون فيها.

(٥) الصَّمُوت: الدرع الثقيلة. والنَّثْلَة: الواسعة. والتُّبَّعِيّة: نسبة إلى تبابعة اليمن وسُلَيْم: سليمان، وأراد بسليمان داود، لأن داود أول من عمل الدّروع في اعتقاد العرب. والقضاء: التي فيها مسامير تشبه القضض وهي الحصى الصغار، وذلك أمتَنُ للدّرع. والذائل: الطويلة السابغة.

(٦) الكِدْيَوْن: وَرْديّ الزيت، وهو ما رسب في قاع إناء الزيت. والكَرَّة: البَعْر والرَّماد.

بالخيل، وتُحمِل الابل الرجالَ وشِكَّة الحرب وأدوات الطعام، وتكون الخيل خالية غير مُمْتطاة. فاذا حانت ساعة المعركة خُلّيت الابل وامتُطِيت الجياد، فهي أداة الحرب الأساسية.

وسبيل الجاهليين في حفظ الدُّروع من الصدأ والتَّلَف- كما أشار النابغة- كانت بطلائها بدُرْديّ الزّيت وحَشْوها بالرّماد والبَعْر. وهذه إشارة مهمة في صَوْن آلة من آلات الحرب.

و - ملاحظة من أبي عبيدة

قال أبو عبيدة: «لم أسمع من تعنيف النابغة لبني أسد إلا القصيدة البائية(١) التي قالها في مدح الحارث بن أبي شَمِر، حين ركب إليه ليكلّمه في أسرى بني أسد وبني فَزارة، فأعطاه إياهم وأكرمه، وقد خرج كلامه في الحُسْن والاستواء حتى كأنه يصف ويذكر دياراً بعيدة»(٢).

والنابغة لم يذكر أسداً فقط- وهم حلفاء ذبيان- كأنه ذَكَر دياراً بعيدة وإنما ذكر قبيلته ذبيان أيضا كأنه يذكر قوماً غرباء، وكأنه شاعر غسانيّ، يتهدّد ذُبيان بقوة غسان، فيهّول في قوتها، ويرسم صورة مفزعة لها، ليخوّف بها قبيلته ذُبيان، ويَصْدَعَ صَفائها، ويُوهِنَ من عزائمها.

وموقف النابغة من قومه لا أكاد أجد له نظيراً في الشعر الجاهلي!

أما التهويل في قوة غسان، فتراها عندما يمدح النعمان بن الحارث، فيصوّره مُغيراً على قومه، قائداً الجياد من الجَوْلان، عليها مَساعيرُ حربٍ من شِيْب غسان ومُرْدِهم، حتى بَلَغْنَ أهل المِلْح، وكنّ ينضَحْن بالعرق كما يتبزّل الماء من الرّوايا الوُفْر.

---

(١) أي التي مطلعها:

إنـي كأنـي لدى النعمـان خَبّـره بعضُ الأَوْدِ حديثاً غيـرَ مَكْـذوبِ

(٢) ديوان النابغة الذبياني (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ص ٥٤ (الحاشية).

وأما رسم صورة مفزعة لهم، فتراها عندما يمدح عمر بن الحارث الأصغر، فيخوّف بها قومه، ويصوّره ليثاً ضاريا مُنْقَبضا مُسْتَوفِزاً لِفِراس قومه، فيسوق نساءهم سبايا، ويُردفهنّ خلفَ أتباعه وأُجَرائه، ولا يوقّين فاحشة، فيذرين الدّمع، وعلى وجوههن سيماء إنكار الرّق.

وتحذير النابغة سلبيّ مُوهن ناكص، فمانرى- أو لم أرَ- شاعراً جاهليا يدعو قومه إلى إخلاء منطقة واسعة لخصومهم، وإلى الفِرار إلى الحِرار، والنّجاء في الجبال.

★ ★ ★

وقد جرّ موقف النابغة عليه خصومة بعض سادات قبيلته، ومنهم حِصْن بن حُذَيفة الفَزاريّ الذي اتهمه النعمان بجَمْع الجموع لمحاربة غسان، وبَدْر بن حُذار، وخُزَيْم بن سيّار، وزَبّان بن سيّار صهر النابغة.(١)

(٥)
بين غسان وطيئ

قال ابن سعيد في طيّىء: «وهي الرّحى العظيمة التي نزلت حين خرجت من اليمن بعد سيل العَرِم على بني أسد، فحاربتها الى أن اصطلحتا على الجِوار، فحلّتْ طيّىء بجبلي أجأ وسلمى من نجد الحجاز الى اليوم».(٢)

وقال اليعقوبي: «وكانت أسد منتشرة من لدن قصور الحيرة إلى تهامة، وكانت لطيىء محالفة متفقة معها، ودارهما تكاد أن تكون واحدة».(٣)

---

(١) انظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، ص ٧٩ - ٨١.

(٢) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١ : ٢٢٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ١ : ٢٦٣.

وكانت طيّء تقيم علاقة متعادلة مع المناذرة وغسان معاً، فبينها وبين المناذرة عقد ألا تغزو إحداهما الأخرى،[1] وبينهما وبين غسان إيلاف. فلما ذرّ الخلاف بين قبيلتي طيىء: الغَوْث وَجَدِيلَة، قام الحارث بن جَبَلَة الغسانيّ بالاصلاح بينهما- قال ابن الأثير عن يوم اليَحاميم: «وهو بين قبائل طيّىء بعضها في بعض. وكان سبب ذلك أن الحارث بن جَبَلَة الغساني كان قد أصلح بين طيّىء، فلما هلك عادت عادت الى حربها»[2].

فأن يقوم الحارث بن جبلة بالاصلاح بين أحياء طيّء إشارة دالّة على مكانة غسان والحارث عند الطائيين.

وثمة إشارة أخرى يمكن الاستدلال بها على مكانة غسان، وردت في شعر قيس بن جِرْوة الملقّب بعارق الطائي، قال:[3].

والله لو كانَ ابنُ جَفْنَةَ جارَكُمْ ما إنْ كَساكُم غُصَّةً وهَوانا
وسَلاسِلاً يبْرُقْنَ في أعناقِكُمْ وإذَنْ لَقَطَّع تلكُمُ الأقرانا
ولكانَ عادتُه على جيرانِه ذَهَباً ورَيْطاً رادِعا وجِفانا[4]

(١) الحماسة، شرح المرزوقي. ص ١٤٦٦.
ولكن هذا العقد تعرض للنقض عندما قام عمرو بن هند بغزو طيىء، ويمكن تتبّع أثر هذا الغزو في شعر عارق الطائي في نشوة الطرب، ١: ٢٣٦-٢٣٧.
(٢) الكامل في التاريخ (الطابعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، ١: ٣٨٨.
(٣) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، النقائض (تحقيق بيفان، بريل، ليدن، ١٩٠٧)، ٢: ١٠٨٣.
(٤) الرَّيط: جمع الرَّيطَة، وهي الثوب اللّين الرقيق - والرادع: المُرْدِع، المُلْمَّع بالزعفران أو بالطيب. والجفان: جمع الجَفنة، وهي القَصْعَة.

ومناسبة هذه الأبيات - كما ذكر ابن الكلبي - أن «عمرو بن هند غزا اليَمامةَ، فرجع مُنْفِضاً، فمرّ بطيء، فقال له زُرارة بن عُدَس[1]: أُصِبْ من هذا الحي شيئا. قال: ويلك! إن لهم عَقْداً. قال: وان كان، فإنك لم تُكْتب العقد لهم كُلّهم، فلم يَزَلْ به حتى أصاب نسوة وأذوادا[2]، فقال قيس: [3].

أكلُّ خَمِيسٍ أخطأ الغُنْمَ مَرّةً ... وصادفَ حَيّاً دائماً هو سائِقُهْ
فأقسمتُ لا أحتلُّ إلا بصَهْوَةٍ ... حَرامٌ عليك رَمْلُهُ وشَقائِقُهْ[4]
فأقسمتُ جَهْداً بالمنازِلِ من مِنَى ... وما ضَمَّ من بَطْحائهنّ دَرادِقُهْ[5]
لئن لم تغيّر بعضَ ما قد صَنَعْتُمُ ... لأنتَحِيَنْ للعَظْمِ الذي أنا عارِقُهْ

وما أروم أن أتلبّث عند عارق، فشعره في هذه المناسبة وَفْر، وهو في علاقة طيّء بالمناذرة أدخل. وما وقفت عنده إلا للمقابلة التي عقدها عارِقٌ بين عمرو بن هند وابن جفنة الحارث بن جَبَلَة: فلو كان الحارث جاراً لطيّء لما أذاقها الهوان ولَكان قد عادَهُم بالمال والكساء والطعام.

* * *

وعلى الرغم من دخول طيء حلف أسد وذبيان، فإن علاقتها بغسان والمناذرة قد ظلّت متوازنة. وقمينٌ ألا يَعْزُب عنا معنى وجود إياس بن قَبِيصَةَ الطائي في الحيرة، ومبلغ نفوذه فيها، حتى إن الفرس قد عيّنوه على الحيرة خَلَفاً للنعمان بن المنذر، آخر أمراء المناذرة.

---

(١) زُرارة بن عُدَس: سيّد من سادات تميم، له أخبار كثيرة. انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ١: ٧٦، ٢٣٦، ٤٥٠.

(٢) الأذواد: جمع الذَّوْد، وهي في الجمال من ثلاثة الى عشرة.

(٣) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي (تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني القاهرة،؟)، ص ١٧٠.

(٤) الشقائق: جمع الشقيقة، وهي الفُرجة بين الجبلين تُنبت العشب.

(٥) الدرادق: جمع الدَّرْدَق، وهي صغار الإبل وغيرها.

أخشى أنني أستبق الأحداث، فأجْدَرْ بي أن ارتدّ إلى عهد الحارث الأصغر وابنه النعمان، إذ روى ابن الكلبي – وهو راوية ديوان حاتم الطائي – أن طيّئا «أغارت على إبلٍ للحارث بن عمرو الجَفْني، وقتلوا ابنا له، وكان الحارث إذا غضب حلف ليقتلَنَّ ويستبيَنَّ الذّراري، فحلف ليقتلَنَّ من الغَوْث أهل بيتٍ على دمٍ واحد، فخرج يريد طيّئا، فأصاب من بني عَدِيّ بن أُخْزَم تسعين رجلا، رأسُهُمْ وَهْم بن عمرو من رَهَطِ حاتم»[1].

ويمكن تصحيح الرواية استنادا إلى ما مرّ على علاقة غسان بأسد وذبيان، وقد تبيّنا أن النعمان بن الحارث الأصغر كان يَحْمي حمى بين عالِج (النُّفود) والجِناب (الجَهْراء)، ويظهر أن الحملة التي أصابت أسداً وذبيان أصابت طيئا أيضا، فهي حملة واحدة فيما أرجّح.

صدى الحملة في شعراء طيء

لا نجد – أو لم أجد – صدى لهذه الحملة في غير شعر حاتم الطائي.

ذكر ابن الكلبي أن حاتما كان بالحيرة عندما غزا النعمان طيّئا، فلما قدم الجبلين جعلت المرأة تأتيه بالصبي من ولدها، فتقول: يا حاتم أُسِرَ أبو هذا. فلم يلبث إلا ليلة حتى سار إلى الحارث ومعه مِلْحان بن حارثة، وكان لا يسافر إلا معه.[2].

* * *

وفي ديوان حاتم ثلاث قصائد في هذه المناسبة، يظهر أنه قال أولاهنّ إذ عزم على السفر إلى الحارث:[3] . ومطلعها: –

---

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٨٧ – ١٨٨. وفي ديوانه (طبعة دار صادر بيروت؟ ص ٥٥ «أغارت طيّء على ابل للنعمان بن الحارث بن عمرو ورجل من بني جفنة، وقتلوا ابنا له». وفي الموفقيات للزبير بن بكار (تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢)، ص٤٤٣.
«أغارت طيء على إبل النعمان بن الحارث بن ابي شمر الجفني، وقتلوا ابنا له». وفي الأغاني (تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩) ١٧ : ٢٨٨ أغارت طيّء على إبل للنعمان بن الحارث بن أبي شمر الجفني، ويقال هو الحارث ابن عمرو رجل من بني جفنة، وقتلوا ابنا له».

(٢) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) ص١٨٨. والموفقيات، ص٤٤٣. والأغاني، ١٧ : ٢٨٨ – ٢٨٩.

(٣) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ١١٨.

أَلا إنني قد هاجَني الليلةَ الذِّكَرْ ... وما ذاكَ من حُبِّ النساءِ ولا الأَشَرْ

ويتبدّى في هذه القصيدة- أو المقطوعة[1]- غموض مصير الأسرى الطائيين، فحاتم لا يدرى ما الحارث فاعلٌ بهم: أيخلّي سراحهم، ويردّهم إلى أهليهم، أم يستبقيهم أو يقتلهم صَبْراً أو يسترقّهم؟

ومصيرُهم بين خير مأمول من الحارث- خير الناس حيّاً وميّتا- وشرّ متوقّع سيحتمله هو وقومه، كما احتملوا شرّاً قبله، وصبروا عليه:

فيا ليتَ خير الناسِ حيّاً ومَيّتاً ... يقولُ لنا خيراً وَيُمْضي الذي ائتَمَرْ
فانْ كانَ شَرٌّ فالعَزاءُ بأَنّنا ... على وَقَعاتِ الدَّهْرِ من قَبْلِها صُبُر

ويحدِّد حاتم، من خلال دعاء بالسُّقيا، مقرّ الحارث بن عمرو، فيجعله جنوبَ جبال الشَّراة منَ مآب الى زُغَر:

سَقَى اللهُ ربُّ الناسِ سحّاً وديمَةً ... جَنوبَ الشَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ[2]
بلادَ آمرِىءِ لا يَعْرِفُ الذمُّ بيتَهُ ... له المَشْرَبُ الصافي وليسَ له الكَدَرْ

ويستوقف هذا التحديدُ لبلاد الحارث الغسانيّ «جنوبَ الشَّراة منَ مآب إلى زُغَر»: يستوقف جغرافياً لأن جبال الشراة كلّها اليوم تقع جنوب جبال مآب (مؤاب اليوم)، ويفصل بينهما وادي الحَسا. أما جبالُ مُؤاب فتقع بين وادي المُوجِبِ شَمالاً ووادي الحَسا جنوبا.

فتحديد حاتم لا يوافق أسماء المواقع اليوم. أكان حاتم لا يعرف ديار غسان لأنه ليس من أهلها، فأخطأ في تحديد المواقع، أم أن أسماء المواقع اليوم غيرها في زمن حاتم؟

والجواب عن هذا التساؤل يحتّم عليّ ولوج باب من أبواب الجغرافية التاريخية، فتحديد الشراة وَمآب وزُغَر يحتاج إلى بحث خاص من أهل الاختصاص بذاك الباب.

---

(١) لأنها تسعة أبيات.

(٢) السَّح: الصَّبُّ المتابع. والديمة: المطر يدوم يومين وثلاثة مع سكون.

وإن جاز لي أن أقول في هذا المقام شيئاً أقل: يبدو أن رواية البيت هي:

سَقَى اللهُ الناسَ سَحّماً ودِيمَةً   جنوبَ السَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ

فهي السَّراة وليس الشَّراة، وهذه هي الرواية التي أثبتتها طبعة صادر[1] من ديوان حاتم، وهي المُثْبتة في الأغاني[2] والموفقيات.[3]

والسَّراة هي سلسلة الجبال الممتدة غرب جزيرة العرب من شمالها الى جنوبها، وتُحدَّد أجزاؤها باسم المنطقة التي تكون فيها، فيقال بذلك: سَراة الحجاز وسَراة اليمن.

وجبال الشَّراة ومؤاب وعجلون والسويداء امتداد طبيعي لسلسلة جبال السَّراة، وهي التي أطلق عليها حاتم (السَّراة) أو سَراة الشام إذا انسحب اليها ما انسحب على السَّروات في الجزيرة.

فكأنّ حاتماً أراد جنوب سراة الشام حيث تقع بالفعل مآب وزُغَر.

* * *

وثمة مسألة أخرى في هذا البيت وهو مَآب، فقد جعلها حاتم مدينة أو قرية، وهي كذلك عند ياقوت، حيث قال: «وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البَلْقاء، قال أحمد بن محمد بن جابر: توجّه أبو عبيدة بن الجرّاح في خلافة أبي بكر في سنة ١٣

(١) ص ٥٦
(٢) ١٧ : ٢٨٩.
(٣) ص ٤٤٤.

بعد فتح بصرى بالشام الى مآب من أرض البَلْقاء وبها جمع العدوّ فافتتحها على مثل صُلْح بُصْرى. »(١).

وأرجّح أن مآب مدينة مأدبا اليوم.

وأما زُغَر فمدينة من مدن قوم لوط عليه السّلام، وقد ورد ذكرها في العهد القديم باسم (صُوغَر) في الطبعة العربية(٢)، و (صوعر) צֹעַר في الطبعة العبريّة(٣) وهي المدينة التي لجأ اليها لوط عليه السلام.

وزُغَر كثيرة الورود في كتب الجغرافيين العرب ذكرها ابن حَوْقل(٤) والاصطخري(٥) وياقوت(٦). وقال عنها ابن شدّاد: «هي مدينة حارّة متصلة بالبادية، وبها نِيْل لا يُقَصّر عن نيل كابُل»(٧)

وقد لفتني من تعليق الدكتور سامي الدهّان - محقّق الأعلاق الخطيرة - ما ذكره أن «زُغَر هي قرية الشيخ عيسى في جنوبي البحر الميت»(٨)، فسألت زميليّ الدكتور حسن عبد القادر والدكتور محمود أبو طالب، فأخبراني أنه لا توجد قرية باسم زغر اليوم، ولا قرية باسم الشيخ عيسى كما ذكر الدكتور سامي الدهان.

* * *

---

(١) معجم البلدان، مادة مآب.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ١٩ (مطبعة عنتر، القاهرة، ١٩٦٩).

(٣) [illegible] 1951).

(٤) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟)، ص ١٦٠.

(٥) الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك (تحقيق محمد عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦١)، ص ٤٧.

(٦) معجم البلدان، مادة زغر.

(٧) ابن شداد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي إبراهيم الحلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الشام (تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢)، ص ٦٧.

(٨) نفسه، ص ٢٨٩ (الحاشية).

وذكر ابن الكلبيّ أن حاتماً» قال في أُسارَى قومه، وكانوا عند بعض الملوك، فلما سمع هذا الشعر وهبهم له»[١].

قــال: [٢]

أبى طُولُ لَيْلِكَ إلا سُهُودا ... فما إنْ تُبِينُ لِصُبْحٍ عَمُودا

أبيتُ كئيباً أراعي النُّجــومَ ... وأوجِعُ من ساعدَيّ الحديـدا

أُرَجّي فَواضِلَ ذي بَهْجَـــةٍ ... من الناسِ، يَجْمَعُ حَزْما وجُودا

نَمَتْـهُ أُمامَـــةُ والحـــارِثا ... نِ حتى تَمَهَّلَ سَبْقاً جَديدا

كَسَبْقِ الجـوادِ غَداةَ الـرِهَا ... نِ أرْبَى على السّنِّ شَأْواً مديدا

فأجْمِـعْ فِداءٌ لكَ الوالـــدانِ ... لما كنتَ فينا بخَيْرٍ مُريـدا

فَتَجْمَـعَ نُعْمَـى على حاتِـمٍ ... وتُحْضِرَهـا من مَعَـدٍّ شُهُـودا

أمِ الهُلْكُ أدنى فما إن عَلِمْتُ ... عليّ جُناحـاً فأخشَى الوعيـدا

فأحسِنْ فلا عارَ فيما صَنَعْتَ ... تُحْيـي جُدوداً وتُبْـري جُدودا

فالحارث بن عمرو نماه حارثان وأمامة. ويغلب عليّ الرُّجْحان أن الحارث هو الحارث الأصغر، وأن الحارثين اللذين نمياه هما الحارث بن جبلة (وهو الحارث بن أبي شمر الأعرج)، والحارث بن ثعلبة. أما أمامة فاسم أمه، أمّ الحارث الأصغر.

* * *

وقد أطلق الحارث من كان أسرهم من رهط حاتم، فقال: [٣]

أبلِغِ الحارثَ بن عَمْرو بأنّي ... حافِظُ الوُدِّ مُرْصِدٌ للصّوابِ

ومُجيبٌ دُعاءَه إنْ دَعانِـي ... عَجِلاً، واحداً، وذا أصْحابِ

(١) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ٢٠٦.

(٢) نفسه، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص ١٩٤ - ١٩٧.

فالحارث هو الحارث بن عمرو، وحاتم حافظ للودّ، ومقدّر صنيع الحارث عليه. وهو يَعِده أن يلبّي الحارث اذا دعاه، هو و حده، أو هو وأصحابه.

إنما بينَنا وبيـنَك فاعلـم سَيْرُ تِسْعٍ للعاجِلِ المُنْتابِ
فَثَلاثٌ من السُّراةِ إلى الحلبط للخَيْـلِ جاهـداً والرِّكـابِ[1]
وثـلاثٌ يَرِدْنَ رَهْـواً وثَلاثٌ يُغَـرِّزْنَ بالإغْجـابِ[2]
فاذا ما مَرَرْتَ في مُسْبَطِرٌ فَأَجْمَعِ الخيلَ مثلَ جَمْعِ الكِعابِ[3]

فبين الحارث وطيّء سير تسمع ليال لمن قصد الزيارة، فعجّل فيها: ثلاث من السّراة حيث ديار غسان إلى الحَنْبَط، وثلاث من الحَنْبَط الى ثَيْماء، وثلاث من ثَيْماء الى ديار طيّء حيث الطريق بينهما واضح.

ليت شعري متى أرى قُبَّةً ذا تَ قِلاعٍ للحارثِ الحَرّابِ
بِيَفاعٍ، وذاكَ منها مَحَـلٌّ فَوْقَ مَلْكٍ يَدينُ بالأحسابِ

أخلِق بهذين البيتين أن يكونا في رحلة الذّهاب إلى الحارث وليس في رحلة الإياب!

والحارثُ في قُبّة ذاتِ قلاعٍ على يَفاعٍ من الأرض، وهو حَرّاب،[4] وهذا لقب للحارث الأصغر مثلما كان لقبُ الوّهاب[5] للحارث بن أبي شمِر.

* * *

(١) أخذت رواية هذا البيت من الديوان (طبعة صادر)، ص٢٧ وفي (الخَنْبَط) اختلاف في الرواية أثبت على حاشية الديوان. ونجد بعض التشابه بين اسماء الأماكن في ديوان حاتم وديوان امرىء القيس. وورد في ديوان امرىء القيس (الحنّت) انظر الديوان (تحقيق أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٧٨، ٣٩٦.

(٢) الرّهو: السير السهل. ويُغرّزن: يطْمَئن.

(٣) المُسْبَطِرّ: الطريق الممتدّ المستقيم. والكِعاب: جمع الكعب، وهو العظم الذي يلعب به الأولاد، ويسمى إلى اليوم بهذا الاسم.

(٤) انظر شرح ديوان لبيد بن ربيعة (تحقيق إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م)، ص ٥٥، ٢٧٥.

(٥) انظر ديوان علقمة الفحل (تحقيق لطفي الصقّال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي حلب، ١٩٧٠). ص ٣٩.

ومما يلفت في هذه القصائد إباء حاتم وشعوره بالعزّة: فهو لم يعتذر اعتذار النابغة حين أوهن ذبيان وأوهاها، وتحدث عنها كأنه ليس منها، أو كأنه غسانيًا أكثر منه ذبيانيا. فحاتم لا يرهب الخزاة وحوله قومه الثُّعَلِيّون كأنهم اللّيوث[1]، وقومه نشاوى «لَهُمْ من كلّ سائمةٍ جَزَر»[2] وَوَهْمُ بن عمرو - وهو أحد الأسرى الأشراف جلد جرىء بعيد الغارة. وهو - أي حاتم - إذا جاء إلى الحارث لإطلاق سراح الأسرى، فانه يجيء «كريما لا ضعيفاً ولا حَصِرْ»[3].

وبستوقف أيضاً ذلك التّصافي الذي تمّ بين الحارث وحاتم، واستعداد حاتم لتلبية دعوة الحارث، هو وأصحابه، إذا دعاهم.

وكأني بحاتم قد دعا الحارث الى زيارة ديار طيّء، فوصف له الطريق.

* * *

وقد ودِدْت أن أرى في هذه المناسبة شعراً لزيد الخيل الطائي، فارس طيّء وشاعرها ولكن يبدو أن الشعراء الفرسان يَصْدُرون عن منهل واحد، فتراهم يُجْبِلون عند الهزيمة وينقدحُ زَنْدُهم عند النصر.

---

(١) الديوان (تحقيق عادل سليمان جمال)، ص١٩٦.

(٢) نفسه، ص ١٨٩.

(٣) نفسه، ص ١٩٠. والقافية مقيّدة.

(٦)
بين غسّان وضبّة
أ – اشارة في شعر الفرزدق

للفرزدق خؤولة في بني ضَبّة جعلته يفخر ببعض أيامهم في الجاهلية، في نقائضه مع جرير.

وفي بعض ما قاله صلة بأيام ضَبّة مع غسّان، قال:(١)

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمُهُ أعزُّ وأطْوَلُ

....

إنّ ابنَ ضَبّة كان خيراً والداً ... وأتمُّ في حَسَبِ الكرامِ وأفْضَلُ
وَهُمُ على ابنِ مُزَيْقِياءَ تنازلوا ... والخيلُ بينَ عَجاجَتَيْها القَسْطَلُ
ومحرِّقًا صَفَدُوا إليه يمينه ... بصِفادِ مُقْتَسِرٍ أخوهُ مكبَّلُ
مَلِكَانِ يومَ بُزاخةٍ قَتَلُوهُما ... وكلاهُما تاجٌ عليهِ مكلَّلُ
يا ابنَ المراغةِ أينَ خالُكَ إنني ... خالي حُبَيْشٌ ذو الفَعالِ الأفْضَلُ
خالي الذي غَصَبَ المُلوكَ نُفوسَهُمْ ... وإليه كانَ حِباءُ جَفْنَةَ يُنْقَلُ

وقد شرح أبو عبيدة هذه الأبيات، فذكر يومين لِضَبّة على غسان: بُزاخة، وإضَم، وأورد شعراً لبعض شعراء ضَبّة في هذين اليومين.

ب – يوم بُزاخـة

قال أبو عُبيدة: «وأما حديث مُحَرِّق وأخيه زياد يوم بُزاخة، فانه أغار محرِّق الغساني وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تَغْلِب وغيرهم، على بني ضَبّة بن أُدّ ببُزاخة،

(١) شرح ديوان الفرزدق (جمع وشرح عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة؟) ٢: ٧١٤–٧١٩.

فاستاقوا النَّعَم. فأتى الصريخ بني ضَبّة، فركبوا فأدركوه، واقتتلوا قتالاً شديداً. ثم إن زَيْد الفَوارس حَمَل على مُحَرِّق، فاعتنقه وأسره، وأسروا أخاه أسره حُبَيْش بن دُلَف السِّيْدِيّ، فقتلهما بنو ضَبَّة (وكان يقال لأخي محرِّق فارس مَرْدُود)، وهُزِم القوم، وأُصيب منهم ناس كثير». [(١)]

وتذهب بي الظّنون مذهبها في نسبة اليوم إلى مُحرِّق الغَسّاني؛ فلقب مُحَرِّق قد لحق باثنين – أو أكثر من العرب – أشهرهما مُحَرِّق من المناذرة، وهو عمرو بن هند لفعلته الشنعاء بتميم حين حرّق مائة منهم أحياء، وهو خَبَرٌ شائع شَرُود. وثانيهما مُحَرِّق من غسان وهو الحارث بن عمرو بن عامر من متقدّمي امراء غسان، لحرقة الحيرة.

وليس هذا مبعثَ الظّن، وإنما مبعثه اشتراك تغلب وإيادِ محرِّق الغساني في الغارة على ضَبّة. وهذا بعيد، فعلاقة إياد وتغلب بالمناذرة أُدْخَلُ من علاقتهما بغسان، لقرب الديار، وأخبارهما مع المناذرة كثيرة.

ولعلّ المناسبة الوحيدة التي التقت فيها غسان بتغلب، تلك المناسبة التي أورثت بينهما عداء، والتي جاء خبرها عند ابن الاثير، وهو خبر رواه أبو عبيدة، رواية يوم بُزاخة نفسه.

قال ابن الاثير: قال أبو عبيدة: إن بكرا وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي اصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مُرة بن هُمام فغزا بهم المُنذر بني آكل المُرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند، وقال: اغُز أخوالك فغزاهم، فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرُار، وأسروا، وجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب ولحقت بالشام....

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام وهو الحارث بن أبي شَمر الغساني، فمرّ بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم التغلبي، فلقيه فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يَعلموْا بمرورك، فقال: لئن رجعت

---

(١) النقائض، ١: ١٩٥. وانظر الخبر في: الممتع في علم الشعر وعمله، عبد الكريم النهشلي القيرواني (تحقيق منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، ١٩٧٨) ص ١٥١.

لاغزونّهم غزوة تتركهم أيقاظا لقدومي! فقال عمرو: ما استيقظ قوم إلا نُبل رأيهم وعزّت جماعتُهم، فلا توقظن نائمهم. فقال كأنك تتوعّدني بهم، أما والله لتعلمنَ إذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم أن ايقاظ قومك سينامون نومة لا حُلم فيها، تجتث أصولهم، وتنفي فلّهم إلى اليابس الجَدَد والنازح الثمد!(١)

ثم رجع عمرو بن كُلْثوم عنه وجمع قومه، وقال:

ألا فاعلَمْ أبيتَ اللّعْنَ أنا ... أبيتَ اللّعنَ نأبى ما تُريدُ
تَعَلَّمْ أنَّ مَحْمَلَنا ثَقيلٌ ... وأنَّ دَبارَ كَبَّتِنا شَديدُ(٢)
وأنا ليسَ حيٌّ من مَعَدٍّ ... يُقاوِمُنا إذا لُبِسَ الحَديدُ

فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب، فاقتتلوا واشتدّ القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان، وقتل أخو الحارث في عدد كثير، فقال عمرو بن كُلْثوم:

هلّا عَطَفْتَ على أخيكَ إذا دَعا ... بالثُّكْلِ وَيْلَ أبيكَ يا ابنَ أبي شِمَرْ
فَذُقِ الذي جَشَّمْتَ نَفْسَكَ واعترف ... فيها أخاكَ وعامِرَ بن أبي حُجُر(٣)

* * *

فأن يكون هذا اليوم مع عمرو بن هند أرجح.

ولا يظهر من قصيدة إياس بن القائف أنّ محرّقاً قُتِل في ذلك اليوم، وقد تحدّث فيها ابن القائف عن إقبال جيش مُحَرِّق، فتلقّاه فوارس ضبة، ومنهم زهد الخيل بن حصين بن ضِرار الضّبّي وابنا مُنْذِر، وسَمَوْا له بالطعن، فرماه زهد الخيل بغُرّة فرسه (كامل)، وكأنه ليثٌ ضارٍ بكفيّه المنية:

---

(١) الفَلّ: المنهزمون (يقال للواحد والجمع). والجَدَد: المكان المستوي. والنازح الثمد: المكان ذو الآبار بعيدة القاع قليلة الماء شأن آبار الصحراء.

(٢) الدَّبار: الهلاك. والكبّة: الدفعة من الرجال في القتال.

(٣) الكامل في التاريخ، ١: ٣٢٥.

قال :[1]

نِعْمَ الفَوارسُ يومَ جيشِ مُحَرِّقٍ ... لَحِقُوا وَهُمْ يَدْعُونَني لَضِرارِ
زَيْدُ الفَوارِسِ كَرَّ وآبنا مُنْذِرٍ ... والخَيْلَ أوجَفَها بنو جَبّارِ[2]
حتى سَمَوْا لمُحَرِّقٍ برِماحِهِمْ ... بالطَّعْنِ بينَ كتائبٍ وغُبارِ
يَرْمي بِغُرَّةِ كاملٍ وبنَحْرِهِ ... خَطَرَ النُّفوسِ وأيِّ حينِ خِطارِ
وكَأَنَّ زيداً زيدَ آلِ ضِرارِ ... لَيْثٌ بكَفَّيهِ المنيَّةُ ضارِ

وانجلت المعركة عن قتلى من جيش محرّق تُحطّ عليهم عافياتُ الطّير، وعن رماح تكسّرت قناها :

جَعَلُوا لِعافي الطَّيْرِ مِنْهُمْ وَقْعَةً ... صَرْعَى تَضَوَّرُ في قِنا أَكْسارِ

ولا نجدُ ذِكْراً في قصيدة ابن القائف لفارس مَرْدُودٍ الذي ذكر ابن الكلبي[3] وابن الأنباري[4] أنه رجل من غسان، واستشهدا بقول ربيعة بن مَقْروم الضّبي[5]

وفارِسَ مَرْدُودٍ أشاطَتْ رماحنا ... وأَجْزَرْنَ مَسْعوداً ضِباعاً وأَذْؤُبا[6]

ج - يوم إضَم

يبدو أن في شمال الجزيرة أكثر من مكان كان يسمّى إضما[7] وأقرب تحديد لما نحن فيه ما ورد في قول سلامة بن جَنْدَلٍ التميمي - وبين تميم وضبّة اختلاط - حيث حدّد إضَماً «بين الدَّكادِكِ من قَوٍّ فَمَعْصُوبِ»[8]، وَقَوٌّ في الجِناب، الجَهْراء اليوم، كما ذكرنا من قبل.

---

(١) النقائض، ١ : ١٩٥.
(٢) أوجف الخيل : حثّها على الجري.
(٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها (تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م)، ص ٩٩.
(٤) شرح المفضليات، ص ٧٤٠. (٥) انظر القصيدة في شرح المفضليات، ص ٧٣٢ - ٧٤٠.
(٦) أشاط : أهلك. وأجرز : أطعم. (٧) أنظر معجم البلدان، مادة إضم.
(٨) من مطلع قصيدته :

يا دارَ أسماءَ بالعلياءِ من إضمٍ ... بين الدكادكِ من قوٍّ فمعصوبِ

أنظر ديوانه (تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨)، ص ٢٢٣.

ومن خبر ذلك اليوم أن عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر «أقبل حتى أغار على بني ضَبَّة فأصاب بني عائذةَ بنِ مالك بن سعد بن ضَبَّة، وقد كانوا أوقدوا مع جِرْوة وشَقْرة ابني ربيعة بن ثَعْلَبة بن سعد بن ضَبّة ناراً للحرب، فقال الملك: ما هذه النار التي تُدخّن علينا؟ قالوا: هذه شَقْرة وجروة قد أوقدوا ناراً للحرب! قال: احملوا عليهم. فحملوا عليهم فأبادوا يومئذ بني عائذة». [1]

ويَذكر أنّ ضَبّة أسرت عمرو بن الحارث بن أبي شَمِر، أسره حُبَيْش بن دُلِف الضبّي، فجزّ ناصيته، ومنّ عليه، واشترط عليه جُعْلاً يؤديه في كل سنة إليه. [2]

ويقال: «جاء رجل من بني قيس بن عائذة يُدْعى عامر بن ضامر فقال: والله لأطعَنَنَّ اليوم طعنةً كَمَنْخِرَ الثّور النَّعِر [3]، فطعن ابنَ مُزَيْقِياء وقتله وانهزم أصحابه هزيمة قبيحة، فقال ربيعة بن مَقْروم:

وآلُ مُزَيْقِيـاءَ وقـد تَداعَتْ ... خَلائِبُهُـمْ لنـا حتـى قَرِينـا
صَبَرْنا بالسّيوفِ لَهُمْ وكـانت ... مَعاقِلُنـا بِهِـنَّ إذا عَصِينـا

وقالت نائحته:

لَعمْري لقد غادَرْتُمُ يوم رُحْتُمُ ... على إضَمٍ منكم عَقِيرةَ عامرِ
لقد خطَّطَ الأنواءَ طَعْنَةُ عامِرٍ ... ألا يا قتيلا ما قتيلُ ابنِ ضامرِ» [4]

* * *

---

(١) النقائض، ١: ١٩٥–١٩٦.

(٢) الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤)، ١: ١٧٠ و ٢: ٥٢٦.

(٣) الثور النَّعِر: الثور الذي دخلت في مَنْخِرِه النَّعَرة، وهي ذبابة زرقاء تسقط على الدواب فتؤذيها، وتدخل في أنوفها فتهيجها.

(٤) النقائض، ١: ١٩٦.

وليس في الشعر ما يدلّ على اسم الأمير الغساني الذي أسرو حُبَيْش ولا اسم الغساني الذي قتلته ضَبّة أو قتله عامر بن ضامر.

ويُستبعد كثيرا أن يكون حُبَيْش أسر عمرو بن الحارث الأصغر ممدوح النابغة الذبياني، لأنّ مثل هذا الأسر ما كان ليمرَّ من غير أن يكون له صدى في الشعر الجاهلي.

وربيعة بن مَقْروم الذي استشهد به أبو عبيدة عن يومي بُزاخَة وإضم شاعر مخضرم «عاش في الإسلام دهراً وشهد القادسية»[١]، وله في القادسية شعر[٢]. ويغلب عليّ الظّن أن الأبيات التي استشهد بها أبو عبيدة عن يوم إضم «وآل مُزَيقْياء وقد تداعت» إسلامية، وأنه قالها في فتح الشام. بل لماذا أجعلها في فتح الشام، فالمناذرة أيضا من آل مُزَيْقياء عمرو بن عامر الأزديّ؟[٣]

* * *

ولعلّ أظهر ما يلفت من دراسة أيام غسان مع الأحاليف في الشعر الجاهلي أن صورة التحالف الحقيقي بين أسد وذبيان وطيّىء وضبّة لم يظهر في الشعر، حيث ظلّ شعراء هذه القبائل يتحدثون عن قبيلتهم، ولا يوردون التحالف. ولا أكاد أستثني الا ما ورد عن النابغة الذبياني، حيث رأينا فيه حلف ذبيان وأسد.

* * *

---

(١) ديوان المفضليات (شرح ابن الأنباري)، ١: ٧٣١.

(٢) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء (تحقيق دي جويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٢)، ص ١٨٠.

(٣) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ١: ١٤٠-١٤٦.

المصـادر والمراجع

- ابن الأثير علي بن أبي الكرم:
الكامل في التاريخ، الطباعة النيرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- الأصبهاني، حمزة بن الحسن:
تاريخ سني ملوك الارض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟
- الإصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي:
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبد العال الحيني، وزارة الثقافة والارشاد القومي القاهرة، ١٩٦٩م.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
الأغاني، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩ م.
- الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى:
أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١ م
- امرؤ القيس:
ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل:
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨م.
- ثعلب، أحمد بن يحيى:
مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر :
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٢م.

- جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد، ١٩٧٦م.

- حاتم الطائي :
ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ؟.
ديوان شعر حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، ؟
ديوان حاتم الطائي، تحقيق علي العتوم، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م (مخطوط).

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية :
المحبّر، تحقيق ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢م.

- حسان بن ثابت :
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد ارحمن البرقوقي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟.
ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.

- الحلّي، أبو البقاء هبة الله :
المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق صالح درادكه ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة الجديدة، عمان، ١٩٨٤م.

- حمد الجاسر :
شمال غرب الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٠م.

- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي :
صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ؟

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد :
تاريخ ابن خلدون، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١م.

- الزبير بن بكار :
الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢ م.

- زهير بب أبي سلمى :
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤ م.

- زيد الخيل الطائي :
ديوان زيد الخيل الطائي، صنعة نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان.

- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى :
نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

- سلامة بن جندل :
ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٦٨م.

- الشلبي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله :
آكام المرجان في أحكام الجان، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.

- ابن الشجري، هبة الله بن عبد الله :
مختارات شعراء العرب، تحقيق علي محمد بجّاوي، مكتبة دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٥ م.

- ابن شدّاد، عز الدين أبو محمد محمد بن علي بن ابراهيم الجلبي :
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م.

- الشمشاطي، علي بن محمد بن المطهر العدوى :
الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق السيد محمد يوسف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٧ م.

- ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه :
العقد الفريد، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٣٥ م.
- عبيد بن الأبرص :
ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى :
نقائض جرير والفرزدق، تحقيق بيفار، بريل، ليدن، ١٩٠٧م.
- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله :
المصون في الأدب، دار الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢م.
- عمرو بن شأس الأسدي :
شعر عمرو بن شأس الأسدي، صنعة يحيى الجبوري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦م.
- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل:
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، ؟
- الفرزدق :
شرح ديوان الفرزدق، جمع وشرح عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية، القاهرة، ؟
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب :
القاموس المحيط، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم:
ذيل الأمالي والنوادر، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧٣ هـ.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:
الشعر والشعراء، تحقيق دي جوية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٢ م.
القلقشندي، أبو العباس أحمد:
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب:
أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥م.
جمهرة النسب، تحقيق محمد فردوس العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، ؟.

لبيد بن ربيعة:
شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق احسان عباس، الكويت، ١٩٦٢م.

المرتضى، علي بن الحسين الموسوي:
أمالي المرتضي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧م.

المسعودي، علي بن الحسين:
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٨م.

- المفضل الضبّي:
المفضليات، شرح ابن الانباري، تحقيق كارلوس لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
المفضليات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرّم:
لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٥٦م.

- النابغة الذبياني:
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.
ديوان النابغة الذبياني، جمع محمد بن عاشور، الشركة التونسية، تونس ١٩٧٨م.
ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٧م.

- نبيه عاقل :
تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٥م.
- النهشلي ، عبد الكريم النهشلي القيرواني :
الممتع في علم الشعر وعمله ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٧٨م :
شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي :
معجم البلدان ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٧م.
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب :
تاريخ اليعقوبي ، دار العراق ، بيروت ، ١٩٥٥م

- Doughty, charles M., Travels in Arabia Deserta, Jonathan cape, London 1927.
- Hitti philip, History of Syria, Macmillan & co L T D, London, 1935.
- Huart, Cl., Histoire des Arabes, Libraire Paul Geuthner Paris, 1912.

نولدكه ، ثيودور ، أمراء غسان ، ترجمة بندلي خوري وقسطنطين زريق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣م.

- O Leary, Arabia Before Mohammad, Kegan Paul, London, 1927.

تدريس اللغة العربية لأغراض أكاديمية في ضوء الدراسات الأسلوبية الحديثة

للدكتور مفيق حسن دوشق
جامعة اليرموك

١ - مقدمـــة

أهتمت الدراسات الأسلوبية، قديمها وحديثها، بالتركيز على دراسة الأساليب الأدبية، كدراسة أسلوب الفرد، كاتبا كان أو شاعراً أو دراسة مجموعة الأساليب التي تشكل مدرسة أدبية أو شعرية، أو دراسة الحركات الأدبية بشكل عام، الا أن اللغويين في ضوء التقدم والتشعب في مختلف العلوم اللسانية، أضافوا الى الدراسات الأسلوبية الحديثة سمة أعم وأشمل من ذي قبل، فقد اهتم الباحثون في مجال الأسلوبية الحديثة بالتركيز على تنوعات اللغة المختلفة، الأدبية والعلمية والقانونية وغيرها. وأصبح من أهم أهداف التحليل السياقي (النصّي) دراسة أفضل الطرق الكتابية التي يمكن أن يتبعها الكاتب لاحداث انجع أثر في السامع أو القارىء.(١)

أمّا فيما يتعلق بالدراسات الأسلوبية العربية، فغني عن القول انها قد قطعت شوطا بعيدا فيما تقدمه للدراسات الأدبية والنقد الأدبي، فقد حظي الأدب العربي، شعره ونثره، قديمة وحديثة، بكثير من التحليل والدراسة. الا أن الدراسات الأسلوبية، بمعناها الحديث الشامل، تكاد تكون معدومة وخاصة تلك المتعلقة باللغة العربية لأغراض أكاديمية، فلم تحظ اللغة العربية المستعملة في مجالات العلوم والطب وغيرها بأهتمام الأسلوبيين العرب وأدى تركيزهم على دراسة الأنماط الأسلوبية الأدبية الى اهمال الأنماط الأسلوبية الأخرى، مما أدى بالتالي الى الاهتمام بتدريس تلك الأنماط الأدبية دون غيرها،

وكأن الهدف من تدريس اللغة العربية هو تخريج الأدباء والشعراء والنقاد(٢)، وكان لذلك الاتجاه وما زال، آثار سلبية في تطور اللغة العربية التي يطمح أهلها في أن تصبح لغة العلم والتكنولوجيا ولغة التدريس والكتابة في الجامعات والمعاهد العليا.

٢ - أهداف الدراسة:

بينا في دراسة سابقة(٣)، في معرض ردنا على اتهامات بعض المغرضين للغة العربية بأنها قاصرة، لا تصلح لغة علم وتدريس في المعاهد العليا والجامعات، أن هذه اللغة تملك من الخصائص والمؤهلات ما يجعلها أداة ناجحة في التعبير الناجح عن جميع الوظائف اللغوية التي يمكن أن تعبر بها أية لغة «علمية» أخرى وأكدنا في تلك الدراسة أن القصور يكمن في القائمين على شأن هذه اللغة، وأوصينا بأن تقوم دراسات جادة للتعرف على مشاكل دراسة اللغة العربية وتدريسها، ونأمل أن تكون هذه الدراسة محاولة متواضعة لابراز أهم المشكلات التي يواجهها الطلبة في الجامعات والمعاهد العليا عند الكتابة باللغة العربية لأغراض أكاديمية. وسنحاول في الدراسة الحالية ابراز نقاط الضعف المهمة في مقالات الطلاب وبحوثهم، محللين أسبابها، ومن ثم سنحاول اقتراح بعض التوصيات التي نرى أنها ذات أهمية في هذا المجال.

٣ - المشكلة وطريقة البحث:

اقتصرت معظم الدراسات والابحاث في مجال تعليم الكتابة باللغة العربية على مستوى المفردات والجمل، وتركز تحليل أخطاء الطلاب في الغالب، على هذين المستوين، الا أن الدراسات الحديثة وملاحظات الباحثين في مجال الكتابة لأغراض أكاديمية أثبتت أن اتخاذ الجملة وحدة للتحليل لا يكفي، وأن الحكم على مقدرة الطالب الكتابية من هذا المنطلق سيكون غير دقيق. فقد يتقن الطالب قواعد الاملاء والصرف والنحو في اللغة العربية وتكون مقالته أو بحثه، في الوقت نفسه، غير مرض، فالمطلوب اذا هو نظرة أشمل وتحليل أوسع لمظاهر الضعف وأسبابه. والدراسة الحالية تذهب الى أبعد من نطاق الجملة وتتبع اتجاها شموليا في دراسة أخطاء الطلاب وتحليلها، مركزة على الأنماط الأسلوبية لأغراض أكاديمية.

٤ - عينة الدراسة :

اشتملت هذه الدراسة على تفحص الأخطاء الأسلوبية وتحليلها في أكثر من مائة مقالة كتبها طلاب جامعيون في مختلف التخصصات وفي مختلف السنوات الجامعية، وقد طلب الى جميعهم كتابة مقالة بعنوان« التعليم العالي في الأردن وأثره في الوطن والمواطن» وقد طلب اليهم أيضا بيان رأيهم في التعليم العالي في الاردن، ومناقشة مشاكله، واقتراح بعض الحلول للنهوض به.

٥ - التحليل والمناقشة:

يتناول هذا الجزء من الدراسة تحليل أهم مواطن الضعف في كتابة الطلبة، ومناقشة بعض مصادر ذلك الضعف، مبينة القدرة الكامنة التي تتحلى بها اللغة العربية التي يمكنها أن تخدم الكاتب وتسعفه اذا هو اخلص النية وعقد العزم على سبر غور تلك الامكانات اللغوية والبيانية الخصبة، واستعمالها للتعبير عن غاياته الكتابية المختلفة. وما دمنا نؤمن أن أي فصل بين مستويات اللغة المتعددة هو فصل اصطناعي، غير واقعي من وجهة نظر علوم اللغة التطبيقية، فان فصلنا بين تلك المستويات سيكون مؤقتا، لأغراض التحليل والمناقشة فقط. لذلك فاننا سنتناول في هذه الدراسة نشاطا اكاديميا واحدا هو المقالة التعليمية من حيث: التنظيم العام للمقالة، وترابط الافكار ووحدة الموضوع، وبلاغة المعاني والتراكيب وحسن اختيارها، وسلامة التراكيب ودقتها.

٥ • ١ التنظيم العام للمقالة التعليمية:

لاشك أن المقالة الحديثة بأطرها المختلفة لم تكن معروفة لدى كتاب التراث العربي الاسلامي، وخاصة ما يتعلق منها بالتوزيع الى فقر وباستعمال علامات الوقف والتعجب والاستفهام وغيرها، الا ان أسس تلك المقالة أخذت تشق طريقها الى الكتابة العربية منذ بداية القرن التاسع عشر، وأصبحت مألوفة لدى الكتاب العرب، غير أنه يبدو أن هناك بعض اللبس والغموض فيما يتعلق بوظيفة الفقر في المقالة، وفلسفة وجودها وأستعمالها. فالأسلوبيون المعاصرون يقسمون المقالة التعليمية الى مقدمة ومتن وخاتمة، الا أن معظم

المقالات، موضوع هذا البحث، قد خلت من هذا التقسيم وبدأ معظمها، على الرغم من أن كاتبيها ممن هم على ابواب التخرج في الجامعة، تنقصه عناصر الشكل المقبول للمقالة التعليمية، فبعض هذه المقالات كان عبارة عن فقرة واحدة تزيد في عدد سطورها على العشرين وبعضها كان يبدأ بفقرة من سطرين يتبعها بقية المقالة في فقرة واحدة متصلة. أضف الى ذلك أن شكل المقالة من حيث الترتيب والهوامش ووضع العنوان والترقيم قلما كان موفقا، وبدت المقالة رغم أنها كانت واجبا بيتيا، أشبه برسالة شخصية كتبت من غير اكتراث.

أما من حيث المضمون، فلنا الملاحظات التالية مدعمة بأمثلة من مقالات الطلبة:

أولا: خلت معظم المقالات من المقدمة، وكان كثير من الطلبة «يهجم» على الموضوع دون تمهيد مناسب، ومن غير أن يبين ما اعتزم الكتابة عنه. ومن ناحية اخرى، فان كثيرا من المقدمات كانت غير موفقة من حيث المضمون ومن حيث مناسبتها للمقالة بشكل عام. لنتأمل هذه الفقرة التي يجب أن تكون مقدمة لموضوع التعليم العالي في الأردن. (نقلت جميع الأمثلة حرفيا دون تصويب).

«ان الانسان بطبيعته مفطور على حب التعلم والمعرفة فالانسان منذ القدم وهو يبحث ويفكر بما حوله من الطبيعة فعن الشمس تارة وتارة أخرى عن القمر، لكن حب الانسان الشغوف لمعرفة ما يحيط به يشجعه على الحصول على التعلم الذي يوصله لادراك ما هو حوله تماما ومن هذا المنطلق يسعدني أن أبدأ حديثي عن التعليم العالي في الأردن».

ولنتأمل معا الفقرة التالية لطالب في سنته الجامعية الثانية:

«لقد كان من الصعب على الناس أن يأخذوا بفكرة التعليم العالي لفترة زمنية طويلة ولكنها فكرة لا بأس بها اذا ما أخذت فترة اربع أو خمس سنوات كافية لتعليم الفرد بها القراءة والكتابة على سبيل المثال في الاردن كانوا يأخذون بنفس الاعتقاد لفترة وجيزة تقارب الستينات».

المتأمل في هذه المقدمات يدرك انها مقدمات ركيكة، غير مناسبة، فيها تكرار غير ضروري، واختيار غير موفق للمفردات وفوق ذلك، لا يكاد القارىء يفهم منها شيئا أو

يستشف منها ما اعتزم الكاتب أن يقوله في مقالته، ناهيك عن الاهمال الشديد للترقيم، فالفقرة الثانية، على سبيل المثال تبدو كأنها جملة واحدة لخلوها من علامات الترقيم.

ثانيا: عرض الموضوع ومناقشته أو ما يسمى متن المقالة:-

من المفروض أن يتضمن هذا الجزء من المقالة المطلوب كتابتها لاغراض هذه الدراسة، تعريفا بالتعليم العالي في الاردن وأثر ذلك في الفرد والمجتمع، وعرضا لمشاكل هذا القطاع من التعليم، وبعض الاقتراحات للنهوض بهذا النوع من التعليم وتوسيعه، الا ان معظم كاتبي المقالات اكتفوا بوصف حال التعليم العالي في الاردن دون تجشم عناء المناقشة وابداء الرأي فيما يتعلق بمشكلات هذا التعليم ومستقبله.

ثالثا: خاتمة الموضوع: يتضمن هذا الجزء الاخير من المقالة، في الغالب. تلخيصا أو استنتاجا أو كليهما، فيحاول الكاتب اشعار القاريء أنه على وشك انهاء مقالته. الا أن معظم المقالات تحت الدراسة لم تتضمن شيئا من هذا القبيل، فالقاريء لا يشعر بقرب نهاية المقالة الا عندما يرى بياض الورق (المساحة غير المغطاة بالحبر).

٥٠٢. الترابط المنطقي والسياقي: يتمثل الاسلوب المؤثر في التعبير في مقدرة الكاتب على اختيار المفردات والتراكيب المناسبة للموضوع وعلى حسن الربط بين جمله وفقراته المختلفة، ولأهمية هذا المستوى من التعبير فاننا سنوليه بعضا من التفصيل.

٥٠٢٠١. اختيار المفردات: حسن اختيار المفردات بحيث تكون المفردة أوفى مثيلاتها في التعبير عن المعنى بدقة مطلب أساس للتعبير الناجح. ويجب ان تكون المفردات المنتقاة سهلة، ذات وقع حسن على النفس، وان يكون بناؤها قويا، متماسكا سلسا، وقد تناول كثير من كتب التراث هذا الموضوع بالتفصيل.(٤)

لكن لو تفحصنا مقالات الطلبة الجامعيين في ضوء هذه المعطيات، لاستغربنا وجود الكثير من المفردات غير المناسبة، بل ان كثيرا منها كلمات

عادية متداولة أو عامية، لا تنم عن ثقافة عميقة أو مطالعة جادة.
والأمثلة على ما ذهبنا اليه هنا كثيرة نقتطف منها ما يلي:

«بعض الطلاب الذين يحصلون على بعثة يدفعون رسوما مخفضة واحيانا يتعلمون بالمجان والذي لا يحصل على منحة يدفع كمية من النقود، في هذه الجامعات يتعلمون مواضيع مختلفة كالانجليزي والعربي».

«يذهب الطلاب الى الجامعة في سن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ويجب ان يكون لديهم علم بأحد اللغات الاجنبية وحصولهم على التوجيهي أولا».

٥٠٢٠٢٠ التركيب والنص: الترابط المعنوي والمنطقي بين المفردات والجمل وتماسك العبارات، وتلاؤم التراكيب مع ما تؤديه من معنى، من أهم مقومات التعبير الحسن، فحسن اختيار التراكيب، وحسن الربط بينها يؤدي الى وضوح النص وسهولة فهمه من القاريء، ولا نعني هنا بالوضوح السطحية وسرد البدهيات المعروفة، وتجنب العمق والاصالة في الآراء وعرضها(٥)، بل الوضوح المقصود به تجنب الغموض والتعقيد سواء أكان ذلك على مستوى المفردات أم على مستوى التراكيب أم على كلا المستويين.

أما بالنظر الى مقالات الطلبة موضوع هذه الدراسة فقد اتسم كثير منها بعدم الترابط والغموض وعدم التركيز، والمقتطفات التالية توضح ذلك.

«وانه لمن ابرز الدلائل على خطوات بلدنا في مجال التعليم هو النحو التعليمي فكان نقطة انطلاق لدخول العلم الى كل بيت، ان للجامعة اثر كبير في انشاء التعليم، فقد ساهم انشاء التعليم العالي الى درجة الحصول على الماجستير، فكان عدد لا بأس به من خريجي الدراسات العليا في مختلف التخصصات ناهيك عن عدد خريجي درجة البكالوريوس.

«من مقالة طالب في سنته الجامعية الرابعة»

«التعليم في الاردن تقدم الى أن أصبح في مرحلة من التقدم والتعقيد منذ ذلك الوقت».

«من مقالة طالب في سنته الجامعية الثانية»

ما هي ماهية هذا التقدم؟ وما المقصود بالتعقيد هنا؟ وأي وقت» ذلك الوقت؟ «لم يفسر أيا من هذه العبارات في مقالته.

والأمثلة التي سقناها في ١٠٥٠ أعلاه تزخر بمثل هذا النوع من الغموض والابهام، والركاكة فلنتأمل هذه العبارة:

«لقد كان من الصعب على الناس أن يأخذوا بفكرة التعليم العالي لفترة زمنية طويلة ولكنها فكرة لا بأس بها اذا ما أخذت فترة أربع الى خمس سنوات كافية لتعليم الفرد بها القراءة والكتابة».

وبعد، فهل يفهم القاريء من هذه القطعة شيئا؟ هل يوجد أي ترابط فكري او منطقي أو لغوي في هذا النص الذي هو عبارة عن مقدمة الكاتب لمقالته؟ هل تعلم مثل هذا الطالب طوال السنوات الثمانية التي قضاها في المدارس الثانوية وفي الجامعة شيئا يمتّ الى التعبير السليم بصلة؟

والأمثلة على عدم وجود ترابط فكري أو منطقي أو لغوي بين أجزاء الفقرة الواحدة كثيرة، ناهيك عن تلك التي تبين مدى تفكك الموضوع أو النص كله وعدم ترابط جملة وفقرة، علاوة على عدم ترابط افكاره، وافتقارها الى المناقشة المنطقية المتسلسلة.

٥٠٢٠٣٠ العرض والتأثير: من أهم ركائز الأسلوبية الحديثة التركيز على كيفية التواصل الناجح الفعال، فالكاتب الناجح هو الذي يعرف كيف يعرض موضوعه بلباقة واقناع وتأثير في القاريء من غير أن يؤرقه أو يضيع وقته، ألم ير السلف الصالح من البلغاء العرب أن البلاغة «هي أن يبلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب باصابة مواقع الإقناع من العقل والتأثير في القلب»(٦). وفوق

ذلك كله، فمن أسرار البلاغة الاحتراز من التكرار الممل والايجاز المخل، وبكلمات اخرى، فالمهم هو إعطاء الموضوع حقه من العرض والمناقشة دون زيادة أو نقصان.

إلا أنه يبدو أن هذه الميزة الأسلوبية المهمة مغفلة، الى حد كبير، في مقالات طلبتنا، فكثير من هذه المقالات بدت كأنها برقيات. فجملها قصيرة متلاحقة ولكنها غير مترابطة، وسبب ذلك يعود في كثير من الأحيان إلى عدم استعمال الروابط اللغوية والمنطقية، وفي غالبية الأحيان التي استعملت فيها تلك الروابط، سيطرت «الواو» أداة رابطة دون غيرها، على الرغم من أن اللغة العربية غنية بمثل تلك الأدوات، والأفعال وأشباه الجمل، التي تضفي على النص ترابطه وانسيابه، كما سنبين في ٠٢٠٣٠٥، من الدراسة.

ومن الأمثلة الكثيرة على الايجاز غير المؤثر نكتفي بالمثال التالي:

«الاردن بلد نام، ومع ذلك فاننا نلاحظ بأن سياسة الدولة التربوية التركيز على التعليم العالي، في الاردن ثلاث جامعات اضافة لكليات المجتمع، كما أن اعداد الطلاب في ازدياد، ان تركيز الحكومة يتعدى التعليم الاكاديمي .... تركز برامج التربية في الاردن على الاهتمام بميول التلاميذ لتلبية حاجيات المجتمع المحلي والدول المجاورة».

هذا هو كل ما كتبه أحد الطلاب عن التعليم العالي في الاردن واثره في الوطن والمواطن ومشكلاته وطرق حلها.

من ناحية اخرى، اتصفت بعض المقالات بالتكرار والاسهاب غير المفيدين لأنهما لا يضيفان أية معلومات جديدة أو أي جمال بلاغي أو أسلوبي على المقالة، ومثال ذلك: بدأ أحد الطلبة مقالته قائلا:

«التعليم العالي هو متابعة في الجامعات والمعاهد الاردنية

الاكاديمية والمهنية للمساعدة في تطوير المجتمع المحلي ورفده بالكوادر التعليمية المتخصصة في جميع المجالات».

ويستطرد قائلا في الفقرة التي تلي هذه المقدمة:

«ان الجامعات الاردنية هي صورة واضحة للتعليم وللتركيب التعليمي المتنوع في المجالات الاكاديمية والعلمية، والمهنية التي تستطيع ان تساعد على نشأت اجيال جديدة قادرة على التحسن والتطور والنهوض».

٥.٣.٠ اللغة وسلامة التراكيب: لا شك ان الكتابة المؤثرة الواضحة تعتمد على توافر عدد من المهارات لدى الكاتب منها: معرفة قواعد اللغة صرفا ونحوا، ومعرفة الأنماط البلاغية البيانية لتلك اللغة، والقدرة على تحليل المعلومات وتصنيفها، وفوق ذلك، الاحساس العام بما يناسب الموضوع من هذه العوامل مجتمعة، وقد بينا في مقدمة هذه الدراسة، أن معالجة الاخطاء الصرفية والنحوية البحتة ليست من اهدافنا هنا، على الرغم من إيماننا بأهميتها في الكتابة الصحيحة البعيدة عن اللحن والاخطاء الشائعة، الا أننا سنتناول هذا المستوى- ونعني المستوى التركيبي- من منظور علم النحو الوظيفي.

لا شك أن لكل تعبير في اللغة وظيفة يؤديها وأن أي اختلاف في التعبير على أي مستوى أكان مستوى لفظياً أم متعلقاً بالتأخير والتقديم في أجزائه أو بالحذف أو بالزيادة، سيؤدي بطبيعة الحال، الى تعديل أو تغيير في وظيفته. ودرجة احاطة الطالب بالعلاقة الوثيقة بين التعبير والوظيفة لها أكبر الاثر في أسلوبه الكتابي أو الخطابي. ولعلم النحو الوظيفي وعلم المعاني يعود الفضل فيما ينادي به العاملون في ميدان علوم اللغة التطبيقية وتعليم اللغات من تركيز على الوظيفة التواصلية للغة، فائتلاف الألفاظ ووضعها في الجملة بالشكل المناسب يفرضه على الكاتب المعنى المراد نقله والأثر المراد احداثه في القاريء أو السامع، وهذا أمر ليس جديدا على التراث العربي، الا انه، وللأسف الشديد، لم يعمل به، فهذا عبد القاهر الجرجاني يقول:

«وأعلم أن ليس النظام الا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو . . » [٧].

فعلم معاني النحو أو ما يسمى حديثا «النحو الوظيفي» يأخذ بعين الاعتبار مدى تطابق التعبير مع المعنى المراد ايصاله، فقد نجد في العربية عددا من التراكيب لا يعدو اعرابها النحوي المبتدأ أو الخبر، من مثل قولنا: زيد كريم، الكريم زيد، زيد هو الكريم، فاذا ما اكتفينا بهذا الاعراب بدت هذه العبارات جميعا على قدم المساواة، في حين أنها تختلف في مدلولاتها المعنوية اختلافا كبيرا. [٨].

أمّا فيما يتعلق بمقالات الطلاب فسنركز على موطني ضعف لهما علاقة بالنحو هما الاحالية (الضمير العائد) وأدوات الربط المنطقي (الفكري).

٥٠٣٠١٠ الاحالية: تتمثل أخطاء الطلاب في هذا الباب في نوعين مهمين هما: خطأ استعمال الضمير العائد أو غموضه من ناحية، وعدم ادراك الوظيفة الأسلوبية للضمائر أو أسماء الاشارة أو الاسم الموصول من ناحية ثانية، والأمثلة على هذين النموذجين من الاخطاء تكاد لا تخلو منها مقالة واحدة من المقالات موضوع هذه الدراسة:

«على الرغم من ذلك فلا يزال طلاب الثانوية يواجهون المشكلات في طريق اكمال دراستهم وذلك بسبب محدودية اعداد الطلاب التي تستطيع الجامعات تدريسهم، تقبل الجامعات الاردنية الطلاب حسب علاماتهم في التوجيهي ويؤخذ بعين الاعتبار بعض الاعتبار في حالات خاصة تؤهلهم للحصول على درجة البكالوريوس».

هذا المثال يبين عدم وضوح استعمال الضمائر العائدة، كما يبين أن الطالب لجأ الى عائد لاسم متقدم عليه كثيرا في الجملة، ويفصل بينه وبين الضمير جملة أخرى، وكان الأولى بالطالب أن يضعها بين فارزتين ليوضح أنها جملة معترضة، مما يسهل على القاريء فهم علاقة الضمير العائد بالاسم الذي يعود عليه.

وهذه أمثلة أخرى تبين التكرار غير الضروري للأسماء والضمائر والاستعمال الخاطيء للضمائر.

«فان عدد المتعلمين ازداد وعدد الاخصائيين والتربويين تزايد عددهم عن الوظائف المتوفرة وما زالت هناك بلدان عربية محتاجة الى معلمين وتربويين لمساعدتهم».

«وأعلى دراسة كان يحصل عليها الطالب هو الثانوية العامة».

«في الوقت الحالي نجد ن معاهد العلم والمدارس ذات التعليم العالي أصبحت في وضع جيد..».

٥٠٣٠٢. الروابط الأسلوبية والمنطقية: هناك أنماط مختلفة وأشكال عدة للروابط الأسلوبية والمنطقية في اللغة العربية تتراوح بين الأدوات البسيطة مثل: الواو، والفاء، وكي، ولكي، ولأن، وشبه الجملة مثل: بالاضافة الى ذلك، ومع ذلك وبذلك، ورغم ذلك.... الخ فاللغة العربية غنية بالصيغ التي تبين العلاقات المنطقية بين الجمل والفقر في النص، ومن أهم تلك الصيغ على سبيل المثال لا الحصر:

- صيغ تبين علاقات السبب والمسبب / السبب والنتيجة أو الاثر، مثل لأن، بسبب أن، والسبب في... ونتيجة ذلك، وبناء عليه... الخ.
- صيغ تبين علاقة التضاد والمقابلة والاستدراك، مثل: لكن، على أية حال، على عكس ذلك، على عكس ما تقدم، ومع ذلك، الا أن، ونقيض ذلك، وبدلا من ذلك، وأفضل من هذا... الخ.
- صيغ تبين علاقة المشابهة والاستطراد، مثل: الواو، وثم وبالاضافة الى ذلك، أضف الى ذلك، ومثل ذلك، وأكثر من ذلك... الخ.

- صيغ تبين علاقة التتابع المنطقي والتسلسل الزمني مثل: أولا وثانيا بعد ذلك، في اثناء ذلك، حينئذ... الخ.
- صيغ تفيد الانتقال من فكرة الى اخرى، مثل: والان، وبعد أن...، أما فيما يتعلق بـ... الخ.
- صيغ تفيد الاستنتاج والتلخيص، مثل: نستنتج من ذلك، وخلاصة ذلك القول، وهكذا، ... الخ.

هذا بالاضافة الى كثير من الأدوات والصيغ التي لا مجال لحصرها في هذه الدراسة، وكل ذلك يوضح غنى اللغة العربية من الناحيتين الأسلوبية والمنطقية، الا أن تفحصنا لمقالات الطلبة أثبت لنا ما يلي:

١. عدم تمكن غالبية الطلبة من تلك الصيغ والروابط المنطقية والأسلوبية، وعدم ادراكهم لوظائفها المختلفة التي أوضحنا بعضا منها، مما جعل كثيرا من جملهم وأفكارهم تبدو غير مترابطة أو غير منطقية، إمّا لعدم وجود تلك الروابط أو لأستعمالها الخاطيء أو حشوها دون مبرر، مثال ذلك:

«ان التعليم العالي في الاردن ليس شاملا لجميع التخصصات التي في الدول المتطورة والمتقدمة ولكن ومع ذلك الا أن له أهمية..»

«ان افضل ما توصلنا اليه هو بناء جامعتين لتخريج الطلاب وتعليمهم ولكن ليس في المستوى المطلوب حيث انه لا يوجد ما يسمى بالدراسات العليا».

٢. المبالغة والمغالاة في استعمال حروف العطف والاستدراك مثل واو العطف، والفاء ولكن، وندرة استعمال سواها من الروابط، ففي احدى المجموعات، على سبيل المثال، اخذت عينة عشوائية مكونة من عشر مقالات واحصيت فيها ادوات الربط وصيغه، فدلت الاحصائية على أن مجموع ما استعمل من روابط في تلك المقالات لم يزد على خمس وأربعين: استعملت «الواو» ثلاثين مرة، واستعملت «لكن» خمس مرات، واستعملت» بالاضافة الى

«مرتين، واستعملت «لأن» مرتين أمّا باقي الروابط فكان استعمالها نادرا ومنها ما لم يستعمل.

٥. ٤. مراعاة الموضوعية في الكتابة الاكاديمية: ليس جديدا أن نقول ان من أهم الأهداف التربوية السلوكية للمدرسة الثانوية والمعاهد العليا التركيز على ابراز أهمية ابداء الرأي بموضوعية وتجرد من غير مبالغة أو ميل عاطفي، سواء أكان ذلك على مستوى الكتابة أم على مستوى الخطابة، الاّ أن معظم المقالات التي تفحصناها لهذه الدراسة ينقصها عنصر الموضوعية في المناقشة وفي التعامل مع الموضوع، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتطف منها ما يلي:

«بالنسبة لوضع التعليم في الاردن جيد جدا فهناك كثير من الطلبة المتعلمين لكن هناك تكون الصدمة عندما لا يجدون وظيفة».

«وأما عن وضع التعليم في الأردن فهو ممتاز لأن نسبة كبيرة من المجتمع هي طلاب».

٦. الخلاصة: الكتابة المؤثرة الواضحة تتطلب توافر عدد من المهارات عند الكاتب، منها معرفة قواعد اللغة صرفا ونحوا، ومعرفة الأنماط البلاغية والبيانية لتلك اللغة والقدرة على تحليل المعلومات وتصنيفها والاحساس العام بما يناسب الموضوع المراد الكتابة فيه.

ولا شك أن عدم اتقان هذه المهارات، وخاصة الأسلوبية منها، سيؤدي الى كتابة نصوص ركيكة السبك، ضعيفة المفردات والتراكيب، غير مترابطة منطقيا وفكريا، ويشوبها كثير من الغموض نتيجة للايجاز المخل أو الاسهاب المفرط. وقد بينا في هذه الدراسة أنماطا متعددة من الأخطاء الكتابية، والأسلوبية منها خاصة، التي يقع فيها الطلبة الجامعيون في التخصصات المختلفة، بما فيها تخصص اللغة العربية وآدابها، الاّ أن هذا

الضعف الاكاديمي، والحق يقال، ليس قصرا على الطلبة العرب، بل أنه اصبح مألوفا في كثير من جامعات العالم المتقدم ولا سيما البريطانية منها. ولكن هناك فرقا واضحا بين ما هو حادث هنا وما هو حادث هناك، فرغم أن ١٠٪، من الطلاب في جامعة جلاسجو Glasgow، على سبيل المثال، يعانون من مشكلات في الكتابة الأكاديمية، فقد ألفت لجنة لتقصي هؤلاء الطلبة ووضع الحلول لها. (٩)، وقد أسست مراكز خاصة لتطوير كتابة الطلبة الاكاديمية، ومن أمثلة ذلك مركز جامعة بريستول وغيرها، ونحن احساساً منا بتفاقم هذه المشكلة، وامتداد خطرها على مستوى المدارس والمعاهد العليا ندرك ان هذه المشكلة يجب أن ينظر اليها بجد، وأن توضع لها حلول جذرية شاملة.

٧. التوصيات: لا شك أن حلا شاملا وجذريا لمشكلات الطلبة في الكتابة الأكاديمية لا يمكن أن يتحقق بين ليلة وضحاها، فالمشكلة عميقة الجذور متشعبة المصادر، والحل الشامل في مثل هذه الحالة يتطلب تصورا شاملا لبرنامج متكامل يشمل جميع المستويات التعليمية وتشارك فيه الجهات الرسمية وغير الرسمية، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وقد يكون من المفيد أن نقسم توصياتنا الى قسمين رئيسين:

الاول: مجموعة العوامل غير اللغوية التي يمكن أن تكون مصدرا ايجابيا من مصادر الكتابة المؤثرة الصحيحة.

الثاني: مجموعة العوامل اللغوية والسلوكية المباشرة التي يجب مراعاتها عند تعليمنا التعبير في مدارسنا ومعاهدنا العليا.

٧٠١٠ العوامل غير اللغوية: وتشمل مجموعة العوامل النفسية والاجتماعية المتعلقة بالفرد والجماعة اللغوية من ناحية والعوامل التربوية والثقافية من ناحية اخرى.

٧٠١٠١٠ العوامل النفسية والاجتماعية: وهي مجموعة الاتجاهات والميول التي يكونها الفرد والمجتمع تجاه تعلم اللغة الأم وتعليمها، وتدخل في ذلك مهارة الكتابة. وهذه العوامل تتضمن نظرة الفرد والمجتمع الى الكتابة السليمة

المؤثرة وأهميتها في تأدية المعنى المقصود، وفي عدّها وسيلة مهمة من وسائل الاتصال الحديثة، ويمكن أن ينضوي تحت هذه العوامل ايضا، قناعة الفرد بأن هناك فرقا واضحا بين الكتابة الجيدة الواضحة، وغيرها من صنوف الكتابة غير الناجحة في مجالات الوظيفة أو المهنة، ومن هنا ينبثق عامل آخر مهم وهو النظرة الجادة التي ينبغي للمؤسسات العامة والخاصة، أن توليها للمستوى الذي يجب ان يكون عليه موظفوها من حيث اتقانهم اللغة العربية بشكل عام، والكتابة الجيدة بشكل خاص.

٧٠١٠٢. العوامل التربوية والثقافية: ويقصد بها مجموعة الأهداف المباشرة وغير المباشرة التي تسعى المؤسسات التربوية والتعليمية في الدولة الى تحقيقها من خلال تعليم اللغة الأم بمهاراتها المختلفة، وخاصة مهارة الكتابة، والممارسات الميدانية التي يتبعها المربون والمعلمون لتحقيق تلك الأهداف، وباختصار شديد، فان هذه العوامل تشمل كل ما يتعلق بالمناهج والخطط الدراسية لمراحل التعليم المختلفة، وأثرها في تكوين الاتجاهات والميول الايجابية المشار اليها آنفا (أنظر ٧٠١٠١. أعلاه).

أما العوامل الثقافية فيمكن تقسيمها الى شقين: احدهما يتعلق بالفرد نفسه، والآخر يتعلق بوسائل الاعلام المختلفة، أما بالنظر للعامل الأول فيتعلق بمدى وعي الفرد أهمية القراءة والمطالعة في شتى العلوم والفنون، وأثر ذلك في اكسابه أنماطا جيدة ومتنوعة من الكتابة باطلاعه على أساليب كتابية مختلفة لنخبة من الكتاب الذين لهم باع طويلة في هذا المضمار.

أما فيما يتعلق بوسائل الاعلام عامة، والصحافة خاصة، فان دورها كبير جداً في توفير فرص الاطلاع على الاساليب الجيدة المؤثرة، وفي زيادة اهتمام الفرد بتحسين أسلوبه الكتابي على مستوى المقالة الأدبية أو العلمية، ولا شك أن هذه الوسائل تستطيع خلق اتجاهات إيجابية نحو الكتابة الجيدة بتركيزها على الأعمال الجيدة المنتقاة، وبمطالبتها بكتابة ذات مستوى عال ممن يريد أن ينشر مقالة أو بحثا أو تقريرا على صفحاتها.

٧٠١٠٣. الكتابة الاكاديمية في المعاهد العليا والجامعات: تدريس الكتابة الأكاديمية

باللغة العربية وعدّها موضوعا مهما في جميع المعاهد والجامعات، أسوة بما هو معمول به في كثير من الدول المتقدمة، يساعد في تطور هذا النوع من الكتابة وفي التخلص من كثير من مواطن الضعف فيها لدى الطلبة. والغريب في الامر هنا، أن الدول المتقدمة تولي اللغات القومية للناطقين بها، ناهيك عن اللغة لغير الناطقين بها، أهمية كبيرة، وتقرر الجامعات هنالك مساقات خاصة لتعليم الكتابة الأكاديمية في شتى الموضوعات، أما جامعاتنا ومعاهدنا فيبدو أنها تفترض أن طلابها لا يعانون من أية مشكلة في التعبير أو الأنشاء لذلك لم تولِ هذه المهارة المهمة اهتماما يذكر، وقد يرجع السبب في ذلك الى اعتماد اللغة الانجليزية، مثلا، لغة للتدريس في جامعاتنا. الا أن هذا لا ينطبق على تدريس جميع المواضيع، ومعروف أن عدم تدريس الكتابة باللغة العربية لأغراض أكاديمية يتنافى مع حركة التعريب والترجمة التي تنادي بها هذه الجامعات والمعاهد، لذلك فان من واجب تلك المؤسسات، وخاصة أقسام اللغة العربية فيها، أن تأخذ زمام المبادرة وتولي الكتابة الأكاديمية باللغة العربية أهمية خاصة.

وخلاصة القول هنا أن مثل هذا التركيز على الجودة في الكتابة من مؤسساتنا المختلفة، وعلى كل المستويات، سوف يخلق لدى الفرد انطباعا ايجابيا نحو الكتابة الجيدة، ويولد لديه دافعا قويا لتحسين مستوى اتقانه لغته وأسلوبه الكتابي.

٢٠٧. العوامل اللغوية الأسلوبية: ان توصياتنا في هذا المجال تنبثق من مجمل الأخطاء اللغوية والأسلوبية التي أبرزنا معظمها في فصول هذه الدراسة، وهذه التوصيات تتناول الممارسات الفعلية لتدريس التعبير على مستوى المقالة التعليمية في المدارس الثانوية والمعاهد العليا ويمكن تلخيص تلك التوصيات فيما يلي:

١. التركيز من خلال درس الانشاء (التعبير) على خلق اتجاهات ايجابية نحو أهمية الكتابة المؤثرة الصحيحة، لا في مجال

الادب والشعر فحسب، بل في مجالات العلوم والهندسة والطب وغيرها. وهذا لا يعني بالطبع اهمال ذوي المواهب الأدبية والميول الشعرية بل يعني تعريف الطالب بأن المواضيع الاخرى يجب أن يعبر عنها بأسلوب مميز جيد.

٢. التركيز على المظهر العام للمقالة التعليمية والتنظيم الخاص بها، من حيث أنها تتكون من مقدمة ومتن وخاتمة، ومن حيث أن تلك الاجزاء تتكون من فقر مترابطة متناسقة.

٣. التركيز على الترابط المنطقي والفكري للمقالة، علاوة على ترابطها الشكلي والتركيبي، وذلك بالاهتمام بأدوات الربط المختلفة.

٤. التركيز على دقة المعلومات الواردة في المقالة وكيفية تصنيفها وتبويبها وتناولها بالمناقشة، وابراز دور المناقشة الموضوعية وأهميتها في المقالة التعليمية.

٥. إبراز دور النحو والاعراب في الكتابة الجيدة الناجحة. ونوصي هنا بابراز الدور الوظيفي للنحو مما يجعل له أهمية خاصة لدى الدارسين، وهذا بدوره يؤدي الى تغيير نظرتهم الى النحو وعدّهم إياه مادة جافة، ليس لها دور مهم في الحياة العامة.

٦. محاولة التيسير، ما أمكن، في تدريس بعض القضايا النحوية والصرفية المعقدة، تيسيرا وظيفيا لأن في ذلك خدمة للهدف العام وهو الكتابة التواصلية المؤثرة، ولا يعني ذلك أن نعمد الى التيسير المزاجي فنعتسفه صنيع سلامة موسى واتباعه.[١٠]

الهوامش

١ . من أهم تلك الاعمال الحديثة في الأسلوبية على سبيل المثال لا الحصر

Halliday and Hasan, **Cohesion in English**, 1976
Crystal etal, **Investigating English Style**, 1969
De Beaugrande et. al, Introduction to Text Linguistics, 1981.

(انظر قائمة المراجع)

٢ . لقد ظهرت حديثا بعض الدراسات العربية المتعلقة بالأسلوبية الحديثة الا انها سارت في الاتجاه التقليدي نفسه وهو التركيز على اللغة الأدبية، أنظر على سبيل المثال :

محمد الطرابلسي : «اطار التطبيق في الأسلوبية العربية»
و «في منهجية الدراسة الأسلوبية» .
عبد الله صوله : «اللسانيات والأسلوبية».

٣ . انظر مقالة مفيق دوشق: «دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي» .

مجلة مجمع اللغة العربية الاردني
العدد ٢٧

٤ . منها على سبيل المثال :
البيان والتبين للجاحظ
واسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز للجرجاني .
والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبن الأثير .
والبلاغة الواضحة لعلي الجارم وجماعته .
والبلاغة العربية في ثوبها الجديد لبكري الشيخ أمين .

٥ . أنظر كتاب على جواد الطاهر وزميليه : التعبير والانشاء ص ٤٤ .

٦ . المرجع نفسه ص٤٦ . وانظر كتاب ماهر هلال : فخر الدين الرازي بلاغيا ص ١٥ .

٧ . انظر دلائل الاعجاز ص ٤٨ .

٨ . أنظر كتاب بكري الشيخ أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد : ص ٥٢ .

٩ . انظر Hobsbaum ص ٧٣ .

١٠. انظر كتاب سلامة موسى : البلاغة العصرية واللغة العربية .

المراجـــع

اولا : المراجع العربية :

ابن دوريل ، عدنان : اللغة والأسلوب ، ١٩٨٠ ، دمشق .

الجارم ، علي ، وجماعته : البلاغة الواضحة ، ١٩٦٠ ، دار المعارف ، القاهرة الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الاعجاز ، ٢٣٨١ هـ ، القاهرة .

الطاهر ، علي جواد وزملاؤه : التعبير والأسلوب ، ١٩٨٠ ، بغداد .

الطرابلسي ، محمد الهادي : «اطار التطبيق في الأسلوبية العربية» في مجلة الموقف الأدبي ١٣٥ / ١٣٦ ، ١٩٨٢ ، دمشق.

في منهجية الدراسة الأسلوبية» في اللسانيات في اللغة العربية عدد ٤ ، ١٩٧٨ ، الجامعة التونسية .

دوشق ، مفيق : «دور اللغات القومية في الدراسات العليا والبحث العلمي» في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٢٧ لعام ١٩٨٥ م .

صبولة ، عبد الله : «اللسانيات والأسلوبية» في الموقف الأدبي ١٣٥ / ١٣٦ ، ١٩٨٢ ، دمشق .

شيخ أمين ، بكري : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، ١٩٧٩ ، دار العلم

فارس ، أحمد محمد ، الكتابة والتعبير ، ١٩٧٦ ، دار الفكر ، بيروت .

فودة ، علي وزميله : المرشد في كتابة الابحاث ، ١٩٧٥ ، دار الفكر .

موسى ، اشرف : الكتابة العربية العلمية والأدبية ، ١٩٧٨ ، مكتبة الخانجي القاهرة .

موسى ، سلامة : البلاغة العصرية واللغة العربية ، ١٩٦٤ ، القاهرة

هلال ، ماهر مهدي : فخر الدين الرازي بلاغيا ، ١٩٧٧ ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

Crystal, D. al: **Investigating English Style,** Longman, London

De Beaugrande, R. et al. **Introduction to Text Linguistics: London, Longman, 1981.**

Halliday, M.A.K. et al. **Cohersion in English,** London Longman 1976.

Hobsbaum, P. "Standards of Written Expression among Undergraduates' , in Williams, R. & Swales, J. **Common Ground: Shared Insterests in ESP and Communication Studies,** Pergamon Press 1984.

تمييزُ الدقيق من الرقيق

للأستاذ صبحي البصام - لندن

يقع التحريف أحياناً على لفظي «الدقيق» و «الرقيق» بأيدي الناسخين والطابعين. وذلك للتشابه بين رسم الدال والراء فيهما، وللتقارب بين معنييهما في بعض المواطن. وقد يفوت ذلك على محققي الكتب والقراء.

١ - معنى الدقيق:

والدقيق هو ما كان فيه طول مع استدارة أو بعض الاستدارة، وبلا غلظ. ومما يوصف بالدقة القصبة والقلم والشعرة والخيط والحبل والوتر والذراع والساق والعنق والخصر والرمح والغصن ونواة التمر وبعض العظام كعظم الساق، وقد يكون الدقيق بمعنى الضئيل دون أن يتّضحُ منه طول أو استدارة، كنقطة الحبر وحبة الخردل والبرغوث. ويُقال هو دقيق العظم كناية على الكِبَر. وتوصف أشياء بالدقة على المجاز، وفيها معنى المدح، نحو دقيق المعنى، ودقيق الذهن، أو فيها معنى الذم كدقيق الخلق، ودقيق النفس. ولي شواهد لما تقدّم جميعاً. ونقيض الدقيق الغليظ. ويُقال للشيءُ دقيق بالإضافة إلى غيره. فساق الانسان دقيقة اذا قيست بساق الفيل، ولكنها غليظة في جنب ساق الظبي.

٢ - معنى الرقيق:

والرقيق ما كان له جانبان متقابلان، ودون ثخن، ومما يوصف بالرقة الورقة والصحيفة والنسيج والجلد والقشر والرغيف والباب والنعل والسيف والسبيبة التي تشُد بها المرأة

شعرها ونحوها، وبعض العظام كمعظم الكتف، والأصل في السوائل أن توصف بالرقة كالحساء، وسيأتي فضل قول فيها (الفقرة ٣). والرقيق: الضعيف، ويُقال هو رقيق العظم كناية عن علوّ السن، لاقترانه بالضعف، وتوصف أشياء بالرقة مجازاً وفيها معنى المدح، نحو رقيق اللسان ورقيق اللفظ، أو فيها معنى الذم، نحو رقيق الدين، ورقيق العقل، وعندي شواهد لما ذكرت جميعاً. وخلاف الرقيق الثخين. ويوصف الشيء بالرقة بالنسبة الى غيره. فلوح القبر وهو رخام أو نحوه إن كان ثخنه إصبعاً فهو رقيق، لأن الأصل فيه أن يكون ثخيناً، ولكنّ نسيج الثوب إن كان ثخنة ثلث إصبع فهو ثخين، لأن الأصل فيه أن يكون رقيقاً.

٣ - التداخل بين الدقيق والرقيق:

وقد يحصل تداخل بين الدقيق والرقيق، وذلك حين يوصف شيء بالدقة ويجوز وصفه مع ذلك بالرقة. ومن النصوص التي جمعت الصفتين ما جاء في تهذيب اللغة (٢ / ٢١٢): «النَمَص: دقة الشعر ورقته حتى تراه كالزغف». والمراد بهذه الرقة الضعف. وما جاء في «الحاوي في الطب» (٣ / ٢١٦) من صفة اللسان بالرقة والدقة. والمراد بهذه الرقة نقيض الثخن، ومن شأنها تسهيل الكلام، ولرقة اللسان معنى مجازي هو لين الكلام وخلوصه من الجفوة. والنظر في سياق الكلام معين على التثبت من معنى صفة اللسان. وقد أحسن التمييز بين دقة اللسان ورقته الأستاذ عبد السلام محمد هارون في تحقيقه البيان والتبيين إذ أخذ بـ «أرقّ» بالراء في قول الجاحظ (١ / ٣٣٤): «وكان اسماعيل بن جعفر من أرقّ الناس لساناً وأحسنهم بياناً» المذكورة في نسختي «ل» و «هـ» دون أدق بالدال التي في سائر النسخ. على أنه يُقال «دق عظمي» و «رقّ عظمي» كناية عن الكبر. وقد نرى نصاً في كتاب يوصف فيه العظم بالدقة، وترى النص نفسه في كتاب آخر يوصف فيه العظم بالرقة. وذلك إما أن يكون أحد اللفظين محرّفاً عن الآخر، وإمّا أن يكونا من روايتين مختلفتين. ويجوز في الأعم الأغلب الأخذ بأي واحد منهما لأن معناهما واحد. ومن شاء التثبت من ذلك فليبحث عن مراجع معتمدة. فمن ذلك قول الربيع بن ضبع الفزاري (أمالي السيد المرتضى ١ / ١٨٤):

بأني قد كبرت ودق عظمي   فلا تشغلكم عني النساء

فوردت فيه «دق» بالدال. والبيت في الأخبار الموفقيات (ص ٣٢٠) وفيه «رق» بالراء. وسيجيء فضل قول في ذلك (الفقرة ٤). وكثيراً ما يستعمل في السوائل الغليظ نقيضاً للرقيق بدلاً من الثخين. وذلك معروف في كتب الطب في وصفهم الخلط والبول والدم والنفث والمدّة، ففي الحاوي في الطب (١٩٨/٨): «ومن سرعة النفث وبطئه ورقته وغلظه». وفيه (٣٥/١٠): «من جودة المدّة بياضها وتوسطها في الغلظ والرقة». وذلك مطرّد في هذا الكتاب بأجزائه الإثني عشر، الاّ موضعاً واحداً وهو قول المؤلف، وهو الرازي، (١١٨/١٢): «مجس المدّة الرقيقة يخالف مجسة المدّة الثخينة». فعدل الى الثخين الذي هو أصل ليكون نقيضاً للرقيق، فمن رأى نحو ذلك فلا يظنّنّ أنه سهو من الناسخ أو الطابع وأن الصواب في الغليظ الثخينُ لتصحّ المقابلة بالرقيق، ولا أن الصواب في الرقيق الدقيقُ لتصحّ المقابلة بالغليظ. فهذا كلام قديم، ورثناه عن المؤلفين، وإن لم يكن من النمط العالي.

٤ - إغفال «دقة العظم» في تهذيب اللغة ولسان العرب:

أغفل الأزهري في التهذيب في مادة (دق) (٢٧٠/٨) «رقة العظم». على أنه قال من بعدُ في مادة «رق» (ص٢٨٦): «ويُقال: رقّت عظام فلان اذا كبر». ثم فعل نحو ذلك إبن منظور في اللسان (مادة: رقّ). وهو في أكثر معجمه ينقل من تهذيب اللغة رأساً أو من معجم نقل منه. فبعد أن نقل منه: «ويقال: رقّت عظام فلان اذا كبر» أضاف اليه «وأرقّ فلان اذا رقت حاله وقلّ ماله. وفي حديث عثمان رضي الله عنه: كبرت سني ورق عظمي؛ أي ضعفت». مع أن دقة العظم كناية عن الكبر أصل، ورقته بالمعنى نفسه فرع. فالإنسان اذا تقدّمت به السنّ أصابت عظمه قحولة لنقصان الدسم منه، فيدق، فيفضي ذلك الى الضعف. وأنا مختار قليلاً من النصوص مما يخص الدقة ليكون دليلاً على إغفال هذين المعجمين الواسعين ما كان جديراً بالذكر. قال قبيصة بن المخارق: «يا رسول الله، رقّ جلدي ودقّ عظمي» (الكامل للمبرد ٣٨٥/١). وفي رسالة للمغيرة بن شعبة: «أما بعدُ، فإني قد كبرت سني، ودقّ عظمي» (تاريخ الطبري ٣٣١/٥). وقال الفرزدق (الديوان ٢١٢/٢ - صادر):

ولم أنتبه حتى أحاطت خطيئتي ... ورائي ودقّت للدهور عظامي

وقال علي بن ربيع (المستطرف ٢ / ٣١):

كبرت ودقّ العظم مني وعقني   بنيّ وزالت عن فراشي العقائد

وانظر «الأوائل» (ق ١ / ٣٤٣)، ومعجم الأدباء (٧/ ٤٩)، ومعاهد التنصيص (٢/ ٢٢٥). وذلك من هذين المعجمين قد يوهم محقق كتاب ما. فلو رأى في مخطوط «دقة» العظم بالدال، ولم يجدها في هذين المعجمين، لجاز أن يظنّ أن «دقة» محرّفة عن «رقة»، وهو خطأ وإن كان قليل الخطر.

٥ - تحريف في لسان العرب:

في «لسان العرب» من طبعة بولاق سنة ١٣٢٧ هـ قول لابن برّي في مادّة «دقق» هذا نصه: «الفرق بين الدقيق والرقيق أنّ الدقيق خلاف الغليظ، والرقيق خلاف الثخين. ولهذا يقال حساء رقيق وحساء ثخين، ولا يقال فيه حساء دقيق. ويُقال سيف دقيق المضرب، ورمح دقيق، كما تقول رمح غليظ وغصن غليظ، وكذلك حبل دقيق وحبل غليظ». قلت: عبارة إبن بري «سيف دقيق المضرب» بالدال في النص فيها نظر. وإنما يوصف مضرب السيف بالرقة، لأن السيف يُقطع من صفيحة معدنية ثم يُرقق مضربه ليحيك في الضريبة، والعبارة مثبتة كذلك في طبعات لسان العرب الأُخر، وكلها أعقبت طبعة بولاق - وأنا أجلّ ابنّ برّي عن أن يعثر مثل هذه العثرة. وظني أنها تحريف من الناسخ أو الطابع، وفي سياق القول بعض الدلالة على التحريف. ويشهد برقة مضرب السيف قول النابغة الذبياني (موسوعة الشعر العربي ٢ / ٢٦١).

فهم يتساقون المنيّة بينهم   بأيديهم بيض رقاق المضاربِ

وقول أبي الهيذام المرّي (أمالي القالي ١ /٢٦٧):

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا   فإنّ بها ما يُدرك الماجد الوترا

وقول ودّاك المازني (العقد الفريد ٥ / ٢٠١):

مقاديم وصّالون في الروع خطوهم   بكل رقيق الشفرتين يماني

وقول عمرو بن برّاقة (أمالي السيد المرتضى ٤ / ١٧٦) :

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا   وتضرب بالبيض الرقاق الجماجمُ

وقول حسان بن ثابت (الديوان ص ٣٦٠) :

أو ليس اللسان مني أمضىٰ   من ظبات المهندات الرقاق

وقول عامر بن الطفيل (الديوان ص ٤٣) :

وأبيضَ يخطف القَصَرات عضبٍ   رقيق الحدّ زينه غمودُ

وانظر قولاً لجرير في ديوانه (٢ / ١٢٢ بيروت) ، وآخر للراعي النميري في ديوانه (ص ١٤٠ - تح. فايبرت) . ومما يستأنس به من أقوال المولدين قول كشاجم : «من ظَبات المهندات الرقاقِ» (الديوان ص ٣٦٠) . وقول المتنبي : «فهو كالماء في الشفار الرقاقِ» (الديوان ٢ / ٦٤١) . وقول ابن فارس : «وسيوف رقاق النواحي» (متخيّر الألفاظ ص ٢٢٢) . وقول الراغب الأصفهاني : «ومنه النواحل للسيوف أي الرقاق الظبات» (معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٦) ، فإن قيل : لعلّ ابن برّي أراد النظر الى السيف من جهة حدّه على نحو يجعله يبدو كخيط دقيق . قلتُ : نظر كهذا يندر وقوعه ، ولا موضع له في نص كلامه .

٦ - تحريف في أدب الكتاب :

وفي «أدب الكتّاب» للصولي المطبوع بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ هـ بتحقيق الشيخ العلامة محمد بهجة الأثري ومراجعة شيخه العلّامة محمود شكري الألوسي ، قال بعض الكتاب في صفة الخطّ الجيّد : «اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ... وتناسب رقيقة وجليلة» . قلت : «رقيقة» بالرّاء محرّفة عن «دقيقة» بالدال . والخط يوصف بالدقة لا الرقة . يشهد لذلك ما جاء في الكتاب نفسه لبعضهم (ص ٦٠) :

يقول وقد كتبتُ دقيق خط   اليه لِمْ تجنبت الجليلا؟

وفي «الحاوي في الطب» (٢ / ٢٣٩) أنّ مما يضرّ بالعين «... الانكباب على

قراءة الخط الدقيق». وإن جاز أن يفوت ذلك على العلامة الأثري، وقد حقق الكتاب في أيام الحداثة، فلا يفوت على شيخه العلامة الألوسي. وذلك يُوقع في ظني أن الغلط مطبعي، وإن كان غير مذكور في موضع تصحيح الغلط في آخر الكتاب.

٧ - تحريف في ديوان النابغة الشيباني:

وفي ديوان النابغة الشيباني المطبوع بدار الكتب المصرية قال النابغة (ص ٣٧) في صفة الأسد:

رقيق الخصر رحب الجوف شثْن كأنّ أخا تواليه عمـــودُ

ورقيق في البيت تحريف دقيق، لأنّ الخصر مما يوصف بالدقة، وهو جزء من جسم فيه طول واستدارة. قال مرقّش الأكبر (ديوان المفضليات ص ٤٧٤):

دقاق الخصور لم تعفّر قرونها لشجو ولم يحضرن حُمّىْ المَزَالفِ

وقال ابن مقبل (كتاب الصناعتين ص ١٢١):

وقد قُدّ منها الخصر حتى وشاحها يجول وقد عمّ الخلاخيل والقُلبا

وقال عمر بن أبي ربيعة (ثمار القلوب ص ٤٠٢):

بخصور تحكي خصور الزنابيـ... ر دقاق عممن للانـتصاف

وربما كان «عممن للانتصاف»- وليس بين يدي ديوانه- تحريف «هممن بالانقصاف». وقال ابن فارس في مجمل اللغة (مادة: خصر): «المخصَّر: الدقيق الخصر».

٨ - تحريف في كتاب الحيوان:

أ - وجاء في أصول كتاب الحيوان (١/٣٥٣) قول الجاحظ: «فكفاك بالخمول دقة ولؤماً وقلة ونذالة»، ولكن الأستاذ عبد السلام محمد هارون حذف «دقة» بالدال وأثبت مكانها «رقة» بالراء. وقال: «في الأصل: دقة» هكذا. وهو سهو منه، فهذا موضع

الدقة بالدال، واستعمال اللؤم والدقة معاً كثير في العربية. كقول النجاشي (البيان والتبيين ٤ / ٣٧):

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهطَ بن مقبلِ

وقول حصين بن الحمام (ديوان المفضليات ص ١١٨):

جزى اللهُ عنا عبد عمرو ملامةً وعُدوان سهم ما أدقّ وألأما

وقول حسان بن ثابت (الديوان ص ٣٢٦):

بنو عمّ دار الذل لؤماً ودقة وأحلام تيسٍ همّم الدار أسقعِ

وقول الفرزدق (الديوان ١ / ٤٢٠):

أتعدل أحساباً لئاماً أدقــة بأحسابنا؟ إني الى الله راجعُ

وقول بعضهم (الاقتضابِ ق ١ / ٥٢):

خالي أبو أنس وخال سراتهم أوسٌ فأيهمـــا أدقّ وألأم؟

وشاء أبو نواس أن يقرن الدقة بالبخل بدلاً من اللؤم فقال (البيان والتبيين ٣ / ٣٥٥):

أرى جعفراً يزداد بخلاً ودقة اذا زاده الرحمن في الرزقِ

ب – وأيضا في كتاب الحيوان (٢ / ٤٧) في نعت كلب الصيد: «ويكون رزين المحزم رقيق الوسط». ولا أجد معنى واضحاً لرقيق الوسط، وأجده محرّفاً عن «دقيق» الوسط. فوسط الكلب جزء مما فيه طول واستدارة، واتساع الصدر ينخرط الى وسط دقيق، أي بطن خميص، ويلي البطن الخصر. ونحو هذا الانخراط معروف في كلاب الصيد. وتقدّم في دقة الخصر ما يزيد الأمر وضوحاً (الفقرة ٧).

وتنبيهاي هذان يخصّان الطبعة الأولى من كتاب الحيوان. ولم أعثر على الطبعة الثانية في خزانة الكتب SOAS التابعة لجامعة لندن، ولا في خزانة الكتب البريطانية، فإن كان المحقق تلافى ذلك فيها، كان تنبيهي نافعاً لمن كان لديه الطبعة الأولى دون غيرها.

٩ - تحريف في البيان والتبيين:

أ - وفي البيان والتبيين (١/ ٨٩) قول للجاحظ في مدح سهل بن هارون: لا يُقضى له بالحكمة قبل الخبرة، وبرقة الذهن قبل المخاطبة، وبدقة المذهب قبل الامتحان». قلت: «رقة» في رقة الذهن محرّفة عن «دقة»، جاء في تاريخ الطبري (٩/ ٢٨٩) في جعفر البرمكي «وكان من أدق الخلق ذهناً، وأصحهم فكراً». وفي الإمتاع والمؤانسة (٣/ ١٤١): «وإن بلغ الغاية في دقة الذهن، وحسن البيان، وبلاغة اللفظ». ثم انّ الفكرِ وهو أيضاً من باب الذهن يوصف بالدقة للمدح، كقول الجواليقي في شرح أدب الكاتب (ص٢٨): «يريد الدقيق الفكر من الناس الذي يغوص على المعاني». أما رقة الذهن، بالراء، فان وُجد لها نص دلّت على الذم، لذلك استعملت رقة العقل للذم، والعقل من باب الذهن والفكر المذكورين. كقول الليث، كما في التهذيب (٧/ ١٨٥): «السخف: رقة العقل». فإن قلتَ: كيف ترد «بدقة» في نصّ الجاحظ المذكور في عبارتين متصلتين. في قوله «برقة الذهن» و «بدقة المذهب»؟. قلت: ربما فعل ذلك الجاحظ حين لا يقصد الى تنميق كلامه. الا ترى الى قوله في كتاب الحيوان وقد أعاد استعمال «عند» (٣/ ١٧٢): «أثير عند مولاه، عظيم المنزلة عنده». ولو شاء تنميق كلامه لجاز أن يقول: عظيم المنزلة لديه. ونظير ذلك إعادته «به» في قوله في الكتاب نفسه (٣/ ٢٥٥): «وهو مسلم لذلك، وقانع به، وقليل الاكتراث به». ولو كان أعاد النظر فيه لجاز أن يقول: الاكتراث له. وأيضاً إعادته «العجيبة» في الكتاب عينه، في قوله في الديك (٣/ ٢٤١): «فجمع المعرفة العجيبة، والرعاية العجيبة»، ولم يقل: والرعاية الغريبة.

ب - وللمحقق سهو في البيان والتبيين. فقول سلمة بن عياش (١/ ٣٩):

كأنّ بني رألان اذ جاء جمعهم   فراريج يلقىٰ بينهنّ سويق

جاء في تفسيره: «فقال ذلك لدقة أصواتهم وعجلة كلامهم». وقال محقق الكتاب إنه أخذ بـ «دقة» المذكورة في نسختي «ل» و «هـ» دون «رقة» التي في سائر النسخ لأنها تحريف. قلت: «رقة» صحيحة ولا تحريف فيها. على أن «دقة» التي أخذ بها

أيضاً صحيحة. وظنّي أن «رقة» التي أهملها وقال بتحريفها أصح منها. وذلك لدلالتها على الضعف الذي هو من صفة تلك الفراريج التي تُطعم السويق، لقرب عهدها بالتفقيس. فنحن نقول لصوتِ العصفور «دقيق» حين نقيسه بصوت غليظ كصوت الغراب، ولكنّ العصفور اذا أُذِي بشيء، فوهنت قوته، وضعف صوته، كان وصف صوته بالرقة أولى من وصفه بالدقة وكذلك يقال في صوت فرخه حين يكون قريب عهد بالتفقيس، فليُقس هذا بأصوات تلك الفراريج، واستعمال الدقة والرقة ههنا من التداخل الذي يكون بين هذين اللفظين، ومضى القول فيه (الفقرة ٣).

١٠ - سهو للعلامة الميمني في «خزانة الأدب»:

في «خزانة الأدب» (١ / ٢١٤)، من طبع المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٨ هـ و بتحقيق العالمين الجليلين أحمد تيمور باشا وعبد العزيز الميمني ورد للنجاشي:

اذا الله جازى أهل لؤم بذمةٍ فجازىٰ بني العجلان رهط بن مقبلِ

وقال الأستاذ الميمني في «بذمة»: وحفظي على غير ما وضع: ورقة». قلتُ: قوله «ورقة» تحريف «ودقة». ومن معاني الدقة الحقارة أو الخساسة، وهذا المعنى يشاكل لفظ لؤم الذي مع دقة. وتقدم ذكر البيت على وجه الصحة منقولاً من البيان والتبيين (٤ / ٣٧) ومعه شواهد على اجتماع دقة ولؤم (الفقرة ٨).

١١ - سهو لمؤلف «جمهرة رسائل العرب»:

في «جمهرة رسائل العرب» (٤ / ١٦٠) المطبوع بمصر سنة ١٩٣٧، وهو تأليف الأستاذ أحمد زكي صفوة، جاء في كتاب بعث به أبو علي البصير الى أبي العيناء، وهو منقول من اختيار المنظوم والمنثور (١٣ / ٤١٧): «أما بعدُ، فإنك الرجل الدقيق حسبه، الرديء مذهبه، الدنيء مكسبه، الخسيس مطلبه». وقال المؤلفان في «الدقيق» حسبه: «وربما كان الرقيق». وذلك سهو منه، فالمراد بـ «الرقيق» في النص «الحقير» وهو يوافق العيوب التي اعقبته، وهي: الرديء، والدنيء، والخسيس. وتقدَّم قول للفرزدق يصف فيه بحسب بالرقة، وهو:

أتعدل أحساباً لئاماً أدقة بأحسابنا؟ اني الى الله راجعُ

١٢ - تحريف في « العقد الفريد » :

أ - وفي العقد الفريد (٤/٤٨) ، وهو بتحقيق الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الزين ، والأستاذ ابراهيم الابياري ، ورد قول الشاعر :

أبقت رياسته لأسرته لؤم الفروع ورقة الأصلِ

و « رقة » بالراء ، ومعناها الضعف ليست بشيء . وأجدها محرّفة عن « دقة » بالدال ، أي خساسة ، يؤنس بذلك « لؤم » الفروع قبلها . وإجتماع اللؤم والدقة كثير في العربية ، وتقدمت أمثلة له (الفقرة ٨ - أ) .

ب - وأيضاً في العقد (٤/١٩٥) أن محمد بن الليث كتب الى جعفر بن يحيى : « أما بعدُ ، فليكن قلمك بحرّياً ، لا سميناً ولا رقيقاً ، ما بين الرقة والغلظ » . و « رقيقاً » محرف عن « دقيقاً » . والرقة محرّفة عن الدقة ، فالقلم مما له طول واستدارة ، فهو يوصف بالدقة الفقرة ١) ، وفي النص استعمل السمين فالغِلَظ وهما نقيض الدقيق والدقة ، وفي أدب الكتاب (ص ٥٤) قال ابراهيم بن العباس الصولي لغلام كان يكتب بين يديه : « ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغلظ » .

ج - وأيضاً في العقد (٥/٣١٨) للنجاشي :

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط بن مقبلِ

ومضى هذا البيت مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه مع تعليق العلامة الميمني عليه (الفقرة ١٠) ، وبيّنت أن الصواب « دقة » بالدال لا رقة بالراء ، وقلت ان البيت ورد في البيان والتبيين (٤/٣٧) على وجه الصحة .

١٣ - تحريف في « جمع الجواهر في الملح والنوادر » :

وفي « جمع الجواهر في الملح والنوادر » للحصري القيرواني ، وهو بتحقيق الأستاذ علي البجاوي (ومطبوع بمصر سنة ١٩٥٣) ، قال العتبي (ص ٦٦) : « وكما يُمَلّ

الجدّ فيدخل في الهزل، كذلك يُمَلّ الرقيق فيحتاج الى الجزل»، والرقيق محرّفة عن الدقيق، والدقيق يقابل الجزل، والجزل معناه الجليل، وهي مقابلة نادرة أُحوجت اليها السجعة.

١٤ - تحريف في « كليلة ودمنة » :

وفي كتاب كليلة ودمنة، وهو مصوّر ببيروت سنة ١٩٧٣ عن الطبعة التي حققها الأستاذ عبد الوهاب عزام، جاء في باب «ابلاد وايراخت وشادرم ملك الهند» (ص ٢٢٤) قول ابلاد للملك «أيها الملك إني مع رقة شأني ، وضعف خطري، قد أغلظت في القول واجترأت» . وأرى أن الوجه في «رقة» «دقة»، أي ضآلة شأني. وضد الدقّة او الضآلة الجلالة.

ومنه قول حفظته سنة ١٩٣٠ وأظنّ قائله عصرياً :

اللـــــــه جل شأنـــــــــه له الصفـــات العاليـــــــة

فهذا شاهدي لجلالة الشأن، ومن بحث فغير بعيد أن يظفر بشاهد على دقة الشأن.

١٥ - تحريف في «رحلة ابن بطوطة» :

أ - وفي مجاني الأدب (١ /١٦٩) المطبوع سنة ١٩١٣ قول منقول من رحلة إبن بطوطة جاء فيه «صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق، وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ... وتباع الرقاق...»، وليست الرحلة بين يدي. وعلى كل حال، الصواب «دقاق» في الموضعين، فالقضبان ذات طول واستدارة، والغلاظ يُقابلها الرقاق. ثم إنه ليس في سياق القول ما يدل أن الرقاق بمعنى الضعاف.

ب - وفي مجاني الأدب (ص ١٧٢ و ١٧٣)، عن رحلة ابن بطوطة، جاء في العود الهندي «شجره يشبه شجر البلوط الا أن قشرة دقيق، وأوراقه كأوراق البلوط». والصواب أن يُقال في القشر «رقيق» ولا وجه لوصفه بالدقة (انظر الفقرة ٢).

١٦ - تحريف في « طباع الحيوان » لأرسطو :

أ - وفي كتاب طباع الحيوان لأرسطو، وهو مصوّر ببيروت عن طبعة الكويت لسنة ١٩٧٧ بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي، جاء في حجاب الصدر (ص ٤٨) : «وهو لاحق بالأضلاع والجنبين والفقار. وفي أوسطه أجزاء دقيقة خلقتها من صفاق». وأرى أن «دقيقة» تحريف «رقيقة»، لأن سياق الكلام يقتضي أن توصف أجزاء الصفاق، وهو كالنسيج، بالرقة. ويجوز أن توصف أجزاء من النسيج أو ما يشبهه، كالصفاق المذكور في النص، بالدقة، كأن تكون نكتاً دقيقة أو نحو ذلك، وليس ذلك بالمراد في النص. ووُصف الصفاق على الصواب، أعني بالرقة، في موضع آخر من الكتاب (ص ١٠١). جاء فيه: «وفيما يلي ناحية الحجاب منها فخلقته من صفاق رقيق جداً».

ب - وفي الكتاب عينة (ص ١٤٠) جاء في الأسد «وفي بعض عظامه الرقيقة مخ يسير». والرقيقة تحريف الدقيقة. لأن العظام الرقيقة لا مخ فيها، فهي كالصحيفة، بلا جوف، كعظم الكتف وكالأضلاع. وانما يكون ذلك في بعض العظام التي توصف بالدقة التي هي بخلاف الغلظ، وهي تشبه الأنابيب.

١٧ - تحريف في « محاضرات الأدباء » :

وفي كتاب « شعر دعبل بن علي الخزاعي» المطبوع بدمشق سنة ١٩٨٣ (ط ٢ ص ١٩٣) نقل المؤلف الدكتور عبد الكريم الأشتر في الحاشية عنواناً من كتاب « محاضرات الأدباء» (٢/١٨٣)، وهو « عظم المخلخل ورقة الخصر». وليس بين يديّ محاضرات الأدباء. والصواب على كل حال «ودقة الخصر» بالدال من «دقة». وتقدم قول مبسوط في دقة الخصر (الفقرة ٧).

١٨ - تحريف في الحاوي في الطب» :

وفي كتاب «الحاوي في الطب (٩/٧٨) المطبوع بحيدر آباد سنة ١٩٦٠: «الرقيقة الخصر، الضيقة الفرج، التي لا تلد»، والصواب «الدقيقة» الخصر.

١٩ - تحريف في «الإمتاع والانتفاع»:

وفي كتاب «الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع» لمحمد بن الدرّاج السبتي جاء في أوتار العود (ص ٣٥): «والعرب تسمي الرقيق من أوتاره الزير، والثاني المثنى...». وأرى أن الوجه «الدقيق»، لأن الوتر مما فيه طول واستدارة، ويجوز أن يُقال: الزير وتر دقيق وصوته رقيق، لأن أرقّ أوتار العود صوتاً الزير، ويغلظ الصوت شيئاً في المثنى، فشيئاً في المَثْلَث، فشيئاً في البم والبَمُّ رابع الاوتار وآخرها وأغلظها صوتاً. روى القالي في أماليه (١ / ٢٣٠): «سمع بعض العرب صوت العود فقيل له: ما تسمع؟ قال: حسناً، ولكن اقطع هذا الأبحّ فاني أشنؤه- يريدُ البم». وذلك لغلظ صوته، وفي القاموس في الزير «الدقيق من الأوتار وأحدّها»، ومحقق كتاب الإمتاع هو الدكتور محمد بن شقرون الأستاذ بجامعة محمد الخامس وليس في الكتاب ذكر لموضع الطبع ولا سنته. وفيه ما يدلّ على أنه طُبع بُعَيد سنة ١٩٨٠. وفي الكتاب غلط مطبعي كثير.

٢٠ - استعمال الدقيق والرقيق مجازاً:

كنت قد كتبت أيام الطلب مقالة استعملت فيها «دقة المعنى» في تقريظي لِشعر، واتفق أن اطّلع على المقالة قبل نشرها عالم لغوي جليل، فقال كالمنكر عليّ: كيف تستعمل دقة المعنى للتقريظ وهي لضده؟ فغيّرت اللفظة آخذاً بقوله، ثم وضح لي أنه كان واهماً، وأنه ربما كان قد قاس دقة المعنى على بعض الاستعمالات المجازيّة المراد بها الذم كدقة الخلق مع أن القياس في هذا الموضع قد يضل عن الصواب، وقد توفي ذلك العالم الجليل رحمه الله، ولم ينشر رأيه ذلك فيما نشر من تصحيح في اللغة، وأظنه بدا له فيه، فإذا علمنا أن «رقيق اللسان» للمدح لم يجز لنا أن نقيس عليه «رقيق الدين» فنعدّه للمدح، لأنه للذم واذا علمنا أن «دقيق الخلق» للذم لم يصحّ أن نقيس عليه «دقيق الذهن» فنعده للمدح، على أنّ استقراء نصوص الدقيق والرقيق، مع الرغبة في التفهّم، والميل الى الاستدلال، من شأنه أن يذلّل ما تعنّد، ويحلّل ما تعقّد، ولِوَهم ذلك العالم الجليل في «دقة المعنى» ووهم غيره ممن ذكرت في مقالتي هذه في الاستعمال المجازي للدقيق والرقيق، رأيت أن أنشر هاهنا جريدة بما اجتمع عندي من الاستعمالات المجازية لهاتين اللفظتين، ذاكراً ما كان منها للمدح أو الذم أو غيرهما، ومقيّداً إياها بشواهد صحيحة:

أ - الدقـة :

١ - دقة الأصل (للذم) : من قول الشاعر مصحّحاً (الفقرة ١٢ -أ) :

أبـقت رياسته لأسرته لؤم الفـروع ودقـة الأصلِ

٢ - دقة الانسان (للذم) : قال ثعلبة بن صُعَير (ديوان المفضليات ص ٢٥٤) :

مكارم يجعلن الفتى في أرومة يفاع وبعض الوالدين دقيقُ

٣ - دقة الحسب (للذم) : تقدم لها بيت للفرزدق ، وقول لأبي علي البصير (الفقرة ١١) .

٤ - دقة الخلق (للذم) : من خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه (الأخبار الطوال ص ١٦١) : « أخلاقكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، وماؤكم زُعاق » .

٥ - دقة الذهن (للمدح) : تقدم له شاهد من تاريخ الطبري (٩ / ٢٨٩) وآخر من الإمتاع والمؤانسة (٣ / ١٤١) (الفقرة ٩ - ب) .

٦ - دقة الشأن (للذم) : مرّ شاهدها مصححاً في كليلة ودمنة (الفقرة ١٤) .

٧ - دقة الفكر (للمدح) : تقدم لها شاهد من شرح أدب الكاتب ص٢٨ (الفقرة ٩ -أ) .

٨ - دقة الفهم (للمدح) : قال الجاحظ في رسالة القيان : « عذب اللفظ ، دقيق الفهم ، لطيف الحس ، خفيف الروح » (رسائل الجاحظ ص ٧١) .

٩ - دقة المحتد (للذم) : قال الفرزدق (البيان والتبيين ١ / ٥٠) :

سأرمي ولو جعلت في اللئام ورُدّت الى دقـة المحتـدِ

١٠- دقة المعنى (للمدح) : قال الزمخشري (نزهة الألباء ص ٣٩٠) : « كيف سمّيت هذا الكتاب مع نفاسته وغموض معانيه ودقتها بهذا الاسم » . وانظر بيتاً للمتنبي في الوساطة (ص ٣٠٤) ، وانظر طوق الحمامة (ص ٦) .

١١- دقة النسب (للذم) : قال ابن الاعرابي (التهذيب ٦ / ٤٧٧) : « الهُنا : النسب الدقيق الخسيس » .

١٢- دقة النظر (للمدح): في «شرح أدب الكاتب» (ص٢٨): «ويعني به المتفلسف والمنجمّ لدقة نظرهما، ولطف فهمهما».

١٣- دقة النفس (للذم): في الألفاظ الكتابية (ص ٥٦): «يُقال: فلان بخيل... ودقيق النفس، ودنيء النفس».

١٤- دقة النقد (للمدح): في كتاب الصناعتين (ص١٤٠): «وإنكار جرير قوله: الثني من كسائها، نقد دقيق». وسياق الكلام كله يدل على المدح.

١٥- دقة الهمّة (للذم): في «الصداقة والصديق» (ص٧): «لأنهم من دقة الهمم، وخساسة النفوس، على حال لا يجوز ان يكونوا في حومة المذكورين».

ب - الرقـــة:

١ - رقة البصر (ضعفه): في ديوان عنترة (ص ١٦٢): «غزا عنترة طيئاً وقد رقّ بصره...»، وسياق الكلام كله يدل على المدح.

٢ - رقة الحال (سوؤها): في اللسان (مادة: رق): «وأرقّ فلان، رقّت حاله».

٣ - رقة الخلق (للمدح): في معاهد التنصيص (١/٥): «وخلائق رقّت وراقت، وطرائف علت وفاقت».

٤ - رقة الدين (للذم): في «تبيين كذب المفتري ص ٣٩٦»: «... فقول حمله عليه رقة الدين وقلة الحياء».

٥ - رقة الشوق (للحب). ومعناهما متقاربان. وشذّ عني نصّاهما.

٦ - رقة الصبابة واستعمالها معروف.

٧ - رقة العزيمة (للذم): قال صفي الدين الحلي (الديوان: ص):

لما سعينا فما رقّت عزائمنا عما نروم ولا خابت مساعينا

٨ - رقة العقل (للذم): مضى شاهده منقولاً من التهذيب (١٨٥/٧) (الفقرة ٩-أ).

٩ - رقة الكلام (للمدح) أي لينه، في كليلة ودمنة «فلما فرغ الجرذ من الكلام أجابته السلحفاة بكلام لطيف رقيق».

١٠- رقة اللسان (للمدح) : مضى شاهدها منقولاً من البيان والتبيين (١/ ٣٣٤) (الفقرة ٣) .

١١- رقة اللفظ (للمدح) : في رسائل أبي حيان التوحيدي (ص١١٥) : «وكلامه السحر الحلال ... بمعان دقيقة، وألفاظ رقيقة».

والمجاز من الدقيق والرقيق أكثر من هذا بكثير. وإنما ذكرت منه ما نجم لي اتفاقاً .

٢١ - ختـــام:

إن التحريف بين الدقيق والرقيق طريق نبت عليه عوسج. وان كنتُ قلعتُ شيئاً منه، فعسى أن ينهض غيري ليقلع منه المزيد. ففي ذلك فوائد قوامها التبصير بمواضع الكلم، والاعانة على تحقيق الكتب.. وهي فوائد يصيب منها من شاء، دون أن يجشّم مجشّماً، ولا أن يغرم مغرماً، وقد بلغ ما رجعت اليه من الكتب ٦٩ كتاباً - مع عدّ جزء الكتاب كتاباً - وأكثرها مستعار من مكتبة SOAS. والحمد لله على عونه وتوفيقه.

ثانياً : مع الكتب

دُرّة القاري
منظومة في ظاءات القرآن الكريم

نظم: الحافظ عبد الرزاق الرسعني
تحقيق: الدكتور عبد الهادي الفضلي
(جامعة الملك عبد العزيز - جدة)

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد: فهذا لون من التأليف يعرض لبيان ما يُقرأ ويُكتب بـ (الظاء) من الكلم القرآني الكريم، فتدخل مادته في دائرة التأليف في علوم القرآن.

واعتمد مؤلفه اسلوب النظم فيه تسهيلاً لاستظهاره وتيسيراً لاستحضاره، وهو نهج سلكه غير قليل من المؤلفين المتقدمين، وشاع سلوكه في اخريات العصر العباسي وعصر الدول المتتابعة.

ومؤلفـــه:

هو أبو محمد عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف بن أبي الهيجاء الرسعني الجزري الحنبلي.

هذا كل ما ذكرته المصادر التي رجعت اليها في سلسلة نسبه.

وتفرد الزركلي في أعلامه(١) بذهابه الى أن اسمه (عبد الرازق) - بتقديم الألف على الزاي -، الا أنه لم يذكر دليل تصويبه هذا، وعليه فالراجح في اسمه هو (عبد الرزاق) - بتأخير الألف عن الزاي - لأن في الآخرين من هو أوثق منه في الرواية وأعمق في الدراية كالحافظ الذهبي والحافظ ابن الجزري والحافظ الداودي.

كما تفرد الداودي في طبقاته [٢] باضافة (أبي الهيجاء).

و (الرسعني) نسبة الى بلده (رأس عين)، قال ياقوت في معجم البلدان [٣]: «رأس عين، ويقال: رأس العين.... مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودُنيسر ... وفي رأس عين: عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور».

و (الجزري) نسبة الى الجزيرة، وهي جزيرة أقور - بالقاف - قال ياقوت في معجم البلدان [٤]: «وهي التي بين دجلة والفرات، مجاورة الشام... من أمهات مدنها: حرّان والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميّا فارقين والموصل، وغير ذلك».

و (الحنبلي) لتمذهبه مذهب الامام ابن حنبل اعتقاده العقيدة السلفية.

ولد بـ (رأس عين) سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة.

ونشأ نشأة علمية أهلته لأن يشارك في العلوم الاسلامية التالية:

١ - التفسير، وألّف فيه تفسيرين هما: (رموز الكنوز) و (مطالع انوار التنزيل)، وعده كل من السيوطي والداودي في طبقات المفسرين، وترجما له في كتابيهما.

٢ - القراءات، وعده ابن الجزري في طبقات القراء، وترجم له في الغاية.

٣ - الحديث، ورحل في طلبه الى بغداد ودمشق وحلب، فسمع في بغداد من عبد العزيز من منينا وطبقته، وفي دمشق من أبي اليمن الكندي وطبقته، وفي حلب من الافتخار عبد المطلب الهاشمي.

كما سمع ببلدته رأس عين من أبي المجد القزويني.

وعده الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ وترجم له في تذكرته، وكذلك الجلال السيوطي وترجم له في طبقات الحفاظ.

وولي مشيخة دار الحديث بالموصل.

٤ - الفقه، وتتلمذ فيه على الشيخ موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي، وحفظ كتابه (المقنع) في الفقه الحنبلي.

يضاف الى ذلك تفننه بعلوم الأدب وقوله الشعر .

وروى عنه غير واحد من المحدثين، منهم:

ولده ابو عبد الله محمد بن عبد الرزاق ، والحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في معجمه ، وابو المعالي احمد بن اسحق الأَبَرْقُوهي الاصبهاني في المعجم.

ومن تأليفاته :

١ – درة القاري (وهي هذه المنظومة) .

٢ – رموز الكنوز ، في التفسير ، اربعة مجلدات ضخام.

٣ – مختصر الفرق بين الفرق للبغدادي .

٤ – مصرع الحسين، وذكره الذهبي في التذكرة باسم (مقتل الشهيد الحسين عليه السلام) .

٥ – مطالع انوار التنزيل ومفاتيح اسرار التأويل، في التفسير أيضاً .

وتوفي في سنجار سنة احدى وستين وستمائة للهجرة، كما ذكر الذهبي وغيره ممن رجعت اليهم باستثناء الداودي فانه ذهب الى أنه توفي سنة ستين وستمائة .

وقالوا فيه :

الذهبي: «الامام، المحدث، الرحال، الحافظ، المفسر، عالم الجزيرة ... كان اماماً متقناً ذات فنون وأدب ... ومن أوعية العلم والخير» .

السيوطي : «كان اماماً، محدثاً، فقيهاً، أديباً، شاعراً، ديناً، صالحاً».

ابن الجزري : «الامام العلاّمة المحدث المفسر المقرىء شيخ ديار بكر والجزيرة» .

الداودي : «كان اماماً فقيهاً محدثاً أديباً شاعراً ديّنا صالحاً فاضلاً في فنون العلم والادب ذا فصاحة وحسن عبارة» (٥).

ومنظومته :

تتألف من واحد وثلاثين بيتاً، من البحر البسيط التام :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن «مرتين» وأشار الناظم الى هذا قوله :

سميتها (درة القاري) ونِسبْتُها بحر البسيط فزنها واختبر تبنِ

ورويّها: النون المكسورة.

والبسيط من الابحر العروضية ذات الموسيقى المطربة، والنون المكسورة من الروي ذي الجرس المستعذب، وهذا مما يساعد على الاستظهار والاستذكار بسهولة ولذاذة.

وسماها مؤلفها (درة القارىء) - كما رأينا في البيت المتقدم-.

ونسبة هذه القصيدة الى ناظمها الرسعني مفروغ من صحتها، فقد أدرجها في قائمة مؤلفاته جميع من قرأته ممن ترجم له. أمثال:

- حاجي خليفة في كشف الظنون ١/٧٤٣، ذكرها باسمها (درة القارىء)، لكنه وهم في رويّها حيث قال: «قصيدة تائية من البسيط».

- البغدادي في هدية العارفين ٢/٥٦٦، ذكرها باسمها أيضاً، الاّ أن لقب ناظمها كان في المطبوعة هكذا (الرستغفني)، وهو تحريف.

- الزركلي في الأعلام ٣/٢٩٢.

- كحالة في معجم المؤلفين ٣/٢١٧.

- ابن الجزري في غاية النهاية ١/٣٨٤، قال في معرض حديثه عن ناظمها: «صاحب الظائية النونية».

- الداودي في طبقات المفسرين ١/٢٩٤، قال: «ومن نظمه القصيدة النونية المشهورة في الفرق بين الضاد والظاء».

والكلم القرآني المشتمل على حرف (الظاء) الذي احتوته المنظومة هو من المواد اللغوية التالية:

حظر .	حظظ .	حفظ .	شوظ .	ظعن .
ظفر .	ظلل .	ظلم .	ظمأ .	ظنن .
ظهر .	عظم .	غلظ .	غيظ .	فظظ .
كظم .	لظى .	لفظ .	نظر .	وعظ.
يقظ .				

وأن يدخل هذا اللون من الدراسة لما يلفظ ويكتب بـ (الظاء) - اخت الطاء - في علوم القرآن، لأن هناك فرقاً بين (الضاد) - اخت الصاد - و (الظاء) - اخت الطاء - في اللفظ والكتب.

ففي اللفظ والنطق: يتفقان في أن كلاً منهما حرف مجهور، الاّ أن الظاء صوت رخو، والضاد صوت مزدوج.

ويختلفان في المخرج: فالظاء مخرجة من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، والضاد مخرجة من بين أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس (٦).

وفي الكتب والرسم: فالضاد تكتب هكذا: (ضـ. ـضـ. ـض. ض)، والظاء ترسم هكذا: (ظـ. ـظـ. ـظ. ظ).

فلئلا يقع الغلط في النطق والرسم القرآنيين قام العلماء العرب بأمثال هذه الدراسات والكتابات الصوتية والرسميّة (الاملائية).

وقد اعتمدت في اخراج هذا الكتاب على:

١ - مخطوطة مكتبتنا الخاصة بالبصرة، ورمزت لها بـ (خ)، وهي تضم من القصيدة أحد عشر بيتاً فقط، وخطها غير جيد، وكثير الاخطاء.

٢ - مخطوطة مكتبة الدراسات العليا- جامعة بغداد، وهي ضمن مجموع برقم ١٢١٠، ورمزت لها بـ (ب)، وتضم جميع ابيات القصيدة، وخطها جيد، وخطأها قليل.

وذكر في عنوان الاولى منهما: «ارجوزة (؟) في الظاءات التي في القرآن للشيخ الامام العالم العلامة المقرىء».

أما الثانية فلم تعنون بشيء، الاّ أن اسم القصيدة وهو (درة القاري) جاء في بيتها الأخير.

وكلتاهما خلو من اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

وقمت في مجال تقويم النص بـ:

١ - المقابلة بين النسختين.

٢ - الاعتماد على السياق والاطار الثقافي للمادة في فهم مقصود الناظم.

٣ - التقطيع العروضي لضبط الوزن.

وفي مجال التعليق قمت بـ:

١ - شرح بعض الكلمات اللغوية شرحاً مختصراً.

٢ - تعريف الأعلام بذكر الاسم الكامل وتاريخ الوفاة.

٣ - تخريج الكلم القرآني.

وأخيراً: أرجو أن اكون قد قمت عن طريق هذا العمل بشيء من الواجب في خدمة القرآن الكريم ولغته الشريفة، والله تعالى ولي التوفيق وهو الغاية.

المنظومــة

١ حفظت [٧] لفظاً [٨] عظيم [٩] الوعظ [١٠] يوقظ [١١] من
ظما [١٢] لظى [١٣] وشواظ [١٤] الحظر [١٥] والوسَن [١٦]

٢ مَنْ يكظم [١٧] الغيظ [١٨] يظفرْ [١٩] بالظلال [٢٠] ومن
يظعنْ [٢١] عن الظلم [٢٢] يظلَلْ راكدَ الشَفَنِ [٢٣]

٣ لا تنظر [٢٤] الظنَّ [٢٥] والفظُّ [٢٦] الغليظ [٢٧] ولا
تظهــرْه ظهــر ظهــورِ [٢٨] تحــظَ [٢٩] بالإحنِ

٤ انظر تظاهرْ فمــن لم ينتظــر خلـبت
عظامــه ظُفُــرُ الظلمـــاء والمحـــنِ

٥ فهــذه أربـــع يا صاح قد جُمَـــعَتْ [٣٠]
ما في القــران [٣١] من الظـــاعات فامتحـــنِ

٦ لكــنَّ سبعــةَ ظاعاتٍ قد (اشتبـــهت) [٣٢]
بالضاد في (الذكــر) [٣٣] فاسمــع قول مؤتمـــنِ

٧ الحـظ والحظـر والغيـظ الظلال مع الـــ
ـوعـظ انظــر الفـــظ واهجــره مدى الزمـــنِ

٨ فالحـــــظ بالظـــاء إلاّ أنهـــــا وردتْ
بالضاد في (الفجر) [٣٤] و (الماعون) [٣٥] فاستعنِ

٩ باللــه واعلــمْ بأنّ (الحاقــة) [٣٦] انفــردتْ
بثــــالثٍ لا تزدهــــا تُرمَ باللكـــــنِ [٣٧]

١٠ والحظـــر بالضاد [٣٨] الاّ موضعيـــن ففـــي
(سبحـان) [٣٩] (محظــوراً انظــر) ثم قِسْ وزنِ

١١ في سورة (اقتربتْ) [٤٠] بعد (الهشيم) لهـا
مِثْـلٌ وهــذان في المعنــى علــى سَنَـــنِ [٤١]

١٢ والغيـظ بالظـاء إلاّ (ما تفيض) [٤٢] و (غيـــ
ـض الماء) [٤٣] في (هودٍ) الهادي الى السُنَنِ [٤٤]

١٣ ثم الظلال وفيه الأمر مشتبهٌ
فاسمع تفاصيل قولي تُدْعَ بالفَطِنِ

١٤ بالضاد تقرأ[٤٥] الاّ تسعة قرئتْ
بالظاء[٤٦] اجماع أهل العلم والـلُسُنِ[٤٧]

١٥ (من السماء فظلوا)[٤٨] (الحجر) أولها
ووجهه ظلَّ مُسوَدّاً[٤٩] من الشَجَنِ[٥٠]

١٦ لسوء ما حكموا تتلى مذّمتهم
في (النحل) و (الزخرف) احذر كل مفتتنِ

١٧ اذا تلوتَ (فظلّتْ)[٥١] بعدها (فنظلُّ)[٥٢]
اعرفْ (فيظللنَ) في (الشورى)[٥٣] اهتدِ استبنِ

١٨ (طه) (الذي ظَلْتَ)[٥٤]، بعد (العنكبوت) (فظلّوا
في)[٥٥] وفي (الشعرا) حرفٌ[٥٦] أيا سكني[٥٧]

١٩ قبل (الحديد) (فظلتم)[٥٨] وهو آخرها
اقبله علماً فليت الجهل لم يكنِ

٢٠ والوعظ أين أتى بالظاء غير (عضين)
(الحجر)[٥٩] بالضاد فاقرأها ولا تهنِ

٢١ واعلم بأن ليس في القرآن من نظرٍ
بالضاد الاّ نقيض البؤس والحزنِ

٢٢ في هل (أتى)[٦٠] (نضرة)[٦١] قبل (النعيم) لها
مثل بسورة (ويلٌ)[٦٢] فاعتبرْ تُعَنِ

٢٣ وفي (القيامة)[٦٣] اخرى وهي (ناضرةٌ)
الأولى حنانيك ياذا الفضل والمننِ

٢٤ والفض بالضاد في كل المواضع[٦٣] الاّ
(كنت فظاً)[٦٥] وليس الهين كالخشنِ

٢٥ وأجْمَعَ السبعة[٦٦] الغر الثقات على
تلاوة (الظن) بالظا فاقفُ واستبنِ

٢٦ لكنْ قد اختلفوا في قولـه (بضنيـن) [٦٧]
فاتبـغ حُسْنَ حضري واستمـغ لسنـي

٢٧ بالضاد عاصمٌ الكوفـي يقرأهـا
وحمـزةٌ ثم عبـد اللـه[٦٨] والمدنـي[٦٩]

٢٨ وقـد تلاهـا أبـو عمـرو وشيعتـه
بالظـاء وابـن كثيـر مَعْ أبـي الـحسن[٧٠]

٢٩ وقـد تقضّت بحمـد اللـه مودعـة
حسن اليـان بلا عيبٍ ولا أفـن[٧١]

٣٠ شعـاع انوارهـا يحكـي ذُكـاءَ[٧٢] وبجـ
ـلو ما على القلب من شك ومن دَخَن[٧٣]

٣١ سمّينهـا (درة القـاري) ونسبتهـا
(بحـر البسيـط) فزنهـا واختبر ثِيـن

تمت القصيدة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه بمّنه وكرمه.[٧٤]

الهوامش

(١) انظر: الأعلام ٣/٢٩٢.
(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/٢٩٣.
(٣) ٣/١٣-١٤.
(٤) ٢/١٣٤.
(٥) انظر: الاعلام ٣/٢٩٢، معجم المؤلفين ٣/ ٢١٧-٢١٨، غاية النهاية ١/٣٨٤، شذرات الذهب ٥/٣٠٥-٣٠٦، طبقات المفسرين للسيوطي ٦٦-٦٧، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥٢-١٤٥٣، طبقات المفسرين للداودي ١/٢٩٣-٢٩٥.

وتجد ترجمته ايضاً في: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، المنهج الأحمد في تراجم اصحاب الامام احمد للعليمي، طبقات الحفاظ للسيوطي، العبر للذهبي.

(٦) انظر: المعجم الوسيط: حرف الضاد وحرف الظاء.
(٧) جاء من كلمها في القرآن الكريم: حَفِظَ، حفظناها، نحفظ، يحفظن، يحفظوا، يحفظونه، احفظوا، يحافظون، حافِظوا، استُحفظوا، حفظاً، حفظهما، حافظٌ، حافظاً، حافظات، حافظون، حافظين، حفظة، حفيظٌ، حفيظاً، محفوظٍ، محفوظاً.

الحافظات، الحافظون، الحافظين.

(٨) منها في القرآن: يلفظ.
(٩) منها في القرآن: عَظْم، العَظْم، عِظاماً، العِظام، عِظامَه، عظيم، العظيم، عظيماً، يُعظمْ، يُعْظِم، أعْظَمُ.
(١٠) منها في القرآن: وعظتَ، أعظك، أعظكم، تعظمون، يعظكم، يعظه، عِظْهم، عِظوهنَّ، تُوعظون، يُوعَظُ، يُوعظون، الواعظين، موعظة.

(١١) منها في القرآن : أيقاظاً .

(١٢) منها في القرآن : ظَمَأٌ ، تظمأ ، الظمآن .

(١٣) منها في القرآن : تَلَظَّى ، لَظَى .

(١٤) منها في القرآن : شُواظ .

(١٥) منها في القرآن : محظوراً ، المحتظِر .

(١٦) الوسن : ثقل النوم .

(١٧) منها في القرآن : الكاظِمِينَ ، كظيم ، مكظوم .

(١٨) منها في القرآن : غيْظ ، الغيظ ، غيْظِكم ، غيْظِهم، تغيّظاً ، يَغيظ ، لغائظون .

(١٩) منها في القرآن: ظُفُر ، أظْفَركم .

(٢٠) منها في القرآن: ظِلاً ، ظِل، ظِلُّها، الظل، ظِلال، ظِلالاً ، ظلاله، ظلالها، ظلالهم، ظليل، ظليلاً ، ظللّنا، ظُلة ، الظُلة، ظُلَل ، كالظلل، ظَلّ، ظَلّتْ، ظلْتَ ، فظلْتُم ، ظَلّوا ، فنظل ، فيظللن.

(٢١) منها في القرآن : ظعنكم .

(٢٢) منها في القرآن: أظْلَمَ، مُظْلماً، مُظْلِمون ، ظُلمات ، الظلمات ، ظُلْمٌ، ظُلْماً ، ظُلْمه ، ظُلْمهم، ظَلَمَ، ظَلَمَتْ، ظَلَمْتُ، ظَلَمْتُم، ظَلَمَكَ، ظَلَمنا، ظلمناهم ظَلَموا، ظَلَمَهم، ظلمونا، ظُلِمَ، ظُلِموا، يَظلم، يَظلمهم، يَظلمون، يُظلمون، تَظلم، تَظْلمون، تَظلموا، تُظْلَم، تُظلمون، ظالم، الظالم، ظالمة، ظالمون، الظالمون، ظالمين، الظالمين، ظالمي، أظلمُ، ظَلوم، ظَلوماً، ظلاّم، مظلوماً.

(٢٣) الشفن: مؤخر العين. وفي ب : السفن: جمع سفينة.

(٢٤) منها في القرآن: نَظَرَ، أنظرُ، تَنظر، تنظرون، لننظر، يَنظر، يَنظروا، ينظرون، انظرْ، انظرْنا، انظروا، انظرونا، فانظري، نَظْرة، الناظرين، ناظرة، تُنظرون، انظرني، يُنظرون، منظرَون، المنظَرين، ينتظر، ينتظرون، انتظر، انتظروا، منتظرون، المنتظرين، نَظِرَة.

(٢٥) منها في القرآن : ظنَّ، ظناً، الظن ، ظنكم، ظَنَّة، الظنونا، ظننتُ، ظننتم، ظَنّنا، ظَنّوا، أظنُّ، لأظنّك، لأظنّه، تظن، تظنون، نظن، نظنك، نظنكم، يظن، يظنون، الظانين.

(٢٦) منها في القرآن: فظاً.

(٢٧) منها في القرآن: غلظة، اغلظ، استغلظَ، غليظ، غليظاً، غلاظ.

(٢٨) منها في القرآن: ظَهْرَك، ظَهرِه، ظَهْرِها، ظهوركم، ظهوره، ظهورها، ظهورهم، ظُهورهما، ظِهريّاً، يُظاهِرون، تُظاهرون، ظَهَر، يَظهرون، يَظهروا، يَظهروه، أظهَرَه، يُظهِر، لِيُظهِره، ظاهرٍ، ظاهر، الظَاهر، ظاهراً، ظاهِرُه، ظاهرة، ظاهرين، الظهيرة، تُظهرون، ظَاهَروا، ظاهروهم، يُظاهِروا، تظاهرا، تَظاهَروا، تَظاهرون، ظهير، ظهيراً.

(٢٩) منها في القرآن: حَظٌّ، حظاً.

(٣٠) في ب: حَصَرَتْ.

(٣١) القرآن: غير مهموز، وهي قراءة ابن كثير المكي.

(٣٢) سقطت من خ.

(٣٣) سقطت من خ.

(٣٤) هي (تحاضون) من الآية ١٨ من سورة الفجر.

(٣٥) هي (يحض) من الآية ٣ من سورة الماعون.

(٣٦) هي (يحض) ايضاً من الآية ٣٤ من سورة الحاقة، وتقرأ (الحاقة) بالتخفيف للوزن.

(٣٧) اللكن: العجمة في اللسان.

(٣٨) هي: حاضراً، حاضرةً، حاضرةَ البحر، حَضَرَ، حضروه، يحضرون، حاضري المسجد، أحضرت، لنحضرنّهم، أُحضرت، مُحْضَراً، مُحْضَرون، المُحْضَرين، مُحْتَضَر.

(٣٩) يعني سورة الاسراء، وكلمة (محظوراً) فيها من الآية ٢٠.

(٤٠) يعني سورة القمر، والكلمة التي فيها هي (المحتظِر) من الآية ٣١: «فكانوا كهشيم المحتظر».

(٤١) الى هنا انتهى ما في نسخة خ. والسنن - بفتح السين -: الطريقة والمثال:

(٤٢) من الآية ٨ من سورة الرعد.

(٤٣) من الآية ٤٤ من سورة هود.

(٤٤) السُّنن – بضم السين – : الشرائع والأديان.

(٤٥) هي : ضَلَّ، ضَلال، الضلال، ضلالاً، ضلالك، الضلالة، ضلالة، ضلالتهم، تضليل. ضللتُ، ضللنا، ضلوا، أضلُّ، أَضلاّنا، أضللتم، أضللن، أضلّنا، أضلني، أضلّة، أضلهم، أضلوا، أضلُّونا، أيضلُّ، يضلون، أُضِلُّ، تُضِلُّ، تُضِلّوا، تُضِلُّ، يُضِلُّ، فيضلك، يضلل، يضلله، ليضلنا، يضله، يضلهم، ليُضِلوا، يُضلوك، يُضلون، يُضلونكم، يُضَلونهم، لأُضلّنّهم، يُضَلُّ، ضَالاً، الضالون، ضالين، الضالين، مضل، المضلين، أُضَلُّ.

(٤٦) انظر : الهامش رقم ٢٠ ويأتي عدها في الأبيات التالية.

(٤٧) اللسن – بضم اوله وثانيه – جمع لسان وهو اللغة.

(٤٨) من الآية ١٤ من سورة الحجر.

(٤٩) النص هو : (ظلَّ وجهه مُسْوَدّاً) وهو من الآية ٥٨.

من سورة النحل، ومن الآية ١٧ من سورة الزخرف كما سيشير الناظم في البيت الذي يليه.

(٥٠) الشجن : الهم والحزن.

(٥١) من الآية ٤ من سورة الشعراء.

(٥٢) من الآية ٧١ من سورة الشعراء.

(٥٣) من الآية ٣٣ من سورة الشورى.

(٥٤) من الآية ٩٧ من سورة طه.

(٥٥) من الآية ٥١ من سورة الروم – وهي بعد العنكبوت –

(٥٦) وهو (الظلة) من الآية ١٨٩.

(٥٧) السكن : كل ما سكنت اليه واستأنست به.

(٥٨) من الآية ٦٥ من سورة الواقعة – وهي قبل الحديد –.

(٥٩) من الآية ٩١

(٦٠) يعني سورة الانسان.

(٦١) من الآية ١١.

(٦٢) يعني سورة المطففين، والكلمة فيها في الآية ٢٤.

(٦٣) من الآية ٢٢.

(٦٤) هي : (انفضوا) في موضعين: ١٥٩ / آل عمران، و ١١ / الجمعة، و (ينفضوا) ٧ / المنافقون.

(٦٥) من الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٦٦) هم القراء السبعة: عبد الله بن عامر الشامي (ت ١١٨هـ) وعبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ) وعاصم بن ابي النجود الكوفي (ت ١٢٧هـ) وابو عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ) وحمزة بن حبيب الكوفي (ت ١٥٦ هـ) ونافع بن أبي نُعيم المدني (ت ١٦٩هـ) وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت ١٨٩هـ).

(٦٧) من الآية ٢٤ من سورة التكوير.

(٦٨) يعني ابن عامر.

(٦٩) يعني نافع بن ابي نُعيم.

(٧٠) يعني الكسائي.

(٧١) الأفن: النقص.

(٧٢) ذكاء- بضم الذال المعجمة- الشمس.

(٧٣) الدخن- بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة- الحقد.

(٧٤) رجعت في استفادة الكلمات الظائية المستعملة في القرآن الكريم والمشار اليها في هذه المنظومة الى كتاب: (معجم الفاظ القرآن الكريم) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ولمعرفة آياتها التي وردت فيها يرجع اليه أو الى مثل: (المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم) أو (هداية الرحمن لالفاظ وآيات القرآن).

والحمد لله رب العالمين

المراجـع
للمقدمة والتحقيق والتعليق

١ - القرآن الكريم.

٢ - الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد، ابن مالك الاندلسي (ت ٦٧٢ هـ) تحقيق حسين تورال وطه محسن (النجف الاشرف: م النعمان ١٩٧٢م).

٣ - الاعتماد في نظائر الظاء والضاد، ابن مالك ايضاً، تحقيق حاتم صالح الضامن (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ط ٢.

٤ - الاعلام، خير الدين الزركلي (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٩م) ط ٤.

٥ - تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (القاهرة: م الخيرية ١٣٠٦هـ) ط ١ «تصوير».

٦ - تذكرة الحفاظ، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، (حيدر آباد الدكن: م مجلس دائرة المعارف العثمانية) ط ٤.

٧ - تلخيص العروض، عبد الهادي الفضلي (جدة: دار البيان العربي ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ط ١.

٨ - التيسير، ابو عمر والداني (ت ٤٤٤هـ)، اعتناء اوتوبرتزل (استانبول: م الدولة ١٩٣٠م) «تصوير».

٩ - طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة وهبة (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ط ١.

١٠- طبقات المفسرين، الحافظ الداودي (ت ٩٤٥هـ) تحقيق علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة وهبة ١٣٩٢هـ- ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م) ط ١.

١١- غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) باعتناء برجستراسر (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ط ٣) «تصوير».

١٢- فائت نظائر الظاء والضاد، حاتم صالح الضامن، (مع كتاب الاعتماد لابن مالك).

١٣- الفرق بين الضاد والظاء، ابو القاسم الزنجاني (ت ٤٧١ هـ) تحقيق موسى بناي علوان العليلي (بغداد : م الاوقاف والشؤون الدينية ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣ م) .
١٤- كتاب في معرفة الضاد والظاء، ابو الحسن القيسي الصقلي، تحقيق حاتم صالح الضامن (بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م) ط ٢ .
١٥- كشف الظنون، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) ، (بيروت : دار الفكر ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م) « تصوير » .
١٦- لسان العرب ، ابن منظور (بيروت : دار صادر ...) .
١٧- محيط المحيط ، بطرس البستاني (بيروت : مكتبة لبنان ١٩٧٧ م) .
١٨- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (القاهرة: دار الشروق ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م) .
١٩- معجم البلدان ، ياقوت الحموي (بيروت : دار صادر و دار بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) « تصوير » .
٢٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ، (القاهرة : م دار الشعب ...) .
٢١- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (القاهرة : م دار المعارف ١٣٩٢ هـ- ١٩٧٢ م) ط ٢ .
٢٢- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة (بيروت : دار احياء التراث العربي ...) .
٢٣- هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن ، محمد صالح البنداق ، (بيروت : دار الآفاق الجديدة ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م) ط ١ .
٢٤- هدية العارفين، اسماعيل البغدادي، (بيروت : دار الفكر ١٤٠٢ هـ- ١٩٨٢ م) « تصوير » .

معجم شعراء أساس البلاغة

للأستاذ: عرفان عبد الباقي الأشقر

لا يخفى على الناظر في معجم أساس البلاغة للإمام جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٣٨هـ، وفرة الشواهد الشعرية واختلاف أصحابها من جاهليين وإسلاميين، متقدمين ومتأخرين، مشهورين ومغمورين، مكثرين ومقلين، وإن غلبت شواهد المخضرمين والإسلاميين، وقد بلغ عدد الشواهد الشعرية فيه، مايزيد على (٥٦٠٠)بيت وشطر، عزا الزمخشري نحو ثلثيها والباقي ساقه دون عزو، وقارب عدد شعراء الأساس الذين ذكر أسماءهم نحو«٣٧٦» شاعراً بعضهم ذكر الزمخشري أسماءهم وكناهم واكتفى في بعضهم الآخر بذكر ألقابهم وأحياناً بذكر كناهم، وبعض الشواهد أسندها إلى كتاب معين كالحماسة، وبعضها إلى قبيلة معروفة، وأحياناً يذكر من رواه أو أنشده من العلماء، واختلفت عبارته في تقديم الشواهد غير المنسوبة، فمرة يذكر :«وقال» وأخرى :«وقال أيضاً» وحيناً : «وله أيضا» وغالباً ما كانت عبارته : «وقال أيضا» و «وله أيضاً» تشير إلى أن الشاهد لشاعر الشاهد السابق المنسوب، أمّا قوله :«وقال» فهي على الأعم والأغلب تشير إلى شاعر آخر غير صاحب الشاهد السابق المنسوب،

منهجي في العمل.

١ - اعتمدت في عملي مصورة إحياء المعاجم العربية ١٣٧٢هـ ١٩٥٣م التي أشرف على إخراجها محمد نديم عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤١هـ بتحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود.

٢ - لم أهمل أي شاهد شعري منسوب أكان بيتاً تاماً : أو شطراً أو بعض شطر

٣ - ترجمت للشعراء المغمورين ما استطعت ذلك بايجاز ولبعض المشهورين الذين ورد خلاف في أسمائهم أو أعصرهم.

٤ - تحققت من نسبة الشواهد التي اكتفى الزمخشري فيها بإيراد لقب الشاعر أو اسمه دون الكنية أو الكنية فقط لكثرة تشابه الأسماء والألقاب ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٥ - في البدء أوقعتني عبارة الزمخشري في تقديمه لبعض الشواهد «وقال» في لبس فظننت أنها لشاعر الشاهد السابق المنسوب لأنني وجدت بعضها كذلك، لكني عدت بعد ذلك : اليها فحاولت عزوها إلى أصحابها ما أمكنني ذلك.

٦ - أشرت أحياناً إلى اختلاف رواية الشاهد أو نِسْبَتُهُ إلى شاعر آخر.

٧ - نسبت قدر جهدي الشواهد التي نسبت نسبةً غير محددة وهي ما ورد في نسبته إلى الهذليّ أو الحماسيّ وألحقتها بشواهد أصحابها ذاكراً الشاهد الشعري تاماً.

٨ - اعتمدت في ترتيب أسماء أصحاب الشواهد الصورة التي وردت في الأساس معتبراً اللقب والكنية كالاسم وافردت الكنىْ فجعلتها في آخر حرف الهمزة.

٩ - أشرت أحياناً إلى ما وقع من خطأ أو سقط أو تحريف في الشاهد أو في اسم صاحبه.

١٠- خرّجت بعض الشواهد.

١١- وضعت علامة «X» بعد الجذر اللغوي إذا ورد للشاعر شواهد في أكثر من موضع في المادة نفسها

١ -أَبَاق الدُّبيري

نفذ

كنيته أبو قريبة «عن التاج «أبق»

- أبان بن عبدة

يقظ

لم يرد الاسم صريحاً وإنما ورد«الحماسيّ» انظر الحماسي«يقظ» وهو أبان بن عبدة بن العُيار في الحماسة شرح **المرزوقي ص(٦٣٤)**

٢- الأُبَيْرِد بن المُعذَّر

تمر

ويقال له أيضاً «الأُبير واليربوعي» وهو الأُبير بن المعذر بن قيس شاعر فصيح بدوي من شعراء الإسلام وأول دولة بني أمية انظر البيان والتبيين(٨٥/٤)حاشية والمؤتلف والمختلف(٢٤)وفي مختار الأغاني لابن منظور(٣٤٥/١)«الأُبير الرياحيّ» وفيه: وليس بمكثر ولا مدح الخلفاء ولا وفد عليهم» وذكره في جمهرة اللغة (١٣/٣) «الابيرد بن المعذَّر الرياحيّ»

٣- الاحنف

صعد

ورد الشاهد للأحنف دون تحديد والبيت في اللسان(صعد)للأحنف دون تحديد وهو للأحنف بن قيس في «سرح العيون»(٥٨)والأحنف هو الضحاك وقيل صخر بن قيس انظر الأعلام(٢٧٦/١)

٤- الأحوص

رفع - شفع - ضرع - عزل - فظع - نسم.

عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري عن الأعلام (٤ / ١١٦) وفي سير أعلام النبلاء) (٤/٥٩٣) عبد الله بن محمد بن عبيد الله

٥-أحَيْحَه

ذمر - عقل

...بن الجُلاح الأوسي والشاهد في «عقل» في مختار الأغاني(١/٣٥٨) لأحيحه بن الجلاح .ت(١٣٠)ق.هـ

٦- الأخطل

بدد X بسل - جهر - حدب - حرر - حلم - حور X - خرس - خرط - خزر - خصم - دبب - ربع X - ر بل - رحي - رشأ - رعث - رعد - رغو - ركل - رهن - زجر - زعزع - شهر - شول - صمع - ضمر - ضوع - ضيق - عجز - عصر - عضض - عفوا - عين - غصص - غلل - غول - فرج - فسكل - فوت - فيض - قعد - قود - كذب - كلأ - كمم - كيل - لكك - مدد - مشق - موت X - ميز - نبأ (١) - نبح - نجد - نقل - نمل - وري - وسع - وشظ - وعك.

البيتان في (نبأ) وردا دون نسبة وهما:

ألا فاسقياني وانفيا عنكما القذى ... وليس القذى بالعود يسقط في الخمر
ولكن قذاها كل أشعث نابىء ... أتتنابه الأقدار من حيث لا ندري

وهما في ديوان الأخطل بتحقيق الدكتور قباوة(٤٨٥-٤٨٦)باختلاف في الرواية

- الأخنس بن شهاب

زرب

لم يرد الاسم صريحاً وإنما ورد« الحماسيّ» انظر« الحماسي»« زرب» وهو ابن ثمامة التغلبي ت« ٧٠» ق . هـ عن الأعلام (٢٧٧/١)

أرطاة بن سُهيّة

زرب

لم يرد الاسم صريحاً وإنما ورد « الحماسي» انظر « الحماسي» « زرب» وهو أرطاة بن زفر القطفاني المرّي ، أبو الوليد بن سهية وهي أمه انظر الأعلام « ١ / ٢٨٨ » .

أسامة بن الحارث الهذليّ

خدر - ربع - هبط

ورد الشاهد في خدر منسوبا إلى الهذلّي» « خدر » « وربع» .

وهو أحد بني عمرو بن الحارث ذكره المرزباني في معجمه وقال مخضرم «عن الاصابة ١ - ١٠٤ » وأسامة هذا لم ترد له ترجمة وافية انظر الشعر والشعراء» لابن قتيبة « ٤١٩ » ويُكنى أباسهم» وهو في اللسان « ربع» أسامة بن حبيب الهذلّي.

٧- أسد بن ناعصة

نجع - نمش

ورد اسمه في « نجع» أسد بن باعصة بالباء وأظنه خطأ مطبعيا وهو أسد بن ناعصة بن عمرو التنوخي جاهلي انظر الاعلام « ١ - ٢٩٨ » وكان صعب الشعر وقلما يروى شعره لصعوبته وهو الذي قتل عُبيدا بأمر النعمان « عن لسان العرب « نعص »

روح

الشاهد في اللسان والتاج «روح» و «سدف» وفيهما جميعا دون تحديد

٨- الاسعر الجعفي

حصن - سعر

مرثد بن أبي حمران الحارث بن معاوية الجعفي جاهلي انظر الاعلام «٧١ - ٢١٠» كنيته «أبو زهير» في كنى الشعراء لابن حبيب (٢٩٣) والشاهد في «سعر» في الجمهرة باختلاف في الرواية وهو عنده الاسعر بن مالك الجعفي» جهرة اللغة «١ - ٢٠٢»

٩- الاسعر بن يعفر النهشليّ

حتف - حضر - قنأ - مذل

الشاهد في «حتف» وكذا في «قنأ» وردا للاسود دون تحديد الشاهد «حتف» ورد في قصيدة للاسود بن يعفر في كتاب الاختيارين للاخفش الاصغر (٥٦٠) والشاهد في «قنأ» في اللسان «قنأ» للاسود بن يعفر .

وهو الاسود بن يعَفر (يعَفرُ) (يَعْفِر) أعشى ابن نهشل كنيته ابو الجراح جاهلي فحل انظر المفضليات (٢١٥) حاشية

١٠- الاشتر

لجج - ومض

ورد الشاهد في «ومض» «للاشتر دون تحديد وهو للاشتر النخعي في اللسان «شمس» واسمه مالك بن الحارث

١١- الاشعث بن قيس

عطف

بن معدي كرب الكندي

١٢- الاعشى

أبب - أثل - برد - برر - بغى - تلع - جثل - جدل - جدي - جرل - جرم - جسر - جنف - جوع - جول - حبب - حبك - حجم - حذر - حرز - حرم - حصي - - حضن - حفو - حلج حمر - خشم - خذل- خرت - خزل- خلو - دعم - دفق - رأي × رجع - رزأ - رضع - رقق × - رنب - رهص - ريش - سبح - سفن - سمع - سنق - سود - شبو - شحم - شرخ - شزن - شفع - شيط - صقب-صوك- ضحك- ضمر- طرد- طمو- ظلل- عذر- عصف- عكف- عمد - عمر - عيف - غرف - غرق - غلو - غمد - فتل - فرع - فوق - قرد - قرف - قزع - قود- كثر - كذب - كرر - كسح - كفل - كلل - كمم - لطط - لعو - لوث - لوح - لوي - مصد - مصع - مطق - مهل - نجب - ندف - نشد - نضو - نطق - نكر - هبب - هضم - هكل - وبل - وجد - وحي - وزر - وصل - وضح - وفد - وقذ - يدي - يرق - يقن

الاعشى: ميمون بن قيس

ورد «في عيف» صدر البيت هكذا «وما تعيف» والصحيح «ما تعيف» فهو من الرمل

١٣- أعشى همدان

بخخ - جذف - زحف
عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الأعلام «٣/٣١٢»

١٤- الاعور النبهانيّ

قرن

الشاهد نقائض جرير والفرزدق (١ / ٣٢) وقائله العتّاب أعور بني نبهان واسمه نعيم بن شريك، وذكر ابن دريد في «الاشتقاق» (٣٩٥): ومنهم الاعور وهو حريث بن عتّاب الشاعر الذي كان يهُاجي جريرا وفي الحاشية (٢) « وعنان أيضا بالنون الاعور النهاني الذي هجا جريراً،» ١ هـ ، قال الامير: قال الكلبي: اسمه سحمه بن نعيم الاخنس وفي معجم الشعراء للمرزباني «٨٧» الاعور النبهاّني الطائي اسمه عدي بن أوس وقيل اسمه: سمُحة بن نعيم وكان يهاجي جريراً. وفي الموئتلف والمختلف (٤٦) نبهان بن عمر بن الغوث. وفي الأغاني (١٤- ٣٨٢) وما بعد ترجمة لحديث بن عناب لم يشر فيها الى لقبه ولا إلى هجائه جريرا وذكر فيه « شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأُموية وليس بمذكور في الشعراء لأنه كان بدويا مقلاً غير متصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ولا يعدو شعره امر ما يخصه»

١٥- الأغلب

أُطط - ذكر - رحح - فثر - قعب - كفح - لحف
الاغلب العجلي مخضرم عرف بالأغلب الراجز

الشاهد في «أُطط» ذكره في اللسان وقال: قال ابن بري: هو للراهب. وذكر مثله في التاج وقال: ومثله قول أبي محمد الاعرابي والآمدي والصحيح أنه للأغلب العجلي، وهكذا ذكره ابن سلام الجمحي في الطبقات في ترجمة الاغلب كما حققه الصاغاني.

والبيت رواه ابن سلام في الطبقات ط ١ ص (٥٧٢) وط (٢) ص (٧٣٨) والشاهد في قعب في التاج للأُغلب العجلي

١٦- الأفوه الأوديّ

تجر - خور - ذعر - ذنب - رعف - طبق - فضل - نضر - نظم - [١] هفف[٢]

١٧- امرؤ القيس

أوب - أيد - بزز - بصر - بطن - بلق - بهي - تمم - ثعل -ثنن - ثني - ثوب - جرو - جزع × - جسر - جفر - جمع - جوز - حبو × حذف حن حرس - حزم - حفف - حفل - حقب - خذف - حرن - خضد - خطأ - دبأ - دري - ذقن - رصص - روح - زيم - سبي - سعف - سفر - سفن - سمو - سوف - شنن - شعف - شلو - شنج - صحب - صفر - ضجع - ضلع - ضمم - ضيف - عجم - عزل - عفر - غطط - غلب - ملك - فيأ - قتر - قدر - قدس - قصر - قضي - قعب - قصص - قوس - كمش - لبس - لثق - مجر - معمع - نأنأ - نبل - نحض - نصل - نمي - نوط - هبب - هزز - همر - هكل - هنأ - هنو - ودق - ورد ورس - ورق

١٨- امرؤ القيس الكندي

طهو - ظنن

هو امرؤ القيس بن عانس شاعر مخضرم من اهل حضرموت توفي نحو (٢٥) هـ عن الاعلام (٢ / ١٢) وفي الشعر والشعراء « ابن عابس » بالباء وكذا في الاشتقاق لابن دريد (٣٧٠) وفيه « عابس بن المنذر ».

---

(١) وردت الشواهد للافوه دون تحديد وهي على التتابع في ديوان الأفوه الأودي باختلاف في الرواية ص (١١) - (٢٠) - (٦)

(٢) البيتان في (هفف) في الديوان ص (١٦) و (١٨)

أمية بن أبي عائذ الهذليّ

طرح - فرغ - لوذ

ورد الشاهد في «لوذ» منسوبا إلى الهذلي دون تحديد انظر الهذلي «لوذ» ذكره في الاصابة (١- ١١٣) في المخضرمين الذين لم يرد خبر قط انهم اجتمعوا بالنبي ﷺ

١٩- أمية بن أبي الصلت

جسر - حتف - رتق - ركب - صلب - عيط - فرج - فوق - قلد - كثف - كرب - هرش - وجه - جحجح

الشاهد في «رتق» ورد للأمية دون تحديد وكذا في «ركب» والشاهد في «ركب» في اللسان والتاج لأمية دون تحديد والشاهد في « صلب » ورد دون تحديد وكذا في «عيط» وهو في اللسان والتاج لأمية دون تحديد اما الشاهد في «فرج» وهو :

«ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال» فقد ورد دون نسبة والبيت في خزانة الادب ٢ - ٥٤١ وذكر البغدادي ان الشاهد قد وجد في اشعار جماعة والمشهور انه لأمية بن أبي الصلت من قصيدة طويلة وذكر ان جامع ديوانه محمد ابن حبب رواه باختلاف يسير وذكر ايضا ان البيت وجد أيضا في قصيدة رواها الاصمعي لأبي قيس اليهودي وقيل: لابن صرمة الانصاري وقال ابن المستوفي في شرح شواهد المفصل: إنه وجده في أبيات لأبي قيس بن صرمة ووجد ايضا في أبيات لحنيف بن عمر اليشكري ووجد في أبيات لأعرابي ورواه صاحب الحماسة البصرية لحنيف بن عمير وفي المقتضب للمبرد (١ / ٤٢) دون نسبة وفي الحاشية نسبه سيبويه الى أمية بن الصلت وقد جاء البيت في شعر عبيد بن الابرص.

الشاهد في «فوق» ورد لأمية دون تحديد.

الشاهد في « قلد » ورد دون تحديد وهو لأمية بن ابي الصلت في اللسان والتاج الشاهد في « كثف » ورد لأمية دون تحديد وهو لأمية بن أبي الصلت في التاج.

الشاهد في « كرب » ورد لأمية دون تحديد وهو لابن ابي الصلت في التاج .

الشاهد في « هرش » ورد لأمية دون تحديد .

الشاهد في « وجه » روى الزمخشري عجزه في صلب وهو في كليهما دون تحديد

الشاهد في « جحجح » وهو « ماذا ببدر فالعقنقل في مرازبة جحاجح » رواه الزمخشري لابن الزبعري وهو في التاج لأمية بن أبي الصلت وكذا في معجم مقاييس اللغة (١ / ٤٠٥) وقال محقق المقاييس في الحاشية : هو من قصيدة عدتها (٣١) بيتا رواها ابن هشام في السيرة (٥٣١- ٥٣٢) وذكر ان البيت في المجمل واللسان (جحح) دون نسبة

٢٠- الامير الشريف

كدس - نشب - ولث .

أظنة علي بن عيسى بن حمزة بن وهّاس من اهل مكة وشرفائها وامرائها قرأ على الزمخشري بمكة انظر معجم الادباء (١٤ / ٨٥) .

والشواهد التي أوردها الزمخشري للامير لا ادري اهي للأمير أم لغيره فما قدّمها بهِ لا يقطع بنسبتها الى الامير سوى في «ولث» فقد ذكر قبل البيت : وفي بعض نفاثات الامير ....أما في «كَدس» فقد ذكر قبله : ما كتبه لي ...وفي «نشب» ذكر قبله سمعت الامير ....

٢١- أنس بن أبي إياس

هيب

شاعر إسلامي اسمه أنس بن أبي أناس أو ابن أبي إياس بن زنيم الكناني الديلي أو الدئلي وهو ابن أخ سارية بن زنيم الصحابي والبيت في أبيات رواها الجاحظ في الحيوان (٣ / ١١٦) و (٥ / ٢٥٥) وانظر التاج (أنس) وفي الاصابة (١ / ٦٩) وهو أخو أسيد ابن أبي إياس الصحابي وفي (٤/ ١١) ذكر أبو عمر : أنس بن أبي أُناس استخلفه الحكم بن عمرو على خراسان حين حضرته الوفاة .

٢٢- أوس بن حجر

أدم - أكل× - بضع - جمم - حفر - حوط - خبل - خرد - خطم - خمط - خون - دعو - دمر - رجع - زبن - زجج - سعد - شرط - شلل - شوس - صنول - طلع - عجب - عضل - فتأ - فغو - قرس - قرم - قلع - قمع - كتر - كعب - مرض - مظع - منن - نبض - نطع - نمر - نهم - هول - وشج

الشاهد في «دمر» عجزه في «سقف» دون نسبة وردت الابيات في «أدم» و «أكل» و «حوط» «وشوس» و «ضول» و «فتأ» و « ففوا» مقطوعة النسبة الى أوس بن حجر وما تبقى وردت لأوس دون تحديد الشاهد في «بضع» في ديوان أوس (٨٥) باختلاف يسير والشاهد في « جمم » في الديوان (٤٤) والشاهد في «خبل» في الديوان (٢١) باختلاف في الرواية وذكر في تخريجه انه في الكشاف لطرفة وكذا في المفصل وهو في ديوان طرفه (١٤٧) والشاهد في «خرد» في الديوان (٢٦) واللسان والتاج والشاهد في (حطم) في التاج «بلخ» والشاهد في «خمط» في د / ١٢٢ والشاهد في «خون» في د / ٢٢ والشاهد في « دعو » في د/ ٣٢ والشاهد في «دمر» في د/ ٧٠ والشاهد في رجع في د/٦٧ والشاهد في «زبن» في د/ ١٢١ والشاهد في زجج في د/٨٣ وفي اللسان والشاهد في « زبن » في د. ١٢١ والشاهد في زجج في زجج في د/ ٨٣ وفي اللسان والشاهد في «سعد» في د/ ٩٥ والشاهد في «شرط» في د/ ٨٧

٢٣- اياس بن حصين

فرض

أياس بن حُصين بن زياد بن عقفان بن سويد كوفي كان في زمن الحجاج، والشاهد في نقائض جرير والاخطل (٢١٢) باختلاف يسير وذكر رواية نقائض جرير والفرزدق وقال «منعَة» تصحيف وهو في نقائض جرير والفرزدق (٨٩٦) باختلاف

٢٤- أياس بن سهم الهذليّ

غزل - فحو

٢٥- اياس بن الوليد

غلو

٢٦ - ابن احمر

بصر - جنن - جهل - جور - حبر - حبي - خزز - دفع - رضض - رنب - رنو - روى - زبر - زبل - زغل - شكك - صمم - ضرب - طرق - طنب - عرش - عضض - قبل - قدع - كري - لدد - لمس - مرر - نزل - هلل - هوج - وأم - وفد

عمرو بن أحمر الباهلي

الشاهد في «بصر» في د/٨٥ والشاهد في «جنن» في د/١٥٩ والشاهد في «جهل» في د/١٤٩ والشاهد في «حبر» في د/٧٠ والشاهد في «حبي» في د/٤٣ باختلاف والشاهد في «خزز» في د/٥٩ باختلاف

ابن أم دينار

أنظر زميل

- ابن جؤيّة

انظر ساعدة بن جؤية

٢٧- ابن حسان

ختم

ورد الشاهد منسوباً لبعض ولد حسان في عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهما اثنان

عبد الرحمن بن حسان وسعيد بن عبد الرحمن وكلاهما عاش إلى ما بعد وفاة عمر رضي الله عنه

٢٨- ابن الدمينة

خيس – نجم – هدر
عبد الله بن عبيد الله والدمينة أمه.
الشاهد في« خيس » ينسب لابن ميادة انظر ديوان ابن ميادة(٢٤٩)

٢٩- ابن الرّقاع

أبر – جسأ – جنح – شطف –فشغ – نوف
أبو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي نسبه الناس إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته
الشاهد في «أبر » في الشعراء الشاميون ص(٥٢)وفي الطرائف الأدبية ص (٨٨)البيتان في« جسأ» في الطرائف الأدبية ص (٩٦) والشاهد في « جنح» في الطرائف الأدبية(٨٣) باختلاف في الروايه والشاهد في « شطف» في الشعراء الشاميون (٥٣) باختلاف يسير في الرواية وكذا الشاهد في «فشغ» ص(٥٣)باختلاف في الرواية والشاهد في « نوف » كذلك ص (٦٣)باختلاف في الرواية .

٣٠- ابن الزبعرىٰ

جحجح – روح – ورد
الشاهد في « جحجح» نسبه الزمخشري إلى ابن الزبعرىٰ وهو لأمية بن أبي الصلت أنظر«أمية» والشاهد في «روح» في د/٢٩ باختلاف في الروايه وهو في البداية والنهاية ١٣٢/٤ كرواية الديوان والشاهد في« ورد» في د/٥١

٣١ - ابن شعواء الفزاريّ

جدي

٣٢- ابن عضاة

تبن

٣٣- ابن عنّاب

وجىْ

الشاهد في التاج واللسان(وجى)دون نسبة وابن عناب : هو حُريث بن عناب النبهاني الطائي شاعر إسلامي أموي مقل انظر الخزانة(٥٨٨/٤)وربما كان هو الأعور النبهاني انظر الأعور النبهاني والاختلاف في اسمه

٣٤ - ابن عَنْقاء الفزاريّ

رغد - لحظ

عبد قيس بن نجوة أخو بني مازن بن فزاره «نوادر المخطوطات، القاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه لابن حبيب» ص ٣٠٩

قيس بن بجرة وعنقاء أمه عاش في الجاهلية دهراً وأدرك الاسلام كبيراً وأسلم وقيل عبد قيس... عن «معجم الشعراء» للمرزباني ص (١٩٩) الشاهد في «لحظ» أورده الزمخشري منسوبا الى عبد قيس بن بجرة

ابن فسوة

انظر عتيبة بن مرداس

٣٥- ابن القمقام

لوذ

٣٦- ابن قيس الرقيّات

روق - شعو - صنف - عقل - غسق - قتل - قلو - فصع

الشاهد في «غسق» ورد منسوبا الى ابن قيس دون تحديد وهو في اللسان «غسق» لابن قيس الرقيات والشاهد في (روق) في د/ ١٧٥ باختلاف في الرواية

ابن كراع

انظر سويد بن كراع

٣٧- ابن مالك العيني

عضر

٣٨- ابن مُطير

رفف(١)

(١) د/ ٤٨

٣٩- ابن مفرّغ

دثر (١) - كفر (٢)- لبس (٣)

(١) د/ ٢٣٤ عن الاساس (٢) د/ ١٣٨ باختلاف في الرواية (٣) د/ ١٦١

٤٠- ابن مقبل

أني - بجس - بذأ - بهج - بوب - تبع - ترة - تلو - ثرى - ثمر× - جدع - جذو - جنب - جهل - حجج - حدج - حذو - حرز - حفل - حوط - حيف - خفر - خلو - خيل - دثر - دلق - ذخر - ذنب - ذود - ذوق - ذيل - رأى - رخو - ردي - رسس - رسن - رفع - ركض - رويد - سرق - سطر - سمع - سمر - سمن - سير - شور - صحح - صلل - صند - صنع - صنف - صهل - صوغ - - ضأن - ضفو - طلو - طوع - ظلم - ظهر ·· عذق - عطف - عود - عـود - عيـن - غدو - غمد - فتر - فضل - قبل - قتل× - قدم - قذع - قطو - قند - قود - قوس

- كهل - لحف - لحم - لدم - لزز - لصق - لطم - مدد - مرح - مصع - ملل - منح - نبذ - نزع - نشش - نقذ - نمر - نهي - نوم - هرت - وقص - ونى - يسر

في «جنو» بيتان اولهما نسبه الى ابن مقبل وثانيهما ساقه دون نسبة وهو في د/٥٦
كأن خصيف الجمر في عرصاتها مزاحف قينات تحاذين أثمدا
الشاهد في «حفل» في ديوان الراعي للراعي ص (٤٦) والشاهد في «هرت» هو الشاهد نفسه في «ظلم» انظر «زهير بن أبي سلمى» خوف

٤١- ابن مولى المدني

قلب

محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الانصار شاعر مضيف أسنّ حتى الحق الدولة العباسية عن معجم الشعراء للمرزباني ص (٣٤٢) .

٤٢- ابن ميادة

أفك - بهر - ترس - حرج - درس - ذمم - سور - شطن - ضول - قرد - ملأ - منن - نحر - وعد

الرماح أو رماح بن أبرد بن ثوبان وميادة لقب أمه ت بين ١٣٦ و ١٤٦ هـ «عن الديوان».

الشاهد في «أفك» في د/١٨٢ والشاهد في «بهر» في د/١٣٥ باختلاف في الرواية والشاهد في «ترس» في د/١٤٧ والشاهد في « حرج » في د/١٧٧ والشواهد في «درس» ساقها الزمخشري في « قنع » دون نسبة وهي في ديوان ابن ميادة (١٧٩) باختلاف في الرواية والشاهد في «ذمم» في د / ١٧٣ والشاهد في «سور» في د/١٥٦ والشاهد في «سُطن» في د/٢١٣ باختلاف في الرواية والشاهد في « ضول » في د/١٨٧ باختلاف في الرواية والشاهد في «قرد» ينسب الى ابن ميادة أو الى ملحة

الجرمي او الى عدي بن الرقاع انظر ديوان ابن مياده (٢٥٥) والشاهد في «ملأ» في د/ ١٢١ والشاهد في «منن» في د/ ٢١٤ والشاهد في «نحر» في د/ ١٥٦ والشاهد في «وعد» في الديوان (١١٢) .

انظر «ذو الرمة» «جسر» و «ابن الدمينة» «خيس»

٤٣- ابن نعيم

بدل

الشاهد في اللسان «مذر» لـ «شوّال بن نعيم» وفي «بدل» لـ «الشوّال بن نعيم» وقال انشده يعقوب في الالفاظ. والشاهد في التاج «بدل» دون نسبة باختلاف في الرواية وهو في «مذر» لـ «شوال بن نعيم» وفي «شول» ذكر «وسالم بن شوّال ابن نعيم المكيّ تابعي».

٤٤- ابن هرمة

بلع - حور - درج - رهق - شرر - ضلع - طرق - طنب - عبر - عطب - غبب - فصح - قطم - كرس - لبأ - مزح - نخس - هدر - هدم - وعث

٤٥- أبو أسامة

وقف

روي الشاهد منسوبا الى أبي أسامة دون تحديد وهو أبو اسامة الجشمي» معاوية بن زهير شاعر فارسي مخضرم والشاهد له في الاختيارين ص ٢٦٢ باختلاف في تبسيط في الرواية

٤٦- أبو الاسود الدؤلي

دمل - كسو

البيتان في «دمل» و «كسو» وردا منسوبين الى ابي الاسود دون تحديد البيت في

«دمل» في اللسان لأبي الاسود دون تحديد وفي التاج قال: قال ابو الحسن وهو في ديوان أبي الاسود ص/٨٥ وذكر المحقق انه في حماسة البحتري ص/١٤٩ لأبي الاسود الكناني، والشاهد في «كسو» لأبي الأسود الدؤلي في وفيات الاعيان ٢/٥٣٨ ومختار الاغاني ٤/٣٩٤ وفصل المقال ٣٦٨ وديوانه ٤٢ باختلاف في الرواية.

٤٧- ابو الاسود العجلّي

قشو – متع

٤٨- ابو بثينة الباهلي

نجو

كذا ورد وهو تصحيف «الصاهليّ» فالشاهد لأبي بثينة الصاهلي من هذيل ثم القُرمي يهجو سارية بن زنيم في شرح اشعار هذيل ٢/٧٣١.

٤٩- ابو بكر الصديق

سفو

٥٠- ابو تمام الطائي

حرب – رفف – تمهل – نأد

الشاهد في «حرب» نسبه الى الطائي دون تحديد وهو لأبي تمام في مديح الحسن بن رجاء والشاهد في «رفف» نسبه الى الطائي دون تحديد وهو عجز بيت من قصيدة لابي تمام يمدح مالك بن طوق التغلبي ديوانه ٣/١٩١.

٥١ - أبو ثمامة بن عازب الضبيّ

شفف

من شعراء الحماسة اسمه البراء شاعر جاهليّ مقل فارس» عن ديوان الحماسة مصورة عن طبعة مصر شرح محمد عبد القادر الرافعي «١/٢٥٥»

٥٢- أبو جندب الهذليّ

رمى – نشر

أبو جندب بن مرة القِردي من شعراء هذيل عن ديوان الهذليين القسم الثالث ٨٦

٥٣- أبو الجهم الجعدي

قبص

٥٤- أبو الحسن

روق

٥٥- أبو حمزة الصوفي

دوح

محمد ابراهيم في كبار شيوخ الصوفية ت (٢٩٦) هـ عن «المحمدون من الشعراء» ص ١١٩

٥٦ - أبو حيّة النّميري

رقل – ظفر – قصب – كرم

الهيثم بن الربيع توفي سنة بضع وثمانين ومئة في رواية البغدادي» عن الديوان ورد الشاهد في «رقل» منسوبا الى الهذلي انظر الهذليّ « رقل»

٥٧- أبو خِراش

جرض – حتم – ذلق – ربل – رحم – رفو – فرن – كهل – هدى

خويلد بن مرة شاعر مخضرم عن الخزانة (١ / ٢١٢).

الشواهد في « جرض» و «حتم» و « ذلق » و رحم » و « فرن » وردت منسوبة الى الهذلي دون تحديد فانظرها هناك

٥٨- أبو ذهبَل

كتن

وهب بن زَمَعة بن أسيد بن جمح

٥٩- أبو دؤاد

بعق- تمم- ثعب- حضر- ذكر- رذي- زرر- شجو- شمم- صعلك- غرث- فهد- قرم- قسس- قصب- قوت- كبب×- لذع- لوث- مره- وتد- يسر.

جارية بن الحجاج وقيل غير ذلك وذكر في المؤتلف والمختلف (١١٦) أبو الايادي واسمه «جويرية بن الحجاج» وانظر ديوانه ففيه ذكر لأسماء اخرى. الشواهد في المواد كلها تقريبا ساقها الزمخشري منسوبة إلى أبي دؤاد دون تحديد.

الشواهد في «دبق - تمم - ثعب - شجو - شمم - صعلك - غرث - فهد - مرة - وتد - يسر» هي في ديوان ابي داود الايادي في «٣٢٨ - ٣٣٩ - ٢٩٥ - ٣٤٨ - ٣٣٤ - ٢٩٨ - ٣٥٢- ٣٠٣ - ٣٢٣ - ٣٠٧ - ٢٩٣»

والشاهد في «شمم» ذكر في هامش الديوان: «أن صاحب الاساس وهم في نسبة هذا البيت الى ابي دواد الايادي ويرجع نسبته الى ابي دؤاد الرؤاسي» وهو في القصيدة الميمة المنشورة في مجلة المورد العراقية السنة الثامنة العدد الثالث ص ٢٨٢ لأبي دواد الرؤاسي

والشاهد الثاني في «ذكر» ومطلعه /أوف ما رقب .../ في الديوان ٣١٩

أبو ذؤيب

جرس - جزر - جمل - حذق - حيف - خرم - خلس- ذأب - ذبح - ذمي - ربث - رغم - زيت - سمج - سمل - سوح - شرب - شرج - شمع - شوىٰ -

---

الشاهدان في «شوىٰ» و «ضمد» لم ينسبهما الزمخشري إلى أبي ذؤيب وإنما إلى الهذّلي «شوىٰ» و «ضمد»

شيح – صيد – ضمد – طأطأ – طرح – طنف – عذر – عرض – عرف – عقب – عوق – فحش – فلج – قبب – قرح – كدس – كشح – مري – مشج – نبل – نجس – نزح – نطل – نفص – نوب – نيل – وشع – يمس –

٦١ – أبو الرُّبيس

بتر – خنر

عبادة بن طهفة المازني وأورد البغدادي في الخزانة ٢ / ٥٣٤ عن صاحب الجمهرة اسمه: عباد بن الثعلبّي المازني وفي التاج «ربس» ذكر: «وأبو الربيس عباد بن طهمة بالميم في التكملة وتبعه الفيروز آبادي، وذكر الحافظ: طهفة ....الثعلبي وذكر ان رواية اللسان: التغلبّي تصحيف».

الشاهد في «بتر» في التاج والشاهدان في «بتر» و «خنر» في اللسان «بتر» وساق الشاهد في «خنز» في اللسان «خنز» دون نسبة.

٦٢ – أبو زُبيد الطائيّ

برد – جدع – جوب – خير – سرو – سوأ – صلي – علق – عول – غمس – قرس – قسو – كلل – نظر – نقد – وتر – ولي – وهم

المنذر بن حرملة أو حرملة بن المنذر

الشواهد أوردها الزمخشري لأبي زبيد دون تحديد سوى الابيات في «عول – قسو – كلل»

الشاهد في «جوب» في الخزانة ١٥٣/٢ لأبي زبيد الطائي والشاهد في «سوأ» لأبي زبيد الطائي في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ٦٠٤ والشاهد في «علق» لأبي زبيد الطائي في اللسان (حمر) والشاهد في «قرس» لأبي زبيد الطائي في معجم الادباء ١٠ / ٢٠٣ وكذا الشاهد في «نظر» فيه ١٠ / ٢٠٢ والشاهد في «غمس» في لسان العرب «غمس» لأبي زبد وذكر عبد السلام هارون في «تحقيق لسان العرب» مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ج ٢٦ ص ١٢٠ ان البيت لأبي زبيد الطائي وهو في ديوانه ص ٤٥.

- أبو السوداء العجلّي

شيح

البيت غير منسوب في الاساس ومطلعه «إذا سمعن الرّز من رباح...» وهو لأبي السوداء العجلي في اللسان «شيح».

٦٣- أبو شأس

روىْ

الشاهد في اللسان «روىْ»دون نسبة.

٦٤- أبو شجرة

غطل

عمرو بن عبد العُزىٰ بن عبد الله بن رواحة من سُليم عن «نوادر المخطوطات، كذا «الشعراء» لابن حبيب «٢٨٤» وفي الأعلام ٣/١١٩ سليم بن عبد العزّىٰ بن عبيد السُّنمي أمه الخنساء الشاعرة وذكر الزركلي في الحاشية «١» انه في الكامل للمبرد ١/١٨٦ «عمرو بن العُزّى» وقال الطبري اسمه: سليم بن عبد العُزّى وهو في الاصابة سليم أيضاً» ١ هـ.

٦٥- أبو صخر الهذلي

جمر - دعب - طوس - وهب

عبد اللهّ بن مسلم بن سهم الهذليّ في «معجم الشعراء في لسان العرب» وفي الاعلام ٤/ ٩١ عبد الله بن سلمة وذكر في الحاشية «وفي اسم أبيه خلاف منشأه التصحيف»

أبو صعترة البولانيّ

نتج

ورد البيت منسوبا الى الحماسي وهو في الحماسة شرح المرزوقي لأبي صعترة البولاني – انظر الحماسي (نتج)

٦٦- أبو طالب

حفر – رفف – سيح – نضح – نوط – هلك

عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم – الشاهد في «حفر» في سيرة ابن هشام ٣٧٨/١ والشاهد في «نضح» في اللسان «نضح» والشاهد في «هلك» في سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٥ والخزانة ١ / ٢٥٨ .

٦٧- أبو الطمحان القينيّ

سرق – قهو – قيأ – ملح

حنظلة بن شرقيّ احد بني القين من قضاعة وقيل في اسمه ونسبه ربيعة بن عوف بن غنم ابن كنانة بن القين» الاعلام ٢ / ٢٨٦ .

٦٨- أبو الطيب المتنبيّ

سر – سعط

٦٩- أبو عبيدة

خلج

معمر بن المثنى والشاهد في بغية الوعاة ٢٩٥/٢

٧٠- أبو عبيد السلامي

سنن

كذا ورد الشاهد منسوبا الى أبي عبيد والشاهد من قصيدة لعبيدة بن عبد العزى السلّامي ابن عم الشنفرى وهو شاعر جاهلي عن «قصائد جاهلية نادرة» ١٣٠

٧١- أبو العميثل

حرز

عبد اللهّ بن خُليد بن سعد «عن الاعلام ٤/٨٥» وفي الخزانة ٢/ ٢١٠ ابو العميثل عبد اللهّ بن خالد.

٧٢- أبو العلاء المعرّي

نبط

٧٣- أبو العيال الهذليّ

زحف - قوس

ابن أبي عنترة أو ابن أبي عنبر وهو أحد بني خُناعة بن سعد بن هذيل مخضرم عُمّر إلى خلافة معاوية، عن الاغاني «٢٤/١٩٧»

٧٤- أبو الغريب النّضريّ (البصريّ)

جذو - رنح

نسب الزمخشري الشاهد في «جذو» الى أبي الغريب النّضري وهو في اللسان «جذا» لأبي الغريب النصري وكذا في التاج اما في «ورنح» فقد نسبه الى أبي الغريب البصرّي وهو في اللسان «زنح» لأبي الغريب دون تحديد وكذا في التاج

وأبو الغريب اعرابي له شعر قليل ادرك الدولة الهاشمية «عن خزانة الادب« ٢/ ٣٢٥».

أبو الغول الطّهوي

هدن

الشاهد ورد منسوبا الى الحماسي انظر الحماسي «هدن» وأبو الغول احد بني طُهيّة ويقال لهم بنو عبد شمس بن سود وكان يُكَنَّى ابا البلاد ولم يقف البغدادي على كونه اسلاميا او جاهليا انظر الخزانة ٣/ ١٠٨ وذكر التبريزي في شرح الحماسة ١٤/١ انه اسلامي وكذا ياقوت في معجم البلدان «وقبىْ».

٧٥- أبو قدامة الطائي

نشأ

٧٦- ابو قلابة

صون

البيت في اللسان «ضرس» لأبي قِلابة الهذّلي وكذا في ديوان الهذليين القسم الثالث ص (٣٢) وأبو قلابة هو الحارث بن صعصعة أو عويمر بن عمرو جاهلي قديم عن «معجم المزرباني» ٧٥.

٧٧- أبو قيس بن الأسلت

جمع – سعى

الشاهد في «جمع» ورد في اللسان «جمع» والتاج «جمع» منسوبا الى «قيس بن الاسلت السّلميّ باختلاف في رواية الصدر وهو في القصيدة «٧٥» من المفضليات لأبي «قيس بن الاسلت» وهو في القصيدة «٧٥» من المفضليات وأبو قيس اسمه صيفي وقيل الحارث وقيل عبد الله وقيل صرفة وقيل غير ذلك وفي اسلامه خلاف «وقال صاحب الاغاني: والاسلت لقبه واسمه عامر بن جشم وهو شاعر من شعراء الجاهلية» انظر خزانة الادب «٢/ ٤٧- ٤٨»

٧٨- أبو قيس بن صرمة

رويد

في سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٧ : أبو قيس صرمة بن أبي أنس وانظر الاصابة ٢/ ١٨٤ فهناك اختلاف في اسمه أهو أبو قيس صرمة بن أنس أو ابن أبي أنس بن صرمة وذكر أنه من بني النجار وفي الاشتقاق لابن دريد: من الخزرج صحب النبي ﷺ (٤٥١) / وفي الاعلام ٣ /٢٩١ : شاعر مخضرم» وذكر له المبرد في التعازي والمراثي ابياتا انظر ص (٤٥١) /١٢٥/

٧٩ - أبو كبير الهذلي

حرق - فرش - هبل - هجل - وذل

ورد الشاهد في «وذل» منسوبا الى الهذّلي انظر الهذلي «وذل» .

اسمه: عامر بن الحلُيس من بني سهيل وقيل: أدرك الاسلام واسلم «الاعلام ٣ /٢٥٠».

أبو المثلّم الهذليّ

فقح

ورد الشاهد منسوبا الى الهذّلي انظر الهذلي «فقح» وهو شاعر جاهلي

٨٠- أبو محمد الفقعسيّ

بتت

أبو محمد الحذلمي نسبة الى حذ لم بن فقعس عن مجالس ثعلب ١٥٥/١ .

وعبد الله بن ربعي عن اللسان «جلا» وفي كنى الشعراء ٢٩٤ عبد الله بن ربعي الجذاميّ أبو محمد وفي الجمهرة ١/ ٢٥ أبو محمد الفقعسي واسمه عبد الله بن ربعي، وفي السمط ١/ ١٤٨ ذكر الميمني: رأيت له شعرا لما هزم خالد رضي الله عنه بني اسد مع طليحة بن خويلد فالظاهر انه مخضرم

٨١- أبو مُكعت الاسديّ

بور

ذكر في الاصابة ٤/ ١٨٣ ....الفقعسيّ وتقدم انه اسمه عرفطة بن نضلة وقيل الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن الاشتر . وضبطه ابن ما كولا تبعا للدراقطني «أبو مُكعت» ١ هـ

وفي كنىْ الشعراء لابن حبيب ص ٢٨٢ : منقذ بن خنيس بن سلامة

٨٢- أبو المنجم

نعل

كذا ورد وربما كان ابو النجم والشاهد غير موجود في ديوان أبي النجم ولم أعثر عليه

٨٣- أبو النجم

أسد - افق - بخل - بقل - بهي - بوق - تنأ - توم - ثجل× - جبن - جذب - جرب - جنن - جهض - حثى - حدق - حشو - حنق - حبي - خبل - خرع - خضل - خنق - خوض - - خول - خوي - ذرع - ذكر - ذوق - رفق - ركل - رمل - سخم - سدي - سمط - سنن - شرب - شظي - شيح - صبب × صقل - صوب - صوم - طبل - طعم - طلس - طوح - طير - ظمأ - عتق - عرف - عشب - عصر - عصي - عطر - عمج - غرب - غشش - غضب - غمد - غمض × فلل - فيل - قبل - قصر - قضب - قول - كحل - لطم × لقط - مشط - ملس - موت × - نبأ - نحت - نصو[1] هشش - هيب - ورد - وعد

---

(١) الشاهد الثاني في (نصو) ذكر فيه وقال أيضاً

٨٤- أبو نُخيلة

تنأ - حنك - سبر - سته - عري - عطو - نقي

قال البغدادي في الخزانة ١/ ٧٩ أبو نخيلة اسم الشاعر لا كنيته وكذا في الاغانى
وقال ابن قتيبة اسمه يعمر ويكنى ابا الجنيد وأبا العرماس وغلب على شعره الرجز.
وفي كنىٰ الشعراء لابن حبيب ٢٨٣ أبو نخيلة السعدي وهو اسمه وكنيته

٨٥- أبو نواس

اهب - شحم - قتب

٨٦- أبو الهندي

وضر

من مخضرمي الدولتين اختلف في اسمه فقيل غالب بن عبد القدوس، ومثل عبد المؤمن، وقيل أزهر، وقيل عبد السلام عن فوات الوفيات ١٦٩/٣ وفي كنى الشعراء لابن حبيب اسمه أزهر بن عبد العزيز.

٨٧- ابو وَجْزة

بقل - تبع - ترح - خضم - دعو - ربع - رقص - رمد - ربع - سبع - سبغ - صند - طرف طمر - عنن - غمل - غمم - فظع - قطط - قطم - قلب - نحر - نسب.

... السعديّ المدنيّ في التابعين واسمه يزيد بن عبيد وقيل ابن أبي عبيد شاعر مجيد ومحدث ومقرىء توفي ١٣٠ هـ عن الخزانة ٢/ ١٥٠ ويقال ابن عبد الله عن «كنىٰ الشعراء» ٢٨٤.
الشاهد في «سبع» ورد غير منسوب ومطلعه

«وتسبغه يغشىٰ المناكب ريعها» وهو لأبي وجزة في التاج «سبغ»

٨٨ - أبو الوليد الكلابيّ

غرض

٨٩- أبو يوسف بن عمر الخزاعي

غطل

٩٠- اخت حجر بن عدي الكندي

عمد

عمة امرىء القيس ترثي حُجْراً اخاها

أخت عمرو

انظر كبشة

٩١- أم الحسين

ردد

ترثي اخاها

انتهى حرف الألف

ثالثاً : تعليقات ومناقشات ومطارحات

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في الأذين

للدكتور محمد هيثم خياط

لأني من المعجبين بالأخ المفضال الأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي، بادرت إلى كتابة هذا التعقيب، خشية أن يسارع المعجبون به وهم كثر، إلى الاقتناع بما كتبه في العدد المزدوج (٢٨ - ٢٩) من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني (ص ١٤٢).

فقد قال حفظه الله في حديثه عن القاعدة التي تقضي بإلحاق علامة التأنيث في المصغّر الذي خلا أصله من العلامة: ومن الغريب أن المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة، ولذلك صغروا «أذن» على «أذين» فقالوا الأذين الأيمن، والأذين الأيسر، كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغر مقابلا لبطين في قولهم البطين الايمن والبطين الايسر اهـ».

وأول ما أريد أن أنبه عليه، أن «الأذينة» التي يُرغّب الاستاذ الفاضل في استعمالها هي عضو آخر غير «الأذين» فالأذين atrium هو ذلك الجوف القلبي الذي يعلو البطين. وفي القلب أربعة أجواف أذينان وبطينان. ولكن تتصل بكل «أذين» من الأعلى والخلف «أذينة» auricula تشبه الأذن الصغيرة، وقد يقال لها «زائدة الاذين»

وأذنا القلب اللتان كان يتحدث عنهما اللغويون والاطباء العرب، ليستا باatria وانما هما ال «auriculae» ففي كتاب خلق الانسان لثابت بن أبي ثابت: «وفي القلب أذناه، وهما في ناحيتيه يشبهان بالاذنين» وأذنا القلب - في القاموس «زَنَمَتَان في أعلاه» وهما كذلك في قانون ابن سيناء «زايدتان على فوهتي [القلب] كالأذنين....» (المقالة الاولى من الفن الحادي عشر من الكتاب الثالث ص ٤١١ في طبعة رومية) ...وهما «زائدتان شبيهتان بالأذنين يسميان أذني القلب...» (كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس، ص ١٠٨) ولم يكونوا قد شرّحوا القلب تشريحا دقيقا من الداخل ليعرفوا ال «atrium حق المعرفة، فهو لا يميز في ظاهر القلب وانما تميز زائدتاه فحسب.

وليس يخفى أن كلمة «auricula» أحقُّ بكلمة «الأذينة» لأنها تصغير «auris» في الاتينية ومعناها «الأذن». أما كلمة atrium التي حلت محل auricle (الانكليزية) في التسمية التشريحية الحديثة فهي من اللاتينة، وهي صحن الدار الرومانية القديمة، تتصل به من هنا وهناك اجنحة وغرف وممرات، كما أنها أطلقت أيضا على أي ساحة مفتوحة تحيط بها أروقة ذات عمد، وهي بَنِيَّة توجد عادة قُدَّامَ المعبد.

وقد وجد «المعاصرون» أن من الخير ان لا ينأوا كثيرا باللفظ المقابل لكلمة atrium عن اللفظة التي شاعت من قبل عند قدمائنا، ويؤدوا المعنى الجديد في الوقت نفسه، فاختاروا تصغير «الأذِين» بفتح الهمزة وكسر الذال المعجمة) وهو المكان الذي يصل إليه الأذان، وهو الأذن أيضا، وهو مذكر يصغر تصغير ترخيم على أُذَيْن» (بضم الهمزة وفتح الذال المعجمة).

وبعد، فقد أشار الاستاذ الفاضل في حاشية الصفحة الآنفة الذكر من مقاله القيم، إلى أن إلحاق علامة التأنيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة «قاعدة شاملة عامة في العربية، وانه لم يقف على الشواذ منها إلا على كلمة «قوس» وهي مؤنثة من غير علامة ولم يسمع تذكيرها. ولكنهم قالوا في تصغيرها قويس ولم يؤثر عنهم قويسة».

ولأمر ما اختار الأستاذ هذا المثال. والا فالقوس - كما يقول الجوهري - «يذكر ويؤنث، فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس». وفي العربية كثير من الأمثلة على مؤنثات لا تؤنث مصغراتها، يحضرني منها الآن أربعة:

١ - الدرع «وتصغير الدرع: دُريع بغير هاء على غير قياس لأن قياسه بالهاء، وهو أحد ما شذ من هذا الضرب. ابن السكيت: هي درع الحديد» (اللسان: درع) على انه قد ورد تذكير الدرع فحكى اللحياني: درع سابغة ودرع سابغ، وقال سابغ، وقال أبو الأخرز:

مقلصا بالدرع ذي التغضن   يمشي العِرضْني في الحديد المتقن

٢ - الضحى، «والضحى أنثى وتصغيرها بغير هاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة (اللسان: ض ح ي) وأنشد للنابغة الجعدي:

كأن الغبار الذي غادرت ضُحَيّا دواخن من تنضب

الشاهد فيه تصغير ضحى على ضُحَيّ، وكان القياس أن تصغر بالهاء لأنها مؤنثة، إلا انهم صغروها بغير هاء لئلا تلتبس بتصغير ضحوة» (شرح الشواهد، حاشية الصفحة ٢/ ١٣٨ من كتاب سيبويه).

٣ - الناب، وتصغير الناب من الابل - وهي مؤنثة - نُيَيْب بغير هاء ...فيقال سميت لطول نابها فهو كالصفة فلذلك لم تلحقه الهاء، لأن الهاء لا تلحق تصغير الصفات...»

٤ - العروس، «وفي حديث ابن عمر ان أمرأة قالت له ان ابنتي عُرَيِّس وقد تمعط شعرها، هي تصغير العروس ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثا لقيام الحرف الرابع مقامه»

وفي الامثلة الثلاثة الاخيرة تعَلاّت ثلاث: «عدم الالتباس» و «شبهة الصفة» و «قيام الحرف الرابع مقام التأنيث» فإذا كانت التعِلّة الاولى معتبرة، وهي كذلك ان شاء الله، فما كان احرى ان تصغر «الأذن» على «أذين» لئلا تلتبس بتصغير «أذنة» وهي خوصة الثمام، وواحدة التبن، والشهوة.

ومعذرة لأخي الاستاذ ابراهيم وشكرا، فقد اتاح لي فرصة لرفع بعض الملام عن أصحابنا «المعاصرين»

تساؤلات

للاستاذ: حسن الكرمي
لندن

(٣)

ذكرت في العدد السابق لمجلة المجمع الموقر أن صيغة (أفعل) من الألوان تأتي من الفعل (فَعِل يَفعَل فَعَلا). وقلت في التمثيل على ذلك:

(زَرِق، يزرَق، زَرَقا) فهو أزرق

و(خَضِر يَخْضَر خضَراً) فهو أخضر

و(سَوِد يَسوَد سَوَداً) فهو أسود

وقلت إن المعاجم لم تذكر اشتقاق أبيض وأحمر وأصفر وماكل شيء تذكره المعاجم. وتقول المعاجم بحسب هذه القاعدة.

(أدِم يأدَم أدَماً) فهو آدم

و (بَقِع يَبْقَع بَقَعاً) فهو أبقع

و(بَقِع يَبْقِع بقَعاً) أبقع

و(دَعِج يَدعَج دَعجاً) فهو أدعج

و(حَوِر يَحْوَر حَوَراً) فهو أحور

و(حَوِيَ يَحْوَى حَوىً) فهو أحوى

و(دَلِم يَدْلَمُ دَلَماً ا) فهو أدلم

وهكذا في: أصدأ وأقنى وأجهد وأشمط وأكدر وأكمل واغفر وأنمش، وأكلف وأسحم وأغد وغيرها، وجميع هذه مشتقة من الصيغة ذاتها، والمعاجم تذكر هذا الاشتقاق

ولكنها لا تذكر اشتقاق. أحلك، وأغبر. وأغبس وأدبس وأدهم وأرقط وأربش وأرقش وأربد وأغبش وأرهم وأكحل وأدجن وأحمّ وأرمد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر وأدجن وأحمّ وأربد وأسخم وأجأى وغيرها. وكان يجب ذكر صيغة الفعل لكل من هذه الألوان. وأي معجم جديد يجب أن لا يغفل اشتقاقها.

ونخرج من كل ذلك بأن (أفعل) من اللون هي من صيغة (فَعِل يفعَل فَعَلا) لا غير، وأية صيغة أخرى يجب أن لا تكون صحيحة. وانظر الآن إلى الصيغ التالية الموجودة في المعاجم.

(سَمُر يَسْمُر سُمْرة) فهو أسمر . وفي قول آخر (سَمِر يَسْمُر سُمْرةٌ)
(حَلِكَ يَحْلَك حَلَكاً) فهو حالك (بدلًا من أحلك)
و (كَهِب يَكْهَبَ كَهَباً) فهو كاهب (بدلًا من أكهب)
و (جان يَجوُن جَوْناً) فهو أجون
و (جَأى يَجْأى جُوَةً) فهو أجوأ (بدلًا من أجْأى) وبدلًا من (جَئِي يَجْأَى جأى)
و (حَلِك يَحْلَك حَلَكاً) فهو حالك (بدلًا من أحلك)
و (رَمُك يَرْمُك رُمْكَةً) فهو أرمك
و (خضِب يَخضَب خُضوباً) بدلًا من (خَضِبَ يَخْضَبُ خَضَباً) ولا ذكر في المعاجم لصفه (أخضب)
و (كَمِد يَكْمَدَ كَمَداً) فهو كامِد (بدلًا من أكمد لِلّون)
و (كَمِت يَكْمَتَ كَمَتاً) فهو أكمت (وهذا الفعل غير موجود)
و (طَلَسَ يَطْلُس طُلْسَةً وَطَلَساً) دون ذكر أطلس
و (قَهِب يَقْهَب قَهَباً) فهو قهب (بدلًا من أقهب)

والقصد من ذلك كله (١) جميع الألوان تكون على صيغة (فَعِل يَفْعَل فَعَلًا) وما خالف ذلك فهو غلط .

و (٢) أي فعل يخالف ذلك يجب تصحيحه ، وإذا لم يذكر فيجب ذكره . وعلى هذا يجب أن تقول : (بَيِضَ يَبْيَض بَيَضاً)
و (حَمِر يَحْمَر حَمَراً)
و (صَفِر يَصْفَر صَفَراً)
و (سَمِر يَسْمَرُ سَمَراً)
و (جَوِن يَجْوَن جَوَناً)

وقد اقتصر على هذا الوزن في الألوان الجوهري وابن سيده وابن القوطية وابن القطاّع .

استدراك وتعليق على كتاب «حروف الممدود والمقصور» لابن السكيت المتوفى ٢٤٤ هـ تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود

للدكتور رياض حسن الخوام
جامعة ام القرى

هذا الكتاب يُعد واحداً من الكتب الكثيرة التي أُلّفت في هذا الجانب اللغوي الواسع، ومؤلفه غني عن البيان والتعريف عند المشتغلين بعلوم العربية، ولا شك ان محققه الفاضل قد بذل عناء شديداً حتى تم له اخراجه ونشره، ذلك ان المخطوط وحيد وقد كتب بخط نسخي غير متقن [١] غير ان ثمة ملحوظتين هامتين - فيما اعتقد - أُود الاشارة اليهما:

الأولى: أن هناك نصين قد سقطا من الكتاب المحقق، أوردهما السيوطي في مزهرة منسوبين لابن السكيت في كتابة هذا، قال السيوطي:

أ) «وفي كتاب المقصور والممدود لابن السكيت، قال أبو عبيده: فقال فقيه العرب: من سَرَّه النَّسَاء - ولا نَسَاءَ - فليبكر العشاء وليباكر الغداء وليخفف الرداء وليقل غِشيان النساء[٢]

ب) «وقال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الاصمعي: لم أسمع فَعَلَى الا في المؤنث. الا في بيت جاء لأمية بن ابي عائذ في المذكر،

كأني ورَحْلي إذا رُعْتُها على جَمَزَى جازئٍ بالرمال[٣]

الثانية: ان نصوصا وردت في الكتابين، غير ان نصوص المزهر فيها زيادات على تلك التي وردت في كتاب ابن السكيت، والمحقق لم يقم بالتعليق على ذلك مع كونه عالما بذلك، نعتقد ذلك لأمرين:

---

(١) الممدود والمقصور، لابن السكيت، ٢٣.
(٢) المزهر، السيوطي ١/٦٣٧.
(٣) المزهر، السيوطي ط: ٧١.

أ) أنه حين قام بتوثيق نسبة الكتاب لابن السكيت ذكر اسماء الذين نصوا في كتبهم على تأليف ابن السكيت لكتابه هذا، وانهى بقوله: وانهى ذلك بقوله: وفي المزهر نقول منه تتفق مع ما جاء في كتاب المقصور والممدود (١)

ب) أنه أحال إلى كتاب المزهر في أكثر من موضع، وأكمل منه بعض السقط الذي وجد في المخطوط كما سنبين ذلك مما سيأتي.

ومهما يكن من أمر فإنّ ما يعنينا أن المحقق لم يعلق على هذه الزيادات بشيء، وها نحن نورد نصوص الكتابين مقارنين فيما بينها لنتبين ذلك، قال السيوطي:

أ) قال ابن السكيت في المقصور والممدود: كل ما كان من حروف الهجاء على حرفين الثاني منهما يُمَدُّ ويُقْصَرُ من ذلك: الباء والتاء والثاء والفاء والطاء والظاء والحاء والخاء والراء والهاء والياء(٢).

اما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فنصه: كذلك كل حروف الهجاء ما كان منها على حرفين الثاني منها الف يمد ويقصر (٣) والمقارنة السريعة بين النصين تظهر تلك الزيادة الواقعة في نص المزهر تلك التي لم نجد تعليقا عليها من قِبَلِ المحققّ.

ب) وفي المقصور والممدود لابن السكيت، يقال: بغلةٌ سفْواءٌ اذا كانت سريعة، قال ابو عبيدة: ولا يقال من هذا للذكر أسْفَى، ويُقالُ: بَعيرٌ عَيَاءٌ اذا كان لا يحسن الضرّاب ولا يقالُ في الناس(٤) والذي ورد من هذا النص كله في كتاب ابن السكيت المحقق هو «ولا يقال للذكر أسفى(٥)» أما أول النص وآخره، ونسبة القول لأبي عبيدة فقد سقط كل ذلك دون اشارة من المحقق الى ذلك.

جـ) كلُّ مصدر كان على مثال الفِعيِّلي مقصور لا يمد ولا يكتب بالالف نحو الهزِّيمي والخِطِّيمى والرميثى والرويدى، وزعم الكسائي أنه سمع المدّ والقصرَ في خصّيمى

---

(١) الممدود والمقصور لابن السكيت، ٢١.

(٢) المزهر ٢/١٠٢

(٣) الممدود والمقصور، ابن السكيت ١١١

(٤) المزهر، سد ١/٤٤٠

(٥) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٩٦

وأمرهم فيضوضى بينهم، وقال الفراء لم أسمع احدا من العرب يمد شيئا من هذا ولم يجزه. ذكره ابن السكيت في المقصور والممدود[1] أما ما ورد في كتاب ابن السكيت المحقق فيتفق أوله مع نص المزهر، على الرغم من وقوع بعض الاختلاف – وسقط آخره كاملا قال: اعلم ان كل مصدر على مثال فعيلي فهو مقصور ويكتب بالياء مثل الحضيضي مصدر حضضت [2] ثم راح يسوق ما كان على هذا الوزن دون ذكر لزعم الكسائي وقول الفراء اللذين وردا في نص المزهر.

د) قال ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود: قال الفراء: ليس في الكلام فُعْلاء ساكنة العين ممدودة الا حرفان: للقَوبَاءِ قَوْباء وللخُشَشَاء خُشَّاء[3].

وهذا النقل بنصه أورده ابن السكيت في كتابه وأشار المحقق في الحاشية الى ان سقطا قد وقع في المخطوط بعد: «قال» ثم قال: «لعله الفراء» واعتمد لاثبات هذا السقط على نص المزهر، ثم ذكر ايضا ان نقصا آخر قد وقع في المخطوط بعد كلمة: قوباء وقد أكمله أيضا من نص المزهر[4] غير ان المحقق اغفل تتمة النص الذي أورده السيوطي منسوبا لابن السكيت في كتابة المقصور والممدود، فقد ذكر السيوطي بعد كلمة خشاء ما يلي:

قال: وليس في الكلام فِعَلاء (مكسورة الفاء مفتوحة العين ممدودة) الا ثلاثة أحرف، السِّيَراء: ضَرْب من البرود ويقال: الذهب والجِولاء والكلام فيه بالضم والعِنَباء للعنب، قال وليس في الكلام فَعَلاء (بتحريك ثانيه وفتح الفاء) غير هذين الحرفين: السُّحناء: الهيئة لغة في السحْناء (بالسكون) ثأواء لغة في ثأْواء (بالسكون قال: وكل الاصوات مضمومة كالدعاء والرغاء والثغاء والعواء والمكاء: الصَّفير والحداء والضغاء ضغاء الذئب، والزُّقاء:

---

(١) المزهر ٢/٢٠٢

(٢) الممدود والمقصور ابن السكيت ٤٨

(٣) المزهر ٢/١٠٦.

(٤) الممدود والمقصور، ابن السكيت ٥٦ وانظر تعليق المحقق في الحاشية.

زقاء الديك الا حرفين: النداء وقد ضمه قوم فقالوا: النُّداء، والغناء.[1] ويبدو ان المحقق قد ظَنّ أن نَقْلَ السيوطي من كتاب ابن السكيت قد انتهى عند قوله خُشّاء لكني اعتقد ان النص كله منقول من كتاب ابن السكيت وذلك لثلاثة أمور:

أ) أن السيوطي أضاف بعد كلمة الغِناء التي انتهى النقل بها قائلا: «وفي الصحاح قال الفراء» [2] مما يدل على ان ما سبق ذلك هو من كتاب ابن السكيت الذي ذكره في أول النص

ب) ان الالفاظ الممدودة التي وردت في نص المزهر الدالة على الاصوات ذكرت في كتاب ابن السكيت المحقّق مع اختلاف بسيط في ترتيبها[3].

جـ) أن سياق الكلام يدل على ان النص متكامل لا انفصام بين أوله وآخره.

وبعد: فهذا ما أردت بيانه وايضاحه آملا ان يتدارك المحقق الفاضل ذلك. والله من وراء القصد.

---

(١) المزهر، ٢/ ١٠٧.

(٢) المرجع السابق ٢/١٠٧

(٣) انظر الممدود والمقصور ابن السكيت ٨٥.

أديب الشام الدكتور شكري فيصل

للدكتور نسيب نشاوي
جامعة عنابة

نعت الأوساط العلمية والأدبية والصحافة والاذاعة بدمشق وفاة أديب الشام الكبير الدكتور شكري فيصل عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وعضو مجامع اللغة العربية في القاهرة والأردن وبغداد والهند، وأستاذ الدراسات العليا في جامعة دمشق والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وعضو اتحاد الكتاب العرب.

توفي العلامة اللغوى الأديب المجمعي الدكتور شكري فيصل إثر عملية جراحية أجريت له في جنيف بسويسره مساء يوم السبت في ١٧/١١/١٤٠٥هـ الموافق ٣/٨/١٩٨٥م وصلي عليه بالمسجد النبوي الشريف ووري جثمانه الطاهر بالمدينة المنورة يوم السبت في ٢٤/١١/١٤٠٥هـ الموافق ١٠/ ٨/ ١٩٨٥م. ففقد مجمع اللغة العربية عالما بارا بأمته ورجلا من رجال الأدب والفكر كان له فضل كبير في تخريج جيلين من الأدباء والجامعيين تابعوا نهجه في الاعتزاز بالتراث العربي الاسلامي والعمل على نشره واحيائه.

وبدمشق(الشام) حيث ولد الأستاذ الفقيد تقبلت أسرته التعازي وكان لي شرف المشاركة في تقديم التعزية.

عرفتُ الدكتور شكري فيصل منذ نحو ثلاثين سنة، اذ كنا نسكن بالحي الذي يسكن فيه بدمشق وهو(حي العقيبة)وكانت أسرته وأبناء عمومته يقطنون هذا الحي أيضا ويقع في قلب مدينة دمشق القديمة(الشام)، وعرف آنذاك بوداعته وجده ووجاهته وعلمه، اذ كنت أسمع مما يتردد بين رفاق الصبا أنه نشأ عصاميا ثقّف نفسه بنفسه وتفّوق على الأقران ثم سافر الى مصر فدرس الماجستير والدكتوراه ونال المراتب الرفيعة. فصار قدوة أهل الحي، وما كنت أعلم أنني سأكون في يوم ما في عداد طلابه بكلية

الآداب بجامعة دمشق فقد كان أستاذاً فيها منذ مطلع الخمسينات واذ ذاك كنا في المدرسة الابتدائية.

ولما دخلت جامعة دمشق عام ١٩٦٦م صرت أحد طلابه بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب ورأيت أن شهرته آنذاك قد طبقت الآفاق وملأت الوطن العربي، ودرست عليه سنتين، ففي السنة الأولى ألقى علينا محاضراته في مادة(الأدب الجاهلي) فكان يَحْدث لي ولطلابه ما يشبه النشوة أو الغيبوبة عن هذا العالم فنسبح مع الأدب الخالد وآفاقه وعواطفه وصوره: وتتجلّى لنا الحياة العربية القديمة بفطرتها السليمة وعواطفها البريئة ومباذلها الطريفة، وخاصة حين تنكبّ على الغزل العذرى أو المادى.. أو المفاخرة بالأحساب والأنساب والقوة الجسدية والنفسية.. ولم تزل اعتذاريات النابغة الذبياني لأبي قابوس ملك الحيرة ترنّ في سمعي الى الآن ولا سيما قوله:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد

وما زلت أتبنّى رأيه في طه حسين الذي نفى كثيرا من الشعر الجاهلي في أن طه حسين أراد أن يعاكس التيار ليلفت النظر أولا وليلقي صخرة كبيرة في مياه الأدب الراكدة في مطلع هذا القرن، ويتبنّى منهجا جديدا في معالجة النص الأدبي قائما على الشك الديكارتي..

وأثمرت هذه المحاضرات بعض المطبوعات التي قدمها لنا عن (**طبقات فحول الشعراء**) لابن سلّام و(الشعر والشعراء)لابن قتيبة، وكتابين ألفهما- رحمة الله- أحدهما في دراسة(النابغة الذبياني)والآخر هو (تحقيق ديوان النابغة)صنعة ابن السكيت نشره ببيروت عام ١٩٦٦م. وطلب الينا أيضا التركيز على كتاب (تطور الغزل في الجاهلية والاسلام)وهو من تأليفه أيضا. ولم يقصر المقرر الجامعي على هذا فحسب فهناك كتاب(في الأدب الجاهلي) لطه حسين، طلب الينا حفظه وحفظ جميع الردود التي تصدت له والمعركة الأدبية التي دارت رحاها حوله آنذاك ولا سيما الصدام الذي وقع بين الرافعي وطه حسين وحركة التأليف التي نشطت اثره والتي أخرجت أخيرا الكتاب القيّم الذي صنعه الدكتور ناصر الدين الأسد تحت عنوان(مصادر الشعر الجاهلي) حيث أثبت صحة الأدب الجاهلي بشكل علمي دقيق..

أما الأستاذ العلامة أحمد راتب النفاخ فجعل آنذاك يلقي محاضراته حول سائر شعراء الجاهلية كشعراء المعلقات والشعراء الفرسان والشعراء الصعاليك.. وقد اختار لهم نصوصا ذهبية جعلها في كتاب قيِّم موثّق بعنوان(**نصوص مختارة من الشعر الجاهلي**) ليدعم مقرر الأدب الجاهلي الذي يحاضر فيه الدكتور فيصل.

ان ملاحظة حجم المادة التي كان يحاضر فيها الدكتور فيصل في الستينات يوحي باخلاص هذا الرجل وسعة علمه وصدقه في تقديم منهاج شامل متكامل لطلابه الجامعيين، خصوصا اذا عرفنا أن حجم الزمان المخصص للمحاضرة لا يعدو ساعتين اسبوعيا خلال عام دراسي، واننا لنحنّ الى تلك الأيام التي كان فيها التدريس الجامعي على هذا النحو.

في عام ١٩٦٨م وكنا نجحنا الى السنة الثالثة بكلية الآداب سمعنا أن الدكتور فيصل قد عزم على السفر الى الجزائر لتدريس الأدب العربي في جامعة الجزائر العاصمة فأدركت أنه ودع طلابه في أثناء امتحان(الأدب الاسلامي) قبل شهور اذ دخل علينا ونحن في قاعة الامتحان وسألنا عما نحتاج اليه لمعالجة أسئلة المقرر، ولم يكتف بهذا بل أخذ يتقدم الى كل طالب في مقعده ويحييه بلطف ووقار مشيرا اليه أن اسأل عما بدا لك.. وتلك لحظات لا أنساها حين أطلّ عليّ وأنا في غمرة التفكير وسألني: هل السؤال واضح؟

وفعلا أعارته جامعة دمشق الى جامعة الجزائر ثلاث سنوات، وبقيت اتبادل الرسائل معه وما زلت أحتفظ ببعض ما أرسله اليّ من الجزائر. ولما تخرجت في جامعة دمشق كان قد عاد فصرت أزوره فيساعدني بتوجيهاته القيمة حول رسالة الماجستير التي كنت أعدها بعنوان(لبيد بن ربيعة العامرى حياتهُ وشعره في الجاهلية والاسلام)، ثم صرت أزوره بمكتبه وهو أمين عام لمجمع اللغة العربية بدمشق.

ففي حدود عام ١٩٧٣م انتخب أمينا عاما لمجمع اللغة العربية بدمشق فبدأ يخطط لمشروع علمي ضخم وهو نشر موسوعة (تاريخ دمشق الكبير) لابن عساكر، فاستعان بوزارة الدفاع السورية فأبدت استعدادها للمساعدة، وانتدب لهذا العمل فرقة من الباحثين في التراث عملوا باشرافه وتوجيهه نحو خمس سنوات، فأخرجت المجموعة جزءا من كتاب تاريخ دمشق الكبير عام ١٩٧٧م في ألف صفحة من القطع الكبير، وصار هذا

الجزء نموذجا للمحققين الذين دأبوا بعد ذلك على نشر بقية الأجزاء، وطالت الطريق على السائرين لأن كتاب ابن عساكر يتألف من ٥٦٠ جزءا.. وهذا يعني أن المشروع سيحتاج الى عشرات السنين.. وأخذ المجمع يفكر في هذا الشغل الذي أرهقه وأرهق الباحثين، ولكن عزيمة الدكتور فيصل كانت أشد من أن ينالها الوهن والرهق فأصرّ على متابعة ما خطط له.. وأصدر أجزاء أخر من الكتاب.. واضطر الى ترك أمانة المجمع فبقيت شاغرة الى أن قبلها العلامة الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب منذ عام ١٩٨١.

بين عام ١٩٧٠م وعام ١٩٨١م كان الدكتور فيصل في أوج نشاطه وعطائه وهو يعبر الخمسين الى الستين من العمر (ولد عام ١٩١٨م) وكأنّ الأيام تزيده توقدا وحيوية، وهي حيوية كان يسكبها على التراث العربي الاسلامي فينبرى لنشره وتشجيع حماته وأنصاره، يحاضر في عدة جامعات عربية في دمشق وبيروت وقطر والكويت وكأنما حببت اليه الأسفار فما ان يستقر حتى يرحل للتدريس أو المشاركة في المؤتمرات العربية والعالمية ونشر بحوثه ومقالاته وكتبه وتحقيقاته وزيادة على ذلك هو عضو عامل في المجمع بدمشق وعضو بارز في مجامع القاهرة وبغداد والأردن والهند.. يشرف على لجنة احياء المخطوطات ونشر التراث وعلى مجلة المجمع بدمشق ويدافع عن العرب والمسلمين في المحافل دفاع الغيور القوى فلا يترك فرصة للنيل من أعدائهم، ولقد صبغ طلابه والباحثين من حوله بهذه الصبغة، فتخرجت على يديه نخبة استلهمت منه حب العربية وتراثها واسلامها، ولعل أحدا لا يستغرب اذا قيل ان كثيرا من أساتذة اللغة العربية في الجامعات السورية من طلابه أو ممن تتلمذ عليه، تخرج على يديه جيل كامل من الأدباء والأكاديميين.. وما زال ذكره عطرا وذكرياته طيبة وما أظنها تموت.

حزّ في نفسه في عام ١٩٨١م أن أحيل على المعاش فخرج من هيئة التدريس بجامعة دمشق، وما واتاه جو المجمع اللغوى بدمشق لأنه أخذ يميل الى نشر التراث العربي عامة.. فلم يعد المجمع يقصر همه على (تاريخ دمشق الكبير).. وتلقى بعض صدمات في أسرته ما أحبّ أن يفصح عنها.. فأكثر من الصمت، وتبيّن أنه بدأ يفكر بمجاورة رياض رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة فأمضى عقدا مع رئاسة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وسافر اليها أستاذا للدراسات العليا منذ عام ١٩٨١م.. ولم يقطع صلته بمجمع اللغة بدمشق لأنه أحبه حبا عظيما فصار يزوره في عطلة الصيف ويلتقي زملاءه فيه، كما لم

يقطع صلته بالجزائر فكان يزورها أيام انعقاد (ملتقى الفكر الاسلامي) السنوي، وآخر ما عرفته الجزائر هو مشاركته في ذلك الملتقى في العام الماضي ١٩٨٤م وهي آخر مرة رأيته فيها وكان يجلس عاليا قرب سدة رئيس الملتقى.

ترك الدكتور شكري فيصل شواهد آبدة أذكت حركة نشر التراث العربي الاسلامي بسورية والعالم العربي، وأسهم في تنشيط الحركة الفكرية والثقافية العربية مع أمثاله من المصلحين، وزيادة على ذلك ألف كتبا جامعية في منهجية البحث الأدبي أو ما سماه (مناهج الدراسة الأدبية) ١٩٥١م وهو رسالة ماجستير قدمها الى الجامعة المصرية عام ١٩٤٩م. ودرس حركة الفتوح الاسلامية في كتابه (حركة الفتح الاسلامي)، وحلل المجتمع العربي عقب انتشار الاسلام في كتابه (المجتمعات الاسلامية في القرن الأول الهجري وتطورها اللغوي والأدبي) وهو رسالة دكتوراه، واعتنى بنشر التراث واختار منه شعراء الشام فاتصل بمجمع دمشق ونشر فيه كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر - قسم شعراء الشام) في (٣) أجزاء نشر الجزء الأول عام ١٩٥٥ والثاني عام ١٩٥٩ والثالث عام ١٩٦٤، وعني في هذه الأثناء بنشر ديوان أبي العتاهية محققا وطبعه عام ١٩٦٤ بعنوان (أبو العتاهية أشعاره وأخباره) ثم ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت ١٩٦٨ ببيروت، ثم التفت الى العناية بيسر الأعلام من العرب والمسلمين في المشروع الضخم الذي نوهنا به من قبل وهو تحقيق كتاب (تاريخ دمشق الكبير) جزء (عاصم - عايذ) ١٩٧٧، وجزء (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد) ١٩٨١م بالاشتراك مع سكينة الشهابي ومطاع طرابيشي، وجزء (عبادة بن أوفى - وعبد الله بن ثوب) ١٩٨٢ بالاشتراك مع روحية النحاس ورياض مراد، وهذا المشروع ان لم يكتمل اليوم فان له كثيرا من المتحمسين الذين ما زالوا يعملون بدأب وصبر لانجازه وتحقيق أجزائه الباقية منهم من بقي في المجمع ومنهم من يحقق خارج المجمع.

كما شارك في انجاح مشروع الدراسات العليا بجامعة دمشق - كلية الآداب - وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة دمشق والجامعات العربية الأخرى وقاوم حركة التغريب.. وعمل على دعم الأصالة العربية الاسلامية واعلاء الأدب الرفيع الأسمى.. فكان نبراس خير وقدوة سلوك.. ومثلا أعلى للغيور على العرب والمسلمين.

رابعاً : اخبار مجمعية

تعريب التعليم العلمي الجامعي

يولي المجمع قضية تعريب التعليم العلمي الجامعي اهتماما كبيرا، وكان المجمع قد أصدر في هذا المجال ستة عشر مرجعا علميا مترجما في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وعلم طبقات الأرض من مستوى السنتين الأولى والثانية الجامعيتين.

وقد صدر عن المجمع، حديثا، كتاب «الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها» تأليف ن .أ. ادواردز ..و.. ك .أ. هساك، ترجمة الدكتور اليأس بيضون، ومراجعة الدكتور عدنان علاوي، وهو الكتاب السابع عشر من الكتب العلمية المترجمة التي أصدرها المجمع.

يقع الكتاب في سبعمئة وخمس وسبعين صفحة، ويشتمل على عشرين فصلا في الخلية، وعلم وظائفها كالأساس الخلوي للحياة والبروتينات والكربوهيدرات العوامل البيولوجية والأنزيمات، وعلم الطاقة الحيوية، والتركيب الضوئي وحلقة السكاكر الخماسية المفسفرة، وأيض النيتروجين، والكيمياء الحيوية للأحماض الأمينية، واستثارة الخلية العصبية والعضلية والبصرية وما الى ذلك.

وقد رفع المجمع بنسخ من هذا الكتاب الى صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم، وسمو ولي العهد الأمير حسن المعظم، ودولة رئيس الوزراء ورئيس مجلس الأعيان، ورئيس مجلس النواب.

وبعث بنسخ الى وزارات التعليم العالي ووزارات التربية والجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي.

وقد تلقى المجمع عددا من الرسائل التي تشيد بجهود المجمع في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي وخدمة اللغة العربية منها:

رسالة دولة رئيس الوزراء

تلقى المجمع الرسالة التالية من دولة رئيس الوزراء السيد زيد الرفاعي بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٠٦هـ الموافق ٢٦ / نيسان سنة ١٩٨٦م:

عطوفة الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الاردني
عمان

تحية طيبة وبعد،،

تلقيت بالشكر كتابكم رقم ٩/ ١٣/ ٢/ ٢٤٥ تاريخ ٣٠/ ٣/ ١٩٨٦ وبرفقته كتاب «الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها من سلسلة الكتب العلمية التي قام بترجمتها المجمع وكذلك تقرير المجمع السنوي التاسع لعام ١٩٨٥ .

ويسرني بهذه المناسبة ان انوه بالجهود الموصولة والخدمات الجليلة التي يقوم بها المجمع الكريم والقائمون عليه في سبيل اثراء واعزاز لغتنا العربية المجيدة كلغة حية تلعب دورها الحضاري مع اللغات الاخرى كما كان شأنها في تاريخنا الزاهر .

اكرر الشكر وارجو لكم دوام التوفيق والنجاح في حمل رسالة المجمع وتحقيق غاياته .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

زيد الرفاعي

رسالة رئيس مجلس الأعيان

تلقى المجمع من دولة السيد أحمد اللوزي، رئيس مجلس الأعيان رسالة برقم ٧/ ١٠/ ٨/ ٥٩٩ تاريخ ١٣/ ٤/ ١٩٨٦م، وهذا نصها:

سعادة الدكتور عبد الكريم خليفة المكرم
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

اشارة لكتابكم رقم ٨/ ٥/ ٣٦٦ تاريخ ٢/ ٤/ ١٩٨٦
الموضوع / كتاب الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها

تلقيت ببالغ الامتنان هديتكم نسخة كتاب (الكيمياء الحيوية للخلية وعلم وظائفها) احدث ما صدر من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني.

واني اذ اشكركم ومجمع اللغة العربية الأردني الموقر على هذه الجهود المباركة والالتزام بمبدأ مساندة لغتنا العربية كقاعدة اساسية لوحدة امتنا وشخصيتها، لاتمنى لكم التوفيق والنجاح لجعل لغتنا لغة التدريس والبحث العلمي في جامعتنا ومؤسساتنا العلمية.

واقبلوا فائق الاحترام

رئيس مجلس الأعيان
احمد اللوزي

تعريب المصطلحات العسكرية

كان المجمع قد أصدر في مجال تعريب المصطلحات العسكرية: مصطلحات سلاح الصيانة، ومصطلحات سلاح المشاة، ومصطلحات سلاح التموين والنقل، ومصطلحات سلاح الجوّ، وأصدر خلال النصف الأوّل من هذا العام معجم «مصطلحات سلاح المدفعية».

يقع هذا المعجم في ست وستين صفحة من القطع الكبير، وقد تضمن عددا من المصطلحات العسكرية المستعملة في سلاح المدفعية، واستعان المجمع في وضعه بعدد من الأخوة العسكريين في القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية.

حرص المجمع على أن يكون المعجم العسكري الموحد، الذي وضعته لجنة الخبراء العسكريين للجامعة العربية، دليلا له ومرجعا كبير الأهمية، وكان هدف المجمع من عمله هذا اضافة ما يمكن اضافته الى المعجم العسكري الموحد، أو تصحيح أشياء أخرى فيه استكمالا للفائدة.

تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في المجمع

ان مجمع اللغة العربية الاردني يحرص كل الحرص على الاستمرار في مشروعه الرامي الى تعريب التعليم العلمي الجامعي، وانطلاقا من هذا فقد وجه المجمع رسالة الى أعضاء هيئة التدريس في الكليات العلمية في الجامعات الأردنية يدعوهم فيها للمشاركة في هذا الواجب القومي وانجاحه، لكي تصبح اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات العربية، كما بعث اليهم بتعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر التي أقرها المجمع، وفيما يلي نصها:

تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في
مجمع اللغة العربية الأولى
صادرة بموجب المادة (١٣) الفقرة (د) من قانون مجمع
اللغة العربية الأردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م

المادة (١) تسمى هذ التعليمات «تعليمات دعم التأليف والترجمة والنشر في مجمع اللغة العربية الأردني لسنة ١٩٨٦»، صادر بموجب المادة (١٣) الفقرة (د) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦م، ويعمل بها ابتداء من ١ / ٢ / ١٩٨٦م.

المادة (٢) يكون للكلمات والعبارات التالية أينما وردت في هذه التعليمات المعاني المخصصة لها، الّا اذا دلّت القرينة على غير ذلك.

المجمع: مجمع اللغة العربية الأردني.

الكتاب: دراسة أو مؤلف او نصّ محقق عن أصول مخطوطة أو مطبوعة ينشر في مجلد أو مجلدات مفردة.

سعر الكتاب: السعر المثبت على غلاف الكتاب.

اللجنة: لجنة التأليف والترجمة في المجمع.

الصندوق: صندوق دعم التأليف والترجمة والنشر المذكور في المادة التاسعة من هذه التعليمات.

المادة (٣) يدعم المجمع تأليف الكتب وترجمتها حسب ما يلي:

(أ) الكتب التدريسية الجامعية في العلوم البحتة والتطبيقية.

(ب) أي كتب أخرى ترى اللجنة أنها تخدم رسالة المجمع.

المادة (٤) يقرّر المكتب التنفيذي دعم كتاب مؤلف أو مترجم، ومقدار الدعم بعد الاستئناس برأي اللجنة.

المادة (٥) يتقدم المؤلف أو المترجم الى رئيس المجمع بطلب دعم نشر كتاب له. وفي هذه الحال:

(أ) يقدم المؤلف ثلاث نسخ من مسودة الكتاب مطبوعة على الآلة الكاتبة في شكلها النهائي.

(ب) اذا اقتنعت اللجنة بأن المخطوطة يمكن ان تكون صالحة فلها أن تحولها الى محكّم أو أكثر لدراستها وكتابة تقرير يتضمن ما يلي:

(١) مدى الدقة في المادة العلمية وحداثتها.

(٢) مقدار مطابقة المخطوطة لمنهاج المادة أو المواد التي ألفت من أجلها، أو التي ذكر المؤلف أن المخطوطة توافقها.

(٣) لغة المخطوطة من حيث السلامة والدقة والوضوح.

(٤) التزام المؤلف بالمصطلحات العربية والرموز الصادرة عن المجمع أو عن المجامع العربية الأخرى، ومؤتمرات التعريب.

(جـ) المجمع غير ملزم بدعم كلّ كتاب يقدّم اليه.

المادة (٦) (أ) تقرّر اللجنة مقدار الدعم ونوعه سواء أكان دعما ماليا مباشراً أم شراء عدد من النسخ بسعر الغلاف، أم بكليهما.

(ب) وفي جميع الأحوال يقدّم المؤلف للمجمع عشرين نسخة من الكتاب المدعوم بعد طباعته.

(جـ) للمجمع، في أحوال يراها مناسبة، أن يساعد أيضا في نفقات تحضير كتاب أو مخطوطة.

(د) وفي جميع الأحوال يقدّم الدعم المالي الى المؤلف دون سواه.

المادة (٧) للجنة أن تكلف شخصا أو أكثر تأليف كتاب من أجل استعماله في التدريس الجامعي، وتسرى على هذا الكتاب أحكام المادتين الثامنة والتاسعة من هذه التعليمات، وفي هذه الحال يكون المجمع صاحب حق نشر الكتاب.

المادة (٨) تظهر على غلاف كلّ كتاب ينشر بدعم من المجمع، وعلى الصفحة

الأولى الداخلية منه عبارة (نشر بدعم من مجمع اللغة العربية الأردني) .

المادة (٩) ينشىء المجمع صندوقا يسمى «صندوق دعم التأليف والترجمة والنشر»، ويؤلف له لجنة من ثلاثة أشخاص على الأقل من داخل المجمع أو من خارجه، تدعى (لجنة صندوق دعم التأليف والنشر)، وتكون مهمتها جمع الأموال للصندوق وتنميتها، وتكون مسؤولة أمام المكتب التنفيذي.

المادة ١٠ تتكون موارد الصندوق مما يلي :

(أ) المبلغ الذي يخصصه المجمع لهذا الغرض من ميزانيته كلّ سنة .

(ب) الهبات أو المنح التي تقدّمها الهيئات أو الأفراد داخل الأردن أو خارجه شريطة موافقة المكتب التنفيذي على ذلك .

المادة (١١) رئيس المجمع والمكتب التنفيذي مسؤولان عن تنفيذ هذه التعليمات .

رئيس المجمع، رئيس المكتب التنفيذي
الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

بعث مجمع اللغة العربية الأردني برسالة الى معالي وزير التربية والتعليم، يقترح فيها أن تتبنى الحكومة الأردنية استضافة الأردن لهذا المركز، وفيما يلي نصها:

معالي وزير التربية والتعليم المحترم

الموضوع: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فيسرني أن أعلم معاليكم أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد سعت بالتنسيق والتعاون مع مؤتمرات الوزراء العرب المعنيين بالشؤون الثقافية والتعليم العالي والبحث العلمي الى انشاء مركز عربي يعنى بالتعريب والترجمة والتأليف والنشر. وقامت المنظمة العربية باعداد الدراسات اللازمة لهذا المركز، ثم أقرت الدول الأعضاء في مؤتمر وزراء الثقافة ومؤتمر وزراء التعليم العالي والبحث العلمي انشاء هذا المركز على أن تستضيفه احدى الدول العربية، وأن تساهم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ميزانيته.

وفي بادىء الأمر استعدت دولة الامارات العربية لاستضافة هذا المركز، غير أنها ما لبثت أن اعتذرت للمنظمة عن عدم تمكنها من الاستمرار في تنفيذ هذا المشروع مما دعا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى مخاطبة الدول العربية مجددا لابداء رغبتها في استضافة هذا المركز.

ومما تجدر الاشارة اليه أن الأردن يتمتع بكفاءات علمية متخصصة ومتميزة، وبمكان متوسط بين أقطار العالم العربي، وبصلات طيبة بالعالم العربي خاصة والعالم الخارجي عامة، كما أن هذا البلد يبذل جهودا حقيقية من أجل تأصيل نهضة علمية وتقنية متميزة يكون الفكر العلمي المعرب ركيزة أساسية فيها، ولذا فان انشاء مثل هذا المركز في الأردن سوف يحقق الأهداف القومية المرجوه منه، ويتيح له فرصة أفضل للنجاح، كما أنه

سيؤدي الى اغناء الحركة العلمية في الأردن، ورفدها بما يتلاءم ومتطلبات هذه المرحلة وسيؤدي أيضا الى استقطاب الكفاءات العلمية والفكرية المتميزة في الأردن للعمل في هذا المركز، والى ابراز دور الأردن في النهضة العربية العلمية والثقافيّة المرجوة في العالم العربي، والى تنشيط الحركة الاقتصادية في الأردن. وبجانب كون هذا المركز مركز اشعاع لنهضة علمية عربية فاعلة فانه سيعمل أيضا على تعزيز مكانة اللغة العربية في جامعاتنا العربية ومؤسساتنا العلمية، وسيكون هو المؤسسة الأولى التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الأردن، وأن استضافة الأردن لمثل هذا المركز أمر حيوي وذو أهمية كبيرة.

وقد استعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتمويل النفقات الجارية للمركز، وطلبت من الدولة المضيفة أن تقدم مقرا مناسبا للمركز ومطبعة، وأن الالتزامات المترتبة على الدولة المضيفة قابلة للتفاوض مع المنظمة، ومن الممكن اختصارها، وتنفيذها على مراحل حسب ما تقتضيه طبيعة عمل هذا المركز وحاجته، فيمكن تأمين المقر اللازم من خلال المؤسسات العلمية الأردنية، كما يمكن أن تفي مطبعة الجمعية العلمية الملكية بحاجة المركز مبدئيا. وتجدون مع رسالتي هذه صورة وافية عن هذا المشروع، وما دار حوله من مراسلات.

ولهذا كله فان مجمع اللغة العربية الأردني يقترح على معاليكم تبني فكرة استضافة الأردن لهذا المركز، ويأمل أن يحظى هذا الموضوع بكريم عنايتكم وحسن اهتمامكم. وفقنا الله جميعا في خدمة لغتنا العربية الشريفة، وتراثنا العربي الاسلامي المجيد.

وتفضلو بقبول فائق الاحترام،،،

رئيس المجمع
الدكتور عبد الكريم خليفة

وأرفق المجمع بهذه الرسالة دراسة تضمنت الجهود التي بذلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في سبيل انشاء هذا المركز، كما اشتملت هذه الدراسة على الأمور التالية:

١ - عرض لسير المشروع

١ . قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوضع مشروع خطة قومية للترجمة تضمنت دراسة جدوى انشاء «مؤسسة عربية للترجمة والنشر وقدمته الى المؤتمر الثالث للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية المنعقد ببغداد في نوفمبر / تشرين الثاني سنة ١٩٨١ فوافق عليه من حيث المبدأ ودعا لاستكماله بمزيد من الدراسات. وبعد ادخال تعديلات على المشروع عرض على المجلس التنفيذي للمنظمة، في دورته الثلاثين بتونس سنة ١٩٨٢ فوافق على الخطة ودعا الدول العربية والمنظمة الى تنفيذها.

وكان المؤتمر الاول للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي الذي انعقد في الجزائر في شهر مايو / ايار سنة ١٩٨١ قد اوصى باعداد دراسة جدوى انشاء «مركز عربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر» في اطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووضع خطة شاملة لمجالات تعريب التعليم العالي. وتنفيذ برنامج يغطي الاحتياجات الملحة في تعريب الكتب والمراجع في مختلف ميادين المعرفة والعلوم على المستويات الجامعية تأليفا وترجمة. والعناية بترجمة الابحاث العلمية المهمة التي تنشر في الدوريات العالمية او نشر مستخلصات منها.

٢ . رأت المنظمة التقارب والتشابه بين المشروعين فعملت على توحيدهما في مشروع واحد، ووضعت دراسة جدوى لمركز يستهدف المساعدة على تعريب التعليم العالي والتثقيف العام وقدمتها الى المجلس التنفيذي في دورته الثلاثين سنة ١٩٨٢ فدعا لاستكمال الدراسة وتقديمها اليه في دورة قادمة وبعد استكمال الدراسة قدمتها المنظمة الى اللجنة الوزارية المكلفة بمتابعة توصيات المؤتمر الاول في اجتماعها بالجزائر في نوفمبر سنة ١٩٨٢ فاصدرت اللجنة توصية بتعديل بعض الأمور التفصيلية.

ثم عرضت المنظمة الدراسة على المجلس التنفيذي (في دورته الثانية والثلاثين) بدمشق سنة ١٩٨٢ فقرر احالتها الى الدول العربية لابداء الملاحظات عليها. وايد المؤتمر الرابع للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية المنعقد في (الجزائر سنة ١٩٨٣) قرار المجلس التنفيذي الاخير.

٣ . بعد احالة الدراسة الى الدول العربية تلقت المنظمة اربعة عشر ردا من ست دول، فتقدمت بالدراسة - مشفوعة بملاحظات واقتراحات الدول العربية - الى المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي الذي انعقد في الحمامات بتونس بتاريخ ٢٠ - ٢٢ / ١٠ / ١٩٨٣، فأكد على اقامة المركز.

وعرضت دولة الامارات العربية المتحدة رغبتها في استضافة المركز مع تقديمها المبنى اللازم مع الاثاث والمطبعة فأوصى المؤتمر بالموافقة على استضافة دولة الامارات العربية للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وتفويض المدير العام للمنظمة بالاتصال بالمسؤولين في دولة الامارات العربية المتحدة لتحديد متطلبات انشاء هذا المركز، كما اوصى باحالة دراسة الجدوى الى لجنة متابعة توصيات المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي لدراستها وتقديمها الى المجلس التنفيذي للمنظمة لاقرار برامج المركز وميزانيته للدورة القادمة ١٩٨٤ - ١٩٨٥.

وعرض الموضوع على المجلس التنفيذي في دورته الثالثة والثلاثين، كانون الأول / ديسمبر سنة ١٩٨٣ فرحب بقرار مؤتمر وزراء التعليم العالي بانشاء المركز ورصد مبلغ ١٠٠،٠٠٠ دولار لتمويل ميزانية المركز.

ثم عرض الموضوع على المؤتمر العام للمنظمة في دورته العادية السابعة ديسمبر / كانون الأول سنة ١٩٨٣ بتونس فقرر الموافقة على انشاء المركز ورصد مبلغ ١٠٠،٠٠٠ دولار مساهمة من المنظمة في ميزانيته وقرر شكر دولة الامارات العربية على استضافتها للمركز.

٤ . واستنادا لهذا القرار وضعت المنظمة خطة لانشاء المركز ومشروعا لنظامه الاساسي ومشروع اتفاق مع دولة المقر، وكتب بذلك كله الى الرئيس الاعلى للجامعات في دولة الامارات واقترحت ان يتم لقاء بين المنظمة والمسؤلين في دولة الامارات تتم خلاله مناقشة جميع الامور المتعلقة بانشاء المركز وتشغيله ووضع النصوص في صيغتها النهائية.
- زار وفد من المنظمة برئاسة المدير العام دولة الامارات في تشرين الاول / اكتوبر سنة ١٩٨٤ وجرت مداولات حول المركز والاسس التي تقوم عليها الاتفاقية بين المنظمة ودولة

المقر، ووجه المدير العام للمنظمة دعوة الى الرئيس الاعلى للجامعات لزيارة مقر المنظمة بتونس لابرام الاتفاقية.

– ابلغت المنظمة المجلس التنفيذي في دورته السادسة والثلاثين في كانون الاول/ ديسمبر سنة ١٩٨٤ بنتائج المساعي فقرر متابعة السعي لانشاء المركز. وأكد المجلس التنفيذي في دورته السابعة والثلاثين في تموز / يوليو ١٩٨٥ بان يتابع المدير العام العمل على احداث المركز.

– وبناء على طلب دولة الامارات اوفدّ ممثل للمنظمة في تشرين الاول/ اكتوبر سنة ١٩٨٥ وبحث تفاصيل مشروع الاتفاقية المذكورة واستعراض التزامات الدولة المضيفة والمنظمة لانشاء المركز.

واعتذرت دولة الامارات عن استضافة المركز. فابلغت المنظمة ذلك الى المؤتمر الثالث لوزراء التعليم العالي والبحث العلمي المنعقد في بغداد في ٢٢– ٢٥/ ١٠/ ١٩٨٥ فقرر تكليف المدير العام للمنظمة بالاتصال بالدول العربية لمعرفة رأيها في استضافة المركز. وعرض الموضوع على مؤتمر وزراء الثقافة في دورته الخامسة بتونس ٢٦ – ٢٨/ ١١/ ١٩٨٥ فايد هذا القرار.

ثانيا – اهداف المركز ومهامه

ان الحاجة ملحة الى قيام مركز للتعريب والترجمة والتأليف والنشر يتمتع بصفتين:

١ . ان يكون مركزا عربيا يحظى بجهد عربي شامل ويستفيد من الطاقات العربية المتوافرة ويستهدف خدمة التعريب والتثقيف العام في الوطن العربي كله ويستند الى تمويل عربي.

٢ . ان يكون مركزا قادرا من حيث التخطيط والتنسيق والتنفيذ.

ويمكن اجمال اهداف المركز بما يلي:

١ . المساعدة على تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.

٢ . اغناء الثقافة العربية بخير ما ينتجه الفكر الغربي وبخاصة في العلوم الصرفة والفلسفة.

٣ . اطلاع القراء باللغات الأجنبية على خير ما في تراثنا العربي.

وتتلخص مهام المركز بالآتي :

١ . اعتماد مسح شامل لجهود التعريب التي تمت في الاقطار العربية ويتم الاعتماد على هذا المسح ي التخطيط لعملية التعريب .

٢ . تنفيذ برنامج يغطي الاحتياجات الملحة في تعريب الكتب والمراجع في مختلف ميادين المعرفة والعلوم على المستويات الجامعية عن طريق الترجمة والتأليف والنشر .

– العناية بترجمة الأبحاث العالمية الهامة التي تنشر في امهات الدوريات العالمية واعداد ونشر وتوزيع ملخصات بالعربية عن هذه البحوث .

ويمكن تحقيق هذا الهدف بالتصدّي لترجمة ونشر امهات الكتب وافضل المراجع وترجمة الدراسات والبحوث في ميادين الفكر والعلم والادب والفن بنصوصها الكاملة او بأخذ مستخلصات منها بغية اغناء الثقافة العربية المعاصرة وتأمين حاجات التعليم العالي بشكل خاص .

كما يقوم بتأليف الكتب والمراجع ووضع الدراسات والبحوث المختلفة ابتداء بما يحتاجه التعليم العالي وانتهاء بما يحتاج اليه سائر القراء .

٣ . التنسيق بين مجهودات الترجمة التي تتم في الوطن العربي على صعيد التعليم العالي .

٤ . اعتماد منهج لغوي يكفل النهوض بمستوى الترجمة والتأليف من ناحية الاداء والمصطلح .

٥ . القيام بطباعة الكتب المترجمة والمؤلفة ونشرها وتوزيعها .

٦ . اصدار نشرات شهرية أو فصلية باللغة العربية تشتمل على موضوعات ودراسات وبحوث علمية وادبية وفنية ، وتهتم بقضايا التعريب والتأليف والمصطلحات والشؤون اللغوية المختلفة .

ثالثا – مبررات استضافة الاردن للمركز

نرى أن يكون الأردن مقر المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر .

فالأردن بلد متوسط بين البلاد العربية وابوابه مفتوحة للاخوة العرب ، وتتوافر فيه الحرية

الفكرية المناسبة للنشاط العلمي مما جعله مركزا نشطا للمؤتمرات والندوات العلمية والفكرية العربية في السنوات الأخيرة.

- وتتوافر في الاردن - في جامعاته ومجامعه ومؤسساته كفاءات علمية متخصصة مما يوفر قاعدة علمية حسنة للمركز.

- وفي الأردن اهتمام واضح بنقل العلوم والتكنولوجيا، يتمثل ذلك في الندوات والمؤتمرات الكثيرة التي عقدت فيه في هذا المجال. وفي الاردن بدايات حسنة في الاتجاه الى نقل العلوم والتكنولوجيا والتعريب. فقد قام المجمع بنقل مجموعة من المؤلفات العلمية الجامعية الى العربية وهو ماض في هذا المنهج، ولدى الجمعية العلمية الملكية قسم يعنى بالعلوم ونقلها، ولدى الجامعة الاردنية توجه الى الاهتمام بنقل الفكر الغربي الى اللغة العربية، ولدى مؤسسة عبد الحميد شومان اتجاه مماثل للعناية بنقل العلوم. وتجدر الاشارة الى انه شكلت لجنة وطنية من عدد من المؤسسات العلمية لوضع سياسة وطنية لنقل العلم والتقنيات الحديثة الى العربية منذ تسعة أشهر كل هذا يشعر بان الظروف في الأردن مهيأة لاستضافة مثل هذا المركز.

- ان هذا المركز سيصبح من المراكز الثقافية والعلمية القومية التي ستستقطب نخبة من المفكرين والعلماء العرب والاجانب المعنيين بالعلوم والترجمة في مختلف النواحي، وسيعطي الأردن دورا مرموقا في التعريب ونقل العلوم.

- ان الاردن سيفيد علميا من وجود المركز، فيما سيعقد من مؤتمرات وندوات ثقافية، مما سيسهم في تنشيط الحركة الثقافية فيه، وسيجد علماؤه واساتذته مجالات جديدة لنشاطاتهم العلمية، كما ان مؤسساته ستفيد من الخبرات والامكانيات العلمية العربية، وسيمكنها ذلك من تطوير اساليبها وزيادة فاعليتها وتوسيع رقعة نشاطها.

ان وجود المركز سيدعم عمليات التأليف والنشر وسيشجع الدور والمؤسسات الاردنية العاملة في هذا الميدان وسيصبح الاردن مركزا له اهمية في عملية التبادل الثقافي والعلمي.

وينتظر أن يفيد المركز من الامكانيات التي تتوافر في الاردن من طباعة واتصالات ودور نشر وخدمات ضرورية، مما لا يتوافر في بلاد اخرى كما انه سيجد في مكتباته وامكانياته

العلمية ما ييسر عمله. وقد يكون في كلّ ذلك ما يفيد في النواحي الاقتصادية.

هذا وسيكون المركز أول مؤسسة من مؤسسات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الأردن.

رابعا – الكلفة والتمويل

أولا: جاء في دراسة الجدوى تقدير بالنفقات التي يتطلبها انشاء المركز وهي:

١ . نفقات ثابتة وتشمل:

أ. المباني – وهي مبنى المركز مؤلف من ٢٥ غرفة (مساحتها ٦٠٠م٢) ومبنى المطبعة (مساحته ١٣٠٠م٢)، و ١٠ مساكن لشاغلي الوظائف الرئيسية من خارج المقرّ.

ب. التجهيزات، وهي تجهيزات ادارية وسيارات ومكتبة، قدرت بـ ١٥٠,٠٠٠ دولار.

د. المطبعة وقدرت بـ ٧٥٠,٠٠٠ دولار

٢ . نفقات جارية، قدرت في السنة الاولى بـ ٣٠٠,٠٠٠ دولار وفي السنة الثانية بـ ٥٠٠,٠٠٠ دولار

ثانيا: باستثناء مبنى الادارة ومبنى المطبعة والمباني السكنية والتجهيزات الادارية والفنية التي افترض أن يقدمها البلد المضيف، فان مصدر التمويل الرئيسي هو الميزانية التي تقررها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أما المصادر الاحتمالية فهي المساعدات والهبات والتبرعات من الحكومات والمؤسسات العامة والخاصة والأفراد، والتي يتقرر قبولها حسب الأصول.

ثالثا: يلاحظ أن دولة الامارات العربية عرضت رغبتها في استضافة المركز وتقديم المباني اللازمة للمقر وللسكن مع الاثاث والمطبعة، وتوفير بعض الموظفين، ودعم المركز بمبلغ مالي لمرة واحدة.

وهذا العرض لا يلزم غيرها بل هو موضوع للتفاوض وخاصة وان الامكانيات والاوضاع في الاردن تختلف عن دولة الامارات ويمكن تخفيضها بنسبة عالية، وهنا يذكر:

١ - ان المقر يمكن أن يكون في مباني احدى المؤسسات العلمية

٢ لا مبرر لقيام البلد المضيف بتوفير المساكن لبعض الموظفين، فهي متوافرة بكلفة معقولة في الاردن، ويمكن اتباع ما هو جار في اتحاد الجامعات العربية.

٣ - أما المطبعة، وهي تمثل العبء الأكبر، فيمكن صرف النظر عنها (بناء وادوات) بوجود مطبعة الجمعية العلمية الملكية، وفي هذا تعزيز لمطبعة الجمعية.

٤ - ثم ان المجال قائم لتقليص اعداد الموظفين بنسبة واضحة. ولا موجب لاحداث جهاز كبير ابتداء، بل يحسن الاكتفاء بالضروري من الوظائف ووفق متطلبات العمل، وبامكان المركز أن يتعامل مع المختصين والعلماء في أماكن عملهم في الاساس.

كلّ هذا يعني أن يخضع الموضوع ابتداء للمفاوضة بشكل يجعل المشروع عمليا ويجنب المركز الانفاق الزائد على الشؤون الادارية ويوجهه للتركيز على الجوانب العملية ومتطلباتها، بل وعلى اختصار المراحل.